حَدِيثُ الإِفْكِ
في
أُفُقِ المَدْرَسَتَيْنِ

تأليف

حسين جواد

مؤسسة الصفاء للمطبوعات
بيروت - لبنان

دار الكتاب العربي
بغداد

حَدِيْثُ الإِفْكِ
في
أُفُقِ المَدْرَسَتَيْنِ

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
٢٠١١ م - ١٤٣٢ هـ

مؤسسة الصفاء للمطبوعات
بيروت لبنان

دار الكتاب العربي - بغداد

هاتف: ٤١٥٤٥٦١ - نقال: ٠٧٩٠١٤١٩٣٧٥

حَدِيْثُ الإِفْكِ

في

أُفُقِ المَدْرَسَتَيْنِ



تأليف

حسين جواد

دار الكتـــاب العـربـــي
بغـداد

مؤسسة الصفاء للمطبوعات
بيروت - لبنان



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وآله الطيبين الطاهرين.

وجدت خلال البحث في متطلبات إنجاز كتاب (الفارق في النظر إلى شخصية عمر)، أنَّ هناك الكثير من المواضيع في التاريخ الإسلامي تتطلّب من الباحثين المزيد من البحث والاستقصاء لإزالة اللبس والغموض الذي يكتنفها بسبب تلاعب أجهزة إعلام السلطان بحقائق التاريخ وخاصة تلك التي تتعلق بإدانة رموز السلطة وأقطابها الذين لعبوا الأدوار الخطيرة في تغيير مسار الإسلام الصحيح.

ومن تلك الحقائق التي تمَّ تسويقها بشكل مقلوب، هي حقيقة حديث الإفك الذي يصوّر للناس أنَّ نفراً من المغرضين رموا عائشة أم المؤمنين بالزنا مع صفوان بن المُعطّل السّلمي - وهي بريئة من ذلك الاتهام - فأنزل الله براءَتها في سورة النور، وتقبلها المسلمون على عِلّاتها عبر أربعة عشر قرناً ولم يقف عندها الباحثون الوقفة التي تنصف وتبرّىء المتهمين الحقيقيين بحديث الإفك، وتجرّم الجناة ولا سيما الذين تولّوا كِبره من الذين تمَّ تجهيلهم إلى يومنا هذا، باستثناء البحث القيّم الذي قدّمه السيد جعفر مرتضى العاملي في كتابه (حديث

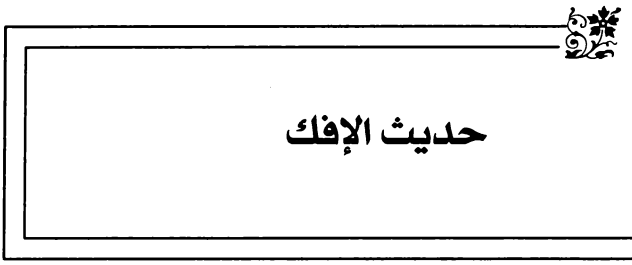
الإفك) وبعض الإشارات المختصرة التي أشار إليها السيد مرتضى العسكري في كتابه القيّم (أحاديث أم المؤمنين عائشة)، مع إشارات أخرى لغيره مبعثرة في بطون الكتب، وفي حدود علمي وإطلاعي لم أهتدِ إلى بحث يرتقي إلى مستوى خطورة هذه المشكلة ويسدّ الثغرات التي ينبغي معالجتها فيما يميط اللثام عن وجه واحدة من أخطر حقائق التاريخ الإسلامي التي ترتبط بكرسي السلطة بأواصر لا يمكن معرفتها إلّا بفكّ رموز الغموض الذي يكتنف حقيقة الحادثة التي أنتجت حديث الإفك، وهو ما حاولت بحثه بعنوان (حديث الإفك في أفق المدرستين).

ولا أدّعي أنني وفيّته ما يستحق لأنه مُسْتلٌّ من البحث المذكور أعلاه، ومن يواجه العبارات التي تشير إلى تفاصيل سابقة أو لاحقة ويرغب بالإطلاع عليها فليرجع إلى كتابي (الفارق في النظر) لأنني لم أعمد إلى فصله إلّا بعد الانتهاء من وقفتي على حديث الإفك، فوجدتُ أنه يستحق أن يكون كتاباً مستقلاً قائماً بذاته.

فكان هذا الكتاب الذي بين يديك.

حسين جواد

السبت ١٨ صفر ١٤٣٠هـ/
الموافق ١٤ شباط ٢٠٠٩م



حديث الإفك

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

أخذ حديث الإفك أوسع المساحات بين الأحاديث التي تحدّثت بها أم المؤمنين عائشة، واستأثر حديثها باهتمام كتّاب السّير والمغازي والمؤرخين والمحدثين والمفسرين، لِما يتطلب من حاجة إلى الشرح والبيان أكثر من غيره وذلك لما ينطوي عليه من إثارة عاطفية تغري بالمشاركة الوجدانية بين الكاتب والقارىء، وتدعوهما لإنصاف المظلومين ودفع الضرر اللاحق بهم من جهة، ومن جهة أخرى تقضي بتجريم الظالمين الذين يفترون على الله ورسوله ﷺ الكذب، بقذف المحصنات من غير دليل، - وهو اتهام المتزوجات بفعل الزنا - قبل التأكد من صحة وقوع الفعل، والذي يحتاج إلى أربعة شهود من الرجال يشهدون بأم أعينهم مشاهدة الفعل بوضوح تام لا يقبل التأويل، مثلما جاء طلب عمر من الشهود في قضية زنا المغيرة بن شعبة التي بسطت فيها القول في كتابي (استعمال الدرة في

(١) سورة النور، الآية: ١١.

غير محلها) بقوله: (بل تشهد أنّك رأيته يَلِجُ ولوج المرْوَد في المُكْحِلَة).

ولا بدّ أن تتعاظم أهمية حديث الإفك ويسير في منعطف خطير عندما يتعرّض لشرف إحدى نساء النبي ﷺ فينال من مقامه الشريف من ناحية ومِن مقامهنّ العالي كأُمهات للمؤمنين مِن ناحية أخرى.

قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[1].

وقبل البحث في حديث الإفك ينبغي الوقوف على معنى كلمة الإفك.

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

(أفَكَ: الهمزة والفاء والكاف أصل واحد، يدل على قلب الشيء وصرفه عن جهته، يقال: أُفِكَ الشيء، وأَفَكَ الرجل إذا كذب. والإفك الكذب)[2].

وجاء في لسان العرب:

(وفي حديث عائشة رضي الله عنها: حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا؛ الإفك في الأصل الكذب)[3].

وقد حقق العلّامة المصطفوي في معنى أَفَكَ حيث جمع ما جاء في معانيها في أهم المعاجم مثل: التهذيب لأبي منصور الأزهري، والعين للخليل، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، والجمهرة

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٢) انظر بادة أَفَكَ في المعجمين.
(٣) انظر مادة أَفَكَ في المعجمين.

والاشتقاق لابن دريد وصحاح اللغة للجوهري، ومصباح اللغة للفيّومي، وأساس البلاغة والفائق للزمخشري، ولسان العرب لابن منظور والمفردات للراغب الأصبهاني.

وخرج بنتيجة مفادها: (إنَّ الأصل الواحد في هذه المادّة: هو القلب والصرف عن وجهه.

وبهذا الاعتبار يُطلق على الكذب، لانصرافه عن الحق والواقع.

وكذلك إطلاقه على الرّياح المنصرفة عن مهابّها، والمدن التي انقلبت عن جريانها الطبيعية، والعقل الذي ينحرف عن كماله وصفائه)[١].

وبما أن جهد المحقق المصطفوي يتركز في البحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطوره وتطبيقه على مختلف موارد الاستعمال في كلمات القرآن الكريم، فقد تابع ما ورد من تقارب بين الإفك والافتراء في الآيات التي تضمّنته فقال: (في هذه الآيات قد وُصِفَ الإفك بالافتراء، وهو قريب من معنى الإفك)[٢] انتهى.



(١) انظر ج١ ص ١٠٩ التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمحقق المفسر حسن المصطفوي، ط١ لسنة (١٣٨٥) مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.

(٢) انظر ج١ ص ١٠٩ التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمحقق المفسر حسن المصطفوي، ط١ لسنة (١٣٨٥) مركز نشر آثار العلامة المصطفوي.



محاكمة حادثة وحديث الإفك



مضى أربعة عشر قرناً على حادثة الإفك، وهي محجوبة بحجاب من الوقار والتكريم لصاحبة الدعوى عائشة أم المؤمنين.

ولم يتجرّأ أحد من الكتّاب على كشف النقاب عن وجه الحقيقة التي تدين وتجرّم صاحبة الجناية التي لبست ثوب البراءة بعد جنايتها.

إلّا محاولات خجلة - يُستثنى منها بحث السيد جعفر مرتضى الحسيني العاملي وعنوانه - حديث الإفك - وبحوث نجاح الطائي التي تكشف عن الأكاذيب الأموية وتقوّض أسس البناء الهيكلي الذي ابتنت عليه بعض المباني في الثقافة الإسلامية. وقد آن الأوان لإعادة النظر في البناء القائم على الإفك والافتراء وتقويض دعائمه، وهذه المسؤولية العظيمة يتشرف بحملها النجباء من عشّاق الحقيقة وأصحاب الأقلام الحرة التي لا تخضع لسلطة الطائفية ولا تتخندق خلف أسوار التحزّب الديني والقومي، والتي لا تخف في الله لومة لائم والتي اتخذت من تسديد الخالق مداداً لأقلامها وكسرت قيود الأنا التي تُعظَّمُ فيها الوجاهة الاجتماعية دون تعظيم وجه الله جل ثناؤه وهذا الميدان يتنافس فيه أهل الصدق والأمانة، وجمهورهم من طلاب الحقيقة في كل زمان ومكان، وقطعاً لن يعدموا من يشن عليهم حملات الاتهام بكل أشكالها.

وهي جزء من الضريبة التي ينبغي أن يدفعها الكاتب الحر الذي يريد وجه الله جل ثناؤه دون وجوه الوجهاء من أصحاب القرار والتأثير في المصالح الدنيوية.

وهذا بحسب فهمي، هو عطاء الأحرار الذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً، ومهما كانت كلفة هذا العطاء، وما يبذل في هذا السبيل من تضحيات فلا يمكن اعتبارها (انتحار) مثلما ورد في استنتاجات عادل رؤوف بقوله:

- الباحث كاذب إذا ادعى الشجاعة المطلقة في الإعلان عن فكره.

- الباحث (الجدي) مضطهد.. وحرية التفكير أكذوبة.

- على الباحث أن يعيش نار الاضطهاد أو ينتحر بالهجوم على هذه الأكذوبة.

- لذلك قررت أن.. لا أنتحر[1]. انتهى.



(١) انظر صفحة (٥٤٣) صناعة العقول بين التقليد الفقهي وثقافة التقليد - عادل رؤوف - الكتاب لا يحمل اسم دار النشر ولا عدد أو تاريخ الطبعة رغم إصداره حديثاً.
أقول: مع تقديري لأهمية وجدّية بحوث عادل رؤوف أتمنى عليه أن يجود بكل ما لديه.



تمهيد عن حادثة وحديث الإفك!



السياسة والغيرة النسوية حملت بحديث الإفك لكنها وضعته مشوّهاً! بعد الاطّلاع على معاني كلمة الإفك وقربها من الافتراء، وجدت أن الحديث الذي نتج عن حادثة الإفك قد وُلِدَ من رحم الغيرة النسوية والحسد المقيت، ثم رضع من ثدي الافتراء، ومن ثم بلغ أشدّه بعد قلبه وصرفه عن وجهه الحقيقي ليأخذ معنى الإفك بامتياز.

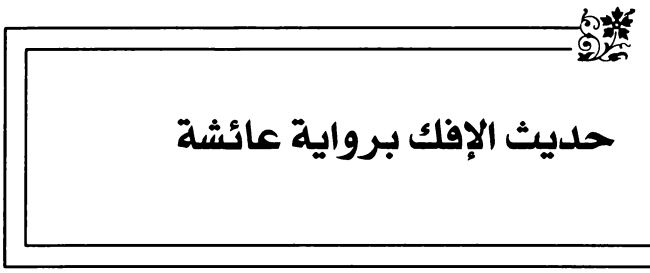
ووجدت أن هناك توافقاً بين أحكام المنطق والوقائع التاريخية التي سأعرضها بعد قليل تحكم بإخلاء سبيل المتهم الأول في قصة - بل في قضية الإفك - وهو المنافق عبد الله بن أُبَي بن سلول الذي (تولّى كبره) أي المتهم الأول بنشر حديث الإفك حسب إدّعاء عائشة.

ونفس الأدلّة التاريخية التي تحكم بإخراج عبد الله بن أبي من قفص الاتهام وجدتها تتفق مع أدلة أخرى لم تأخذ نصيبها في النشرات الإعلامية والإخبارية التي كانت تُذيعها أجهزة أعلام السلطات المتعاقبة التي اهتمت بحديث الإفك، ووجدتها مجتمعة تحكم بتوجيه الاتهام إلى المدعية الوحيدة صاحبة الحق الشرعي في المطالبة برفع مظلوميتها فيما اتُّهِمَتْ به وهي بريئة من فعل الزنا مع

الشاب الوسيم صفوان بن المُعطّل طبقاً للادّعاء الوحيد الصادر عنها ولم يصدر عن غيرها من عديد المشاركين في غزوة المريسيع التي حصلت فيها الحادثة التي أنتجت حديث الإفك.

ثم وجدت من الأدلّة المنطقية والتاريخية التي تحكم بإخراج المدعى عليه (عبد الله بن أبي ابن سلول) من قفص الاتهام بقضية الإفك، ونفس الأدلّة تحكم بوضع المدعية عائشة بنت أبي بكر في مكانه لمحاكمة دعواها محاكمة تاريخية ومنطقية مع حذري الشديد وتأدبي الأشد، ونحن نقترب من دخول الساحة القدسية لمقام أشرف الأنبياء والمرسلين، فإنني أدرك بأنني أقل وأحقر من أن أُحاكم زوجة نبي مرسل فاق شرفه جميع الأنبياء والمرسلين، ناهيك عن حقها في الأمومة إن كنا حقّاً مؤمنين، لكنني بعدما علمت بأدق التفاصيل المتعلقة بحديث الإفك، وتيقنّتُ من جور أمنا وزوجة نبينا ﷺ والظلم الذي مارسته ضد أم لنا غيرها لا تقل عنها مقاماً إن لم تكن أعلى عند الله ورسوله ﷺ، وجدت بأن تكليفي الشرعي يدعوني للوقوف مع المظلومين ضد الظالمين وهو مطلب إسلامي وإنساني وأخلاقي علّمنا إياه سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ.





حديث الإفك برواية عائشة

هو أشهر من أن يُذكر وقد أثبته عموم أهل السّير ومنهم ابن هشام في سيرته، وأهل المغازي ومنهم الواقدي في كتاب المغازي.

وأهل الرجال ومنهم ابن سعد في طبقاته.

وأهل التواريخ ومنهم الطبري في تاريخه.

وأهل الحديث ومنهم البخاري في صحيحه.

وأهل التفاسير ومنهم الزمخشري في كشّافه.

وتكاد تُجمع الأمة على توثيقه وتصديقه إلى درجة لم تعد تعلم أو تسمع أن هناك رواية أخرى معارضة ومخالفة تماماً لرواية عائشة، وينطبق عليها المعنى اللغوي للإفك انطباقاً تاماً وهو قلب الشيء وصرفه عن جهته وهو هنا قلب الحقيقة وصرفها عمّن جاءت براءتها في سورة النور وهي مارية القبطية أم إبراهيم.

بعد افتراء عائشة وتزعمها العصبة التي جاءت بالإفك لانتزاع الشرعية من الوريث المرتقب والمرشح المحتمل لتسلّم منصب النبي ﷺ من بعده وهو إبراهيم الابن الوحيد حينذاك للنبي ﷺ، وذلك باتهام مارية القبطية - وهي هنا زوجة النبي ﷺ ومسلمة مؤمنة ولها ما لباقي زوجاته من حق واحترام ولكن الإعلام الغاشم حاول

تصغير حجمها مثلما كتم صوتها وفسح المجال واسعاً أمام عائشة أن تقول ما صح وما لا يصح ومنه حديث الإفك الذي سيأتيك تفصيله، وكان الله لهم بالمرصاد، فقد تمَّ الكشف عن دليل مادي يقطع ببراءة مارية من جهة ويؤكد توهم العصبة التي جاءت بالإفك من جهة أخرى. ولولا قوة الدليل المادي الذي أفشل خطتهم والذي كان خارجاً عن حساباتهم وما نزل من آيات تُدين فعلتهم، لوجدنا إصراراً شبيهاً بالإصرار الذي كان عليه عمر والعصبة التي كانت معه في اتهام النبي ﷺ بالهجر والذي حال دون كتابة وصيته مثلما فصلت سابقاً[1]. وبعد فشل الخطة الرامية إلى انتزاع الشرعية من إبراهيم بثبوت الدليل المادي أولاً ونزول الآيات بتبرئة مارية وحفظ كرامة النبي ﷺ ثانياً.

تمَّ التحفظ على أسماء العصبة المشاركة بالإفك وتمَّ التكتم على القضية وحصرها بين النبي ﷺ وعلي عليه السلام ومارية وخادمها من جهة وعائشة وحفصة وأبويهما من جهة أخرى، وحصل تسريب من المقربين دون إشهار المذنبين ومما ساعد على طمس القضية، صعود أبي بكر وعمر على رأس السلطة وهو أمر يرتبط بالأسباب التي أنتجت حديث الإفك وقد تكفل إعلام السلطان التغطية على حادثة الإفك الصحيحة التي لم تزل مجهولة لدى غالبية المسلمين، وحلّت محلها رواية عائشة التي يكذّب بعضها بعضاً لما فيها من مجازفات

(١) راجع ما جاء تحت عنوان: لفت نظر إلى آخر ما قال عمر في كتاب (الفارق في النظر إلى شخصية عمر) للمؤلف.

وهفوات ومخالفات لا يقرها المنطق ولا يؤيدها الواقع التاريخي كما سيتضح في الملاحظات التي ستعقب عرضها.

لقد جاءت تبرئة عائشة حسب روايتها، خالية من الدليل المادي الذي يقطع ببراءتها، ولهذا كانت شكوك الباحثين تحوم حول صحة روايتها ولا سيما أولئك الذين لا يتوجعون على الإسلام وأهله ولا يعرفون مقام أشرف خلق الله ﷺ.

ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الباحث الغربي - المستشرق - (ر.ف. بودلي Bodley R.V.E) الذي بحث في حديث الإفك بكتابه «**حياة محمد**» وجاء بأحكام جزافية جائرة تنال من مقام أشرف الأنبياء والمرسلين ﷺ، مستنداً على رواية عائشة التي روّجها إعلام السلطان وقام بتوثيقها أصحاب السير والمغازي وأصحاب الحديث والرجال والمؤرخين والمفسرين الذين ذكرنا بعضهم فيما مرّ ولم يتوقفوا للفحص والتدقيق في صحة الروايات الكاذبة التي سودت صحائف مؤلفاتهم، لمجرد أنها صادرة عن أم المؤمنين وإن كانت تنال من مقام سيد المرسلين ﷺ، ولهذا وجد أعداء الإسلام مرتعاً خصباً في تلك المؤلفات واتخذوا منها سنداً لإثبات الطعون التي تنال من شرف النبي ﷺ وسمعته وسمعة نسائه على حدٍّ سواء.

انظر إلى الطعون التي أثبتها بودلي والتي تتجاوز بنظري حدود الإثم والعدوان على شخص النبي ﷺ وزوجته عائشة وتدخل حيّز الاستهانة والاستفزاز لمشاعر المسلمين من خلال إشاراته غير المؤدبة المبنية على ثقافته الغربية التي أعطت الحرية لنسائهم وسلبت منهم الحياء والحشمة والوقار.

قال بودلي: (لما كانت عائشة هي موضوع الافتراء، فقد كان الشك يحتمل الوجهين، فقد كان في رأس هذه الفتاة من الأفكار أكثر مما في رأس ألف نابه، وكان لها قدرة الحصول على ما تبغي، فقد كانت متمتعة بكل ما يخلب الألباب، وكانت غانية[1] أيضاً ولطبيعتها المستقلة وطفولتها كانت قادرة على إتيان أي شيء دون تحمل مسؤوليته).

هكذا ساق مقدمته في حديث الإفك ليرتب عليها النتائج الخطيرة التي يثبت فيها توقعه لحصول الزنا في الحادثة، لكنه لم يصرّح به بوضوح، انظر قوله بعدما ناقش رواية عائشة ليخرج بالاستنتاجات الظالمة الآتية:

النصّ: (كيف عرف صفوان عائشة بالنظر وعلى الأخص حسب ما جاء في قوله في المدينة بعد ذلك، أنه لم تقع عيناه عليها من قبل؟ إن رواية عائشة إمّا أنها بسيطة وصادقة حتى أنها لتبدو غير محتملة، وإمّا أن صفوان والقلادة شيء واحد ونفس الشيء، وهلا كان صفوان يركب بعيره السريع لينذر القافلة بأن عائشة ليست فيها؟ إن الأمر جميعه غير واضح، وإننا لن نعرف الصواب أبداً، فهناك ثلاثة أشياء لا يراها إلّا الله وحده، هي أثر السمك في الماء، وأثر الطير في الهواء، وأثر الرجل في المرأة، وكانت عائشة تقول بعد ذلك بسنين،

(١) جاء في معاجم اللغة: الغانية: مؤنث الغاني - المرأة التي تُطْلَب وقيل الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة.
وسيعلم القارىء عما قريب أن حسن عائشة وجمالها مصطنع كحديث الإفك.

إنَّ صفوان قد ظهر أنه كان حصوراً لا يأتي النساء، أفهذه ملاحظة شريكة بريئة أم شريكة مذنبة؟)[١] انتهى.

هكذا كانت الشبهات تحوم حول رواية عائشة في حديث الإفك، وتنالها الطعون ليس لاحتمال تورطها مع صفوان بن المُعَطّل كما وصفته الرواية على لسان عبد الله بن أبي أو حسان بن ثابت ومِسطح وحمنة، وليس كما استنتج بودلي وغيره ممن لا يراعون حرمة لله ورسوله ﷺ، وحاشا لله ورسوله ﷺ مما يأفكون، ولكن جاءت هذه الطعون نتيجة للمجازفات والهفوات التي حملتها رواية عائشة في حديث الإفك لأنها ليست واقعية ولا تمتّ للحقيقة بصلة إلّا من جهة صلتها بافتراء عائشة وتزعمها العصبة التي جاءت بالإفك حينما طعنت بحمل مارية ولم تنسبه إلى النبي ﷺ، ولما جاءت براءة مارية بنصّ قرآني يدين الكذابين ويفضح مخططاتهم العدوانية التي كشف عن زيفها الدليل المادي الذي قطع على عائشة سبل الوصول لمرامها، وجدت عائشة أن براءة خصيمتها مارية مدعومة من الله ورسوله ﷺ والمؤمنين وأن قضية الإفك ستكون سبّة عليها مدى الدهر وعلى الذين أيدوها وعاضدوها وهم والدها أبو بكر وعمر وابنته حفصة وهم قياديو العصبة الطامحة للمنصب السياسي الذي سعوا إلى الحصول عليه بأي ثمن فكان لهم ما أرادوا.

وتمَّ اصطناع حديث الإفك من قِبل عائشة بعدما فقدت الدعم

(١) انظر ج٢ ص ٣٧٠ - ٣٧٨، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

السياسي الذي توفرَّ لها في خلافة أبيها وتزايد ذلك الدعم مع غطاء إعلامي كثيف في خلافة عمر، ولكنه بدأ يتراجع في خلافة عثمان حتى أفقدها امتيازاتها السابقة والتي فقدت بموجبها علاقاتها الحميمة بالدولة، وحلّت محلها علاقات العداوة والبغضاء التي وصلت ذروتها حينما رفعت شعار المطالبة بقتل عثمان بن عفان وهو قولها: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر»[١].

❁ ❁ ❁

أما في خلافة علي عليه السلام

فقد تلاحقت خسائر عائشة على أكثر من صعيد، ومع فقدانها الامتيازات السياسية والمادية والاجتماعية التي كانت تحصل عليها في دولة أبي بكر وعمر والتحوّل الكبير في علاقتها بدولة عثمان نتيجة لفقدانها تلك الامتيازات والتي غيّرت مواقفها السياسية من الولاء إلى العداء، إلّا أنها كانت تحظى ببقايا مخلفات الماضي من تأثر القواعد الشعبية بأعلام السلطان الذي جعل من فضل عائشة كفضل الثريد على الطعام وهو ما يعطينا صورة مأساوية عن حاجة الناس الماسة إلى الثريد لصعوبة الحصول عليه ولا سيما في وقت التمييز الطبقي الذي ميّز حكومة عثمان مما ساعد على قيام الثورة ضده، وساعدتها تلك الظروف على قيادة حرب الجمل، ولكن عائشة خسرت الحرب، وكان من المنتظر ضرب أعناق الخارجين عن القانون والذين ساهموا

(١) انظر ج٣ ص ٤٧٧، تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة بالقاهرة لسنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م.

في شق عصا الطاعة وتسببوا في تفريق الجماعة وما نتج عنها من قتل ودمار وما خلفت من ثكالى وأرامل وأيتام، ينبغي أن يتحمل أوزارها القياديون في جبهة عائشة وهي على رأسهم، ومن هنا جاء قول ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة: «والذي جرى لها كان خطأ منها، فأي ذنب لأمير المؤمنين عليه السلام في ذلك! ولو أقامت في منزلها لم تبتذل بين الأعراب وأهل الكوفة، على أن أمير المؤمنين عليه السلام أكرمها وصانها وعظّم شأنها، ومن أحب أن يقف على ما فعله معها فليطالع كتب السيرة. ولو كانت فعلت بعمر ما فعلت به، وشقت عصا الأمة عليه، ثم ظفر بها، لقتلها ومزّقها إرباً إرباً. ولكن علياً كان حليماً كريماً»[1] انتهى.

أقول: رغم خطأ عائشة الكبير وما تستحق من العقوبة المشار إليها برأي ابن أبي الحديد إلّا أن أمير المؤمنين عليه السلام آثرَ إعفاءَها ومن معها ليس لأنهم يستحقون العفو ولا لضعف في صفوفه أو استجابة لضغوط شعبية معارضة، ولكن لِبُعد نظره وعدله وحلمه وحكمته البالغة التي فهمتها الأوساط الشعبية، وهو ما أدّى إلى انكشاف الغطاء الشرعي الذي كانت تستظل به عائشة في خداع أتباعها وهي تضع أحد قدميها في مقام أم المؤمنين والآخر في مقام زوجة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، ونتج عن ذلك تضعضع مقامها وسحب بساط التأييد الشعبي من تحتها حتى بدأت تتلمس أبعاد فشلها

(١) انظر ج١٧ ص ١٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي بيروت.

وخسارتها وخذلانها وجهاً لوجه، وقد أثبت كل من ابن قتيبة والبلاذري جانباً من ذلك.

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار: (دخلت أمُّ أفعى العبدية على عائشة رضي الله عنها، فقالت: يا أم المؤمنين! ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار! قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً؟ [أي عدد من قتلوا في وقعة الجمل] قالت: خذوا بيد عدوة الله)[1] انتهى.

وقال البلاذري في أنساب الأشراف: (عرضت لعائشة حاجة فبعثت إلى ابن أبي عتيق أن أرسل إليَّ بغلتك لأركبها في حاجة. فقال لرسولها: قل لأمّ المؤمنين: واللهِ ما دحضنا عارَ يوم الجمل؛ أفتريدين أن تأتينا بيوم البغلة؟!)[2] انتهى.

هذا ما ظهر من ردود أفعال تجاه خسارة عائشة في حرب الجمل وما خفي كان أعظم.

وفي ضوء ذلك الفشل والخسارة والخذلان سارعت عائشة إلى معالجة الأصوات التي بدأت بهمسات خافتة في أيام مسيرتها بصحبة طلحة والزبير من مكة إلى البصرة وراحت تتعالى لتطعن في طبيعة علاقة عائشة بابن عمها طلحة بن عبيد الله الذي قاد معها حرب الجمل، وقد وجد الطاعنون مصداقاً لظنونهم السيئة في الحكم على

---

(١) انظر ص ١٤٦، عيون الأخبار لابن قتيبة طبعة دار الفكر لسنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م أو ج٢ ص٢٠٢ عيون الأخبار طبعة المؤسسة المصرية العامة لسنة ١٩٦٣م - القاهرة. وانظر ج١ ص٢٥٥ ربيع الابرار للزمخشري طبعة دار الكتب العلمية لسنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م بيروت.

(٢) انظر ص ٤١٩، الجمل للشيخ المفيد، ط٢ لسنة ١٤١٦هـ مكتب الأعلام الإسلامي.

المشاهد التي جمعتها في بعض الخلوات فيما سجل التاريخ من مواقف سابقة تشير إلى طموح ورغبة طلحة في الزواج من عائشة إذا مات النبي ﷺ.

لكن السياسة حاولت التغطية على هذا الموضوع فجهّلت اسم طلحة وهو الوحيد الذي أعرب عن انزعاجه في الاستجابة لحكم الآية الكريمة التي فرضت الحجاب على نساء النبي في سورة الأحزاب وهي: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[1].

قال الزمخشري: (قيل أن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه وأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره النبي ﷺ ذلك فنزلت آية الحجاب، وذكر أن بعضهم قال أَنُنْهى أن نكلم بنات عمنا إلّا من وراء حجاب لأن مات محمد لأتزوجنَّ عائشة فأعلم الله أن ذلك محرّم)[2] انتهى.

هكذا تجاهل الزمخشري ذكر اسم طلحة في تفسيره!

وليس لعائشة ابن عم رافقها في أطول سفرة من مكة إلى البصرة سوى طلحة بن عبيد الله الذي ينسب إليه القول بالرغبة من زواج عائشة بعد النبي ﷺ، وما جمع بينهما في تلك الرحلة الطر ، من

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٢) انظر ص ٨٦٣، تفسير الآية ٥٣ الكشاف للزمخشري، ط١ لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت.

مشاورات ومناقشات أدت إلى الخلوة أحياناً فسمحت للرعاع أن يتذاكروا قول طلحة في أيام حياة النبي ﷺ، وقد خلا لهما الجو في ظروف التوافق والتآلف والتحالف ضد أمير المؤمنين عليه السلام طمعاً بمناصب الدنيا وإغراءاتها ولذلك حصلت تلك الطعون من قبل الرعاع الذين كانوا يسايرون عائشة وطلحة والزبير في حرب الجمل استجابة لمغريات الدنيا أكثر منها استجابة لدواعي الدين، وأعتقد أن نجاح الطائي كان موفقاً في تحديد الزمن الذي انطلقت فيه الطعون المشككة بعلاقة عائشة وطلحة[1]، وأعتقد أن هزيمة عائشة في حرب الجمل ساعدت على انتعاش تلك الطعون، ولو فازت عائشة بتلك الحرب لما سمعنا ولا علمنا بحديث الإفك كما تفصله رواية عائشة لأن الفوز يغطي العيوب، ولمّا كانت الخسارة تؤدي إلى كشف العيوب، والعتاب والحساب، فقد أصبحت الهمسات التي كانت خافتة بين جنودها قبل الهزيمة تتعالى بعد هزيمتها وتسلط الضوء على قاعدة البناء السياسي الذي قادت فيه عائشة حديث الإفك الأول باتجاه الاستيلاء على السلطة مثلما تمَّ لهم ذلك، وأصبحت التسريبات المتعلقة بالافتراء على مارية قابلة للتداول ولم تتم السيطرة عليها ولم يقطع دابرها نهائياً، وفي حالة إضافتها إلى الطعون المستجدة، أصبحت تهدد بالإطاحة بسمعة عائشة وأبيها وعمر وحفصة وهم ركن

(١) انظر ج٤ ص ٢٥٣، السيرة النبوية لنجاح الطائي طبعة دار الهدى لإحياء التراث الأولى - لندن ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م. قال: (وفي هذه الفترة لم يكن النبي ﷺ حاضراً لتصديق أو تكذيب هذا الخبر فاضطرّت عائشة لتحريف حديث الإفك الوارد في حق مارية لصالحها) انتهى.

الأساس الذي قامت عليه حكومة الخلفاء من جهة وقام عليه حكم معاوية بالشام من جهة أخرى، حيث كان يتربص الفرص ليحصد ما أمكنه من نتائج حرب الجمل لصالحه، ولم تكن تحركات عائشة وطلحة والزبير ببعيدة عن مراصد واتصالات وتخطيط معاوية الذي غذّا من خلالها طموحاتهم بالخلافة، ليضمن سرعة اندفاعهم ضد أمير المؤمنين عليه السلام وهكذا كان.

لما بويع علي عليه السلام كتب إلى معاوية: «أما بعد، فإنَّ الناسَ قتلوا عثمان عن غير مشورة مني، وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع، فإذا أتاكَ كتابي فبايع لي، وأوفد إليَّ أشراف أهل الشام قبلك».

فلما قدم رسوله على معاوية، وقرأ كتابه، بعث رجلاً من بني عميس، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام، وفيه:

(بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان: سلام عليك، أمّا بعد، فإني قد بايعتُ لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجَلَب، فدونك الكوفة والبصرة، لا يسبقك إليها ابن أبي طالب، فإنه لا شيء بعد هذين المصرين، وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك، فأظهرا الطلب بدم عثمان، وادعوا الناس إلى ذلك، وليكن منكما الجد والتشمير، أظفركما الله وخذل مناوِئكما! فلما وصل هذا الكتاب إلى الزبير سُرّ به، وأعلم به طلحة وأقرأه إيّاه، فلم يشكّا في النصح لهما من قبل معاوية، وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام)[1] انتهى.

(١) انظر ج١ ص ١٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

كانت تلك بدايات حرب الجمل التي تنافس فيها طلحة والزبير وعائشة على حطام الدنيا، واكتسبت اسمها من الجمل الذي حمل هودج عائشة المصنوع من الخشب والمبطن بالجلود والمغلف بالحديد وهو تدبير يعبر عن إصرارها على قيادة تلك الحرب التي نالت من سمعتها وخيبت أملها بالاستيلاء على السلطة.

ونتيجة للحرج الكبير الذي واجهته عائشة بعد هزيمتها في حرب الجمل وما ترتب عليها من انهيار معنوي بين جنودها الذين باتوا يشككون في صحة مواقف عائشة التي قادتهم إلى الهزيمة التي أورثتهم العار والدمار والندم الذي عبّر عنه عُمير بن الأهلب الضبي فيما يصف مرارة تلك الهزيمة في قوله:

أطِعنا بني تيم بن مُرّة شَقْوَةً

وهل تيمٌ إلّا أعبدٌ وإماءُ[1]

أصبحت سمعة عائشة عرضة للنقد وأصبح المزاج العام قابل للنظر في ماضي عائشة التي كانت على رأس العصبة التي جاءت بحديث الإفك الذي طعنت فيه بشرف مارية أم إبراهيم كما سيتوضح أكثر في مستقبل البحث!

أدركت عائشة خطورة هذا الموقف، من خلال قراءتها للخارطة السياسية وباعتمادها على مساندة معاوية وإعلامه القائم على استغفال الجماهير أقدمت على تزوير حديث الإفك لصالحها لتستعيد ثقة

(١) انظر ج٣ ص ٣٥٢، تاريخ الطبري - مطبعة الاستقامة بالقاهرة - سنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م.

الناس بسمعتها التي تعرّضت للنقد واعتمدت على ذكائها في اصطناع الأحداث التي أنتجت حديث الإفك لكنها لم تستطع سد الثغرات والهفوات والسقطات التي تضمنها حديثها كما سيتوضح في عرض الملاحظات التي ستعقب عرض حديث الإفك بعد قليل.

ومن هنا جاء حرص من ينصحون أتباعهم بعدم الإطلاع على خبايا التاريخ الإسلامي ولا سيما البحوث التي تناقش الخلافات التي جرت بين كبار الصحابة وما يتعلق منها بسلوك الخلفاء والصراعات على المناصب، وتكتموا على خلافاتهم لأن حلقاتها متصلة مع بعضها وعندما ينهار جانب منها تتبعه انهيارات في جوانب أخرى لتكشف المزيد من الحقائق التي كتموها!

وتابعهم بالثناء على حجب الحقائق التاريخية المهمة الباحثون عن الشهرة والبروز على حساب الدين، مثل قول أحمد الكاتب:

(وحسناً فعل أهل السُّنة بالدعوة إلى طي صفحة الماضي وعدم الغوص كثيراً في أحداث التاريخ السحيق)[1] انتهى.

وهي محاولات مكشوفة للهرب من مواجهة الحقائق التي تدين المدانين!

بعد التمهيد الذي قدمته عن حادثة حديث الإفك أقدم نصّ رواية عائشة الذي أثبته البخاري في صحيحه ثم أعقب عليه بما يستحق من بحث وتحليل وملاحظات.

---

(١) انظر ص ١٧١، السنة والشيعة - وحدة الدين - الطبعة الأولى لدار الشورى - لندن، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

النصّ: (٤١٤١ - حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال: حدثني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها: أهل الإفك ما قالوا وكلهم حدثني طائفة من حديثها وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض، وأثبت له اقتصاصاً وقد وعيتُ عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدّق بعضاً وإن كان بعضهم أوعى له من بعض).

قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ إذا أرادَ سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما أُنزل الحجاب، فكنت أحمل في هودجي وأنزلُ فيه، فسِرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزتُ الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رَحْلي فلمستُ صدري فإذا عِقدٌ لي من جزع ظفار قد انقطع، فرجعتُ فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه - وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يَهبُلن ولم يغْشَهنَّ اللحم، إنما يأكُلْنَ العُلقة من الطعام - فلم يستنكر القوم خِفّة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها منهم داعٍ ولا مجيب،

فتَيَمَّمتُ منزلي الذي كنتُ به، وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ. فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوان بن المُعَطّل السُّلَمي ثم الذَّكْواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائِم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمّرتُ وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته فوطىء على يدها، فقمتُ إليها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة وهم نزول.

قالت: فهلك من هلك.

وكان الذي تولى كبر الإفك عبد الله بن أبي ابن سلُول، قال عروة: أخبرِتُ أنه كان يُشاعُ ويُتحدّثُ به عندهُ فيقرّه ويستمعه ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يسمَّ من أهل الإفك أيضاً إلّا حسان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا علمَ لي بهم، غير أنهم عُصبة - كما قال الله تعالى - وإن كِبَرَ ذلك يقال عبد الله بن أبي بن سلول، قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان وتقول إنه الذي قال:

فـــإنَّ أبـــي ووالـــدَهُ وعِـــرضـــي

لِـعـرْضِ مـحـمـدٍ مِـنـكـمْ وقـاءُ

قال عائشة: فقدمنا المدينة، فاشتكيت حين قدمتُ شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنتُ أرى منه

حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله ﷺ فيسلّم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف، فلذلك يريبني ولا أشعر بالشرَّ، حتى خرجتُ حين نقهتُ، فخرجت مع أم مسطح قِبَل المناصع - وكان متبرّزنا، وكنا لا نخرج إلّا ليلاً إلى ليل - وذلك قبل أن نتخذ الكُنُفَ قريباً من بيوتنا، قالت: وأمرنا أمر العرب الأوَل في البرّية قِبَلَ الغائط وكنا نتأذى بالكُنُفِ أن نتخذها عند بيوتنا. قالت: فانطلقتُ أنا وأم مِسطح - وهي ابنة أبي رُهْمِ بن المطلب بن عَبْد المطلب - فأقبلتُ أنا وأُم مسطح قَبِل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فقلت لها: بئسَ ما قلتِ، أتسبين رجلاً شَهِدَ بدراً؟ فقالت: أيْ هَنَتَاهُ، ولم تسمعي ما قال؟ قالتْ: وقلتُ: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددتُ مرضاً على مرضي. فلما رجعتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله ﷺ فسلّم ثم قال: كيف تيكم؟ فقلتُ له: أتأذن لي أن آتي أبويَّ؟ قالت: وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فقلت لأمي: يا أُمَّتاهُ، ماذا يتحدثُ الناسُ؟ قالت: يا بنية، هوني عليك، فواللهِ لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبّها لها ضرائر إلّا أكثرنَ عليها. قالت: فقلتُ: سبحان الله، أو لقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقَأُ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحتُ أبكي. قالت: ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيدٍ حين استلبثَ الوحيُ يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله وبالّذي يعلم لهم في نفسه، فقال أُسامة: أهلك ولا نعلم إلّا خيراً. وأما علي فقال: يا رسول الله،

لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثيرٌ، وسل الجارية تصدُقك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبُك؟ قالت له بريرة: والذي بعثكَ بالحق، ما رأيتُ عليها أمراً قط أغمصه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله. قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أُبي - وهو على المنبر - فقال: يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمتُ على أهلي إلّا خيراً. ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلّا خيراً، وما يدخل على أهلي إلّا معي. قالت: فقام سعد بن معاذ - أخو بني عبد الأشهل - فقال: أنا يا رسول الله أُعذِركَ، فإن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا أمرك، قالت: فقام رجل من الخزرج - وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج. قالت: وكانت قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميّة - فقال لسعيد: كذبتَ لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببتَ أن يقتل، فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد - فقال لسعد بن عبادة: كذبتَ لعمر الله، لنقتلنَهُ، فإنكَ منافق تجادل عن المنافقين. قالت: فثار الحيّان الأوس والخزرج - حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، قالت: فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكن. قالت: فبكيتُ يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحل بنوم. قالتْ: وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحل بنوم، حتى إني

لأظنّ أن البكاء فالق كبدي. فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها فجلست تبكي معي.

قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ علينا فتسلَّم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ولقد لبثَ شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهَّدَ رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: أمّا بعد يا عائشة إنه بلغني عنكِ كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرِّئك الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترفَ ثم تابَ تابَ الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلصَ دمعي حتى ما أحس منه قطرة، فقلتُ لأبي: أجب رسول الله ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت لأُمِّي: أجيبي رسول الله ﷺ فيما قال، قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. فقلت - وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً -: إني والله لقد علمت ولقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدّقتم به، فلئن قلتُ لكم إني بريئة لا تصدّقونني ولئن اعترفتُ لكم بأمر - والله يعلم أني منه بريئة - لتُصَدّقني، فوالله لا أجدُ لي ولكم مثلاً إلّا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[1].

ثم تحوّلتُ واضطجعتُ على فراشي، والله يعلم أني حينئذٍ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءَتي، ولكن والله ما كنت أظن أنّ الله تعالى منزلٌ في شأني وحياً يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلّم اللهِ فيَّ

(١) سورة يوسف، الآية: ١٨.

بأمر، ولكن كنتُ أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فوالله ما رامَ رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرجَ أحدٌ من أهل البيت حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى أنّه ليتحدّر منه من العرق مثل الجُمان - وهو في يوم شات - من ثقل القول الذي أُنزل عليه. قالت: فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكانت أوَّل كلمة تكَلَّمَ بها أن قال: يا عائشة، أمّا الله فقد برَّأك، قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، فإني لا أحمد إلّا الله عز وجل.

قالت: وأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾(١) العشر الآيات. ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق: - وكان ينفق على مسطح بن أُثاثة لقرابته منه وفقره -: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾(٢) إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٣).

قال أبو بكر الصديق: بلى والله، إني لأحبُّ أن يغفر الله لي. فرجع إلى مِسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبداً. قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال لزينب: ماذا علمتِ أو رأيتِ؟ فقالت: يا رسول اللهِ احمي سمعي وبصري، والله ما علمتُ إلّا خيراً. قالت عائشة: وهي

(١) سورة النور، الآية: ١١.
(٢) سورة النور، الآية: ٢٢.
(٣) سورة النور، الآية: ٢٢.

التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله بالورع. قالت: وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك، قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط.

ثم قال عروة: «قالت عائشة: واللهِ إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فوالَّذي نفسي بيده ما كشفتُ من كنف أنثى قطُّ، قالت: ثم قُتِلَ بعد ذلك في سبيل الله»](١) انتهى. النصّ الذي أثبته البخاري في صحيحه كما أثبته غيره بنفس المضمون وإن اختلف معه بالنصّ.



(١) انظر ج٢ ص ٩٣٤ - ٩٣٧، صحيح البخاري، ط١ لسنة ٢٠٠٤م دار الآفاق العربية - القاهرة - كتاب المغازي - باب حديث الإفك وانظر ص ١٠٨١ - ١٠٨٤ كتاب التفسير - سورة النور، الآية: ١١.



مناقشة الهنات الواردة في رواية عائشة لحديث الإفك!



كان للإعلام الأموي دوره المهم في تمرير أحاديث عائشة وإعطائها صفة الحصانة التي لا تسمح للنابهين فضلاً عن الغافلين بمناقشة مضامينها حتى لو عارضها المنطق وخالفها واقع التاريخ.

إن الكتّاب الذين حققوا أهداف الاعلام الأموي قد أثبتوا حديث الإفك وحاولوا التغطية على حقيقته وترويج أكذوبة عائشة لأنها الحل الوحيد الذي يستر الفضيحة العظمى والجناية الكبرى التي ارتكبها الأوائل الذين اعتلوا مراكز السلطة وأمسكوا بزمام الإعلام وما نتج عنه من منع تدوين الحديث[1]، ومنع تداوله شفاهاً، ومنعوا حتى السؤال عن معاني الآيات القرآنية، واتخذوا التدابير التي تحول دون كشف الأسرار لكيلا يطّلع المسلمون على ما يهدّد عروش الفضائل التي قامت على الكذب من أن تتهاوى أمام إعصار الحقيقة الذي

(١) من هنا جاء سؤال عالم سبيط النيلي: هل سمعتم بحكومة تخلف نبي وتقود أمة لا تحتاج إلى سنته ودستور حكمه وأقضيته؟ انظر ج٢ ص ٥٤، الطور المهدوي. ومن يرغب بالاطلاع على أعذار القائمين على المنع والمعتذرين عنهم فليرجع إلى كتاب منع تدوين الحديث - تأليف علي الشهرستاني - وتاريخ الحديث النبوي بين سلطة النص ونص السلطة - تأليف السيد محمد علي الحلو - حيث وجدت في بحثهما تسهيلاً لمن يعاني من سوء هضم الأفكار.

سيضرب الأسس التي قامت عليها تلك الفضائل ويطيح بها إن عاجلاً أو آجلاً!.

ولا بدّ أن يعلم القارىء الكريم بأن هناك فروق واختلافات بين الرواة في نقل حديث الإفك عن رواية عائشة، وانتقل هذا الاختلاف إلى مؤلفات الكتّاب فازداد واتسع وأصبح حصره وتتبعه أمراً لا يسعه بحثنا هذا، ولذا فإنني سأحصر ملاحظاتي فيما أوردت من رواية عائشة كما جاءت في صحيح البخاري دون النظر إلى غيره إلّا بحكم الضرورة.





ملاحظات عن حديث الإفك برواية عائشة



الملاحظة الأولى:

نقل البخاري حديث الإفك عن ابن شهاب الزهري وهذا نقل عن الذين سمعوا من عائشة مباشرة دون السماع من المتهمين برمي عائشة بالإفك أو ممن نقل عنهم، وهكذا باقي الروايات في مختلف المصادر.

فإذا افترضنا جدلاً صدق الجميع ستكون المسؤولية في النقل مسؤولية عائشة لوحدها عن صحة ما ترويه أمام الله ورسوله ﷺ والتاريخ والأجيال.

وهذا يطرح إشكالاً شبيهاً بالأشكال الذي طرحته عن تسمية عمر بالفاروق والتي لا ينبغي أن يجهلها ابن عباس - كما سيأتي في محله - إذا كانت شائعة كل هذا الشيوع في وقتها[1]:

وهذا الإشكال تضمنه سؤال العسكري في بحثه الرصين في حديث الإفك وهو:

«كل هذه القصص الطويلة كيف اقتصرت روايتها على أم

(١) راجع كتاب الفارق في النظر إلى شخصية عمر للمؤلف.

المؤمنين عائشة؟ أكان الله قد ختم أفواه آلاف الصحابة فلم يستطع أحد غيرها أن يحدثنا بشيء منها؟!!!»[١] انتهى.

والسؤال الأكثر وضوح:

ألم يدعو إلى الغرابة ألّا يسمع البخاري وغيره من أحد المتهمين بنقل تفاصيل حادثة الإفك، إذا كان خبرها شائعاً وتلوكه أشداق الناس لمدة شهر؟ وإذا كان عبد الله بن أبي بن سلول هو الذي تولى كبره حسب إدعاء عائشة، فلا بدّ أن يكون كلامه الذي شاع أمام أناس ليسوا صُمّاً ولا بُكماً لكي يتم نشره، ولكن لم يدّع أحد سماعه من عبد الله بن أبي أو ممن سمع منه!!

فهل وسعت صدور المستمعين له الاحتفاظ بالحديث ولم يخبروا أحداً؟

وإذا كان كذلك، فكيف عرف الناس بحديث الإفك؟ وتنطبق نفس الأسئلة على باقي المتهمين بترويج حديث الإفك وهم حسان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة وحمنة بنت جحش، كما يرد نفس الإشكال بحق بطل الأكذوبة - صفوان بن المعطل - في معرض الدفاع عن نفسه أمام الآخرين على الأقل لتكذيب المفترين!

هذه الإشارة الأولى التي تنذر بوضع الحديث على طاولة الاتهام لمحاكمته وفق أحكام المنطق الذي سيوافقه الواقع التاريخي على تكذيب هذا الحديث رغم أنوف الكثرة الكاثرة من الرواة والمحدّثين

---

(١) انظر ج٢، ص ١٧٩، أحاديث عائشة أم المؤمنين لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

وأهل السير والمغازي والمؤرخين والمفسرين وأهل علم الحديث الذين ذكرت بعضهم من الذين رووا هذه المجازفات ولم يقفوا عندها لكون الراوي الأول لها عائشة أم المؤمنين.

❁ ❁ ❁

الملاحظة الثانية:

عن حرص البخاري وباقي كتّاب مدرسة الخلفاء، على إثبات كلام الزهري في تقويمه لكلام الرواة بما يبرىء ذمته مما ورد في حديث الإفك من إشكالات ربما تغافلوا عنها إن لم يغفلوها ومنها:

١ - (إنَّ كل واحد ممن حدّث الزهري كان يحفظ طائفة من الحديث وليس كله) وهو كما لاحظت طويلاً ويتضمن قصصاً ونزاعات قاربت سفك الدماء!

٢ - (كان بعضهم أوعى لحديثها وأثبت اقتصاصاً): هذه العبارة بتقديري جاءت للتغطية على الاختلافات التي ساهم الزهري في إخفائها بقوله (وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة): أي إن الصياغة الأخيرة كانت بعهدة ابن شهاب الزهري.

٣ - إنَّ التكرار الحاصل في قوله: (بعضهم أوعى من بعض وبعض حديثهم يصدق بعضاً) إنما تساوره الشكوك حول مصداقية المتحدّثين إليه عندما يعارضها المنطق ويخالفها الواقع التاريخي، فلو كانت الحادثة صحيحة والرواية صادقة لما توقف عندها الباحثون بين مشير إلى تناقضاتها وكذبها وبين من يبرر ويختلق أسباباً يرفضها

الواقع. ولجرت على كل لسان ولم تقتصر روايتها على نفر من المشكوك في ذممهم، وأولهم الزهري، ولو سلمت نيته لما احتاج إلى مثل هذه المقدمة التي تطالب بالانضواء تحت عنوان (يكاد المريب يقول خذوني).

ويرجع اعتقادي بالشك في ذمة الزهري وبعض من روى عنهم إلى اتصافهم بالنفاق بناءً على بغضهم لأمير المؤمنين علي عليه السلام استناداً إلى الحديث النبوي المتفق على صحته عند الشيعة والسُّنة.

جاء في الاستيعاب: (وروت طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لا يحبّكَ إلّا مؤمنٌ ولا يبغضك إلّا منافق)[1] انتهى.

وجاء في ترجمة الزهري وعروة بن الزبير ما يثبت بغضها لعلي عليه السلام.

فقد وثّق العاملي في كتابه حديث الإفك ما يأتي:

النصّ: (وأمّا الزهري فهو أيضاً كان منحرفاً عن علي عليه السلام، قال محمد بن شيبة: شهدت مسجد المدينة، فإذا الزهري وعروة بن الزبير قد جلسا، فذكرا علياً، فنالا منه.

وعدّه الثقفي من فقهاء الكوفة، الذين خرجوا عن طاعة علي، وكانوا أهل عداوة له وبغض وخذلوا عنه)[2] انتهى.

---

(١) انظر ج٣ ص ٣٧، الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر، وانظر ج٣ ص ٤٩٦، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر طبعة دار الفكر الأولى لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م بيروت.

(٢) انظر ص ٦٣، حديث الإفك لجعفر مرتضى العاملي المطبوع سنة ١٣٩٩هـ.

قال نجاح الطائي: (الزهري وعروة بن الزبير عاشا في حضن طاغية بني مروان عبد الملك في ترف مقابل كذبهما في الحديث).

وأضاف قوله: (وروى عاصم بن أبي عامر البجلي عن يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه، وقالت أخت الزهري عنه: إنه باع دينه لبني أميّة مقابل جوائزهم)[١] انتهى.

وجاء في شرح النهج: (وقد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذه الزَّمَع (الرعدة) عند ذكر علي عليه السلام فيسبه ويضرب بإحدى يديه على الأخرى ويقول: وما يغني أنه لم يخالف إلى ما نهي عنه، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق!)[٢] انتهى.

والسؤال: لماذا لا يحمّل خالته عائشة جزءاً من تلك الدماء؟ وإذا بلغ به البغض والتحامل على مَن لا يبغضه إلّا منافق حتى تأخذه الرعدة فما الذي يكفه عن الكذب والنفاق لمصلحة خالته عائشة ومصلحة النظام السياسي المؤيد لأطروحتها؟ وتنطبق صفة النفاق على سعيد بن المسيب لانحرافه عن علي عليه السلام أيضاً[٣]. ولهذا ينبغي أن يكون حديث الإفك ورواته محل نظر الدارسين والباحثين.

❁ ❁ ❁

(١) انظر ج٣ ص ١١٤ - ١١٥، سيرة الإمام علي عليه السلام لنجاح الطائي، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار الهدى لإحياء التراث - بيروت - لندن.

(٢) انظر ج٤ ص ٢٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٣) انظر ص ٦١، حديث الإفك لجعفر مرتضى العاملي المطبوع سنة ١٣٩٩هـ وقد بحث في تركيب أسانيد وروايات الإفك بحثاً موفقاً.

الملاحظة الثالثة:

جاء في الرواية: (**فآذن ليلة الرحيل**). فإذا كان الوقت ليلاً وهو ستّار لمن يريد قضاء حاجته، فما الذي أجبر عائشة على تجاوز الجيش؟

وإذا اقتضت اللياقة والكياسة الابتعاد عن الناس لقضاء الحاجة نزولاً عند رغبات النفس والأمزجة الخاصة، فلا يقتضي ذلك تجاوز معسكر جيش جرّار ينفتح على مساحة واسعة يحل فيها الرجال والرحال ورواحلهم من أجل قضاء حاجة!!

أفلم يكن في محط تلك الرحال عِوَجاً ولا أمتاً؟

أفلم تستتر وراء شارف أو شجرة أو شجيرة تكف عنها الأنظار؟

هذا إذا كانت هناك أنظار تتابعها في ذلك الليل البهيم!

أو تنسل إلى حفرة أو منخفض يسترها عن عيون الناس؟

وإذا تعلّق كل هذا التحفّظ بأنظار الناس، فكيف غفلت عنها تلك الأنظار ولم تلحظ ذهابها وإيابها؟ ولماذا لم تفتقدها عند الرحيل؟ وفي جواب ذلك:

أرى أنه ليس من المنطق أن تتسلل امرأة من رحلها دون إخبار المرحّلين لها وتمشي لوحدها بين الرجال ليلاً بدون مرافق ولا دليل فتقطع كل هذه المسافة من أجل قضاء حاجة يمكن أن تقضيها بمكان قريب.

أما العذر المتعلق بانقطاع عقدها:

فلا أدري بأي منطق تلبس العقد الثمين وهي متوجهة إلى ساحة

حرب وليست حفلة عرس! وأي سبب قاهر أدى إلى انقطاع العقد في هذا التوقيت دون حصول شدة خارجية؟

وإذا علمنا بأن ثمن العقد يساوي (١٢)[١] درهماً سيكون واضحاً لدينا أن هذا العذر منقطع وهو أوهن من سابقه في تبرير التأخير الذي حال دون اللحاق بالقافلة.

وحتى إذا زاد ثمن العقد عن (١٢) درهماً! فهل يستحق ثمنه كل هذا التأخير مقابل ثمن الطعون التي خاض بها أهل الإفك في رواية عائشة؟

أم أن اختلاف الرواية وما ينتج عنها من طعون لمست بعضها عند بودلي وغيره هو الثمن الأقل الذي اضطرت عائشة لتقديمه مقابل دفع الضرر اللاحق بسمعتها إذا ما شاع بين المسلمين خبر نزول آيات الإفك في تبرئة مارية من افتراءات عائشة وحفصة وأبويهما؟

❁ ❁ ❁

الملاحظة الرابعة:

جاء في الرواية: **(وأقبل الرهط[٢] الذين كانوا يرحّلوني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه)**.

---

(١) انظر ص ٢١٨، حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني العاملي طبعة سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) الرهط: (العصابة من ثلاثة إلى عشرة، وقال الخليل: ما دون السبعة إلى الثلاثة نفر) انظر ص ٤٠٦ معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ط١ لسنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

وأوعزت السبب في عدم إحساس المرحّلين بوجودها من عدمه إلى خفة وزنها!

لكن الواقدي[١] ذكر أن المسؤولين عن حمل هودج عائشة في حلها وترحالها هما أبو مويهبة وآخر معه.

وزيد العدد باعتقادي للمساهمة في تمرير وتبرير أكبر أكذوبة في الرواية لكي تساعد تلك الزيادة على سهولة حمل الهودج دون الإحساس بوجود عائشة فيه من عدمه لكي تنهض الأكذوبة وتنجو من الطعون التي تكشف زيفها، لعلها تمرّ بسلام.

وقد مرّت على المغفلين والمتغافلين لكنها لا يمكن أن تمر على الباحثين عن الحقيقة بنظر لا تبهره العناوين ولا تغشاه الهالات المحيطة بها.

ومن هنا جاء تساؤل مرتضى العسكري عند وقوفه على تلك الأكذوبة، فقال: (وشيء آخر في هذا الحديث لا أكاد أفهمه وهو أن الهودج كيف يحمله الحاملون ولا يشعرون خلوّه من راكب مهما كان ذلك الراكب خفيفاً؟)[٢] انتهى.

أقول: لا بدَّ أن تتأثر حركة جسمها في حالة رفع الهودج فتؤثر في توازنه في أيدي الرجلين عند رفعه أكثر من متر لتجاوز سنام البعير في حالة بروكه وهنا لا بدَّ أن يتأثر جسم عائشة يميناً أو شمالاً بما

---

(١) انظر ج٢ ص ٤٢٧، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٢) انظر ج٢ ص ١٧٦، أحاديث عائشة أم المؤمنين لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

يجبر الرجلين على الإحساس بوجودها في الهودج من عدمه بغض النظر عن وزنها لتعلق الأمر هنا بالتوازن أكثر من تعلقه بالوزن. هذا إذا قبلنا وسلمنا بأن المرحلين لا يمتلكون الفضول في محادثة أمهم ومجاملتها في حلها وترحالها، ولا يشعرون بالمسؤولية ليتأكدوا من ركوب امرأة نبيّهم ﷺ وهذا إذا لم يهتم النبي ﷺ بحلها وترحالها ويتأكد من رعايتها وتسليمها بأيدي ترعاها الرعاية التي تليق بمقامها ولا تتركها لوحدها من بين آلاف المشاركين مما يجعلني لا أُسلّم بصحة هذه الرواية لأنها ليست مقنعة لما وجدت فيها من نقاط الضعف الكثيرة التي استوقفت الباحثين قبلي.

قال بودلي في كتابه حياة محمد:

(فإن في رواية عائشة نقطاً ضعيفة. كيف تنطلق عائشة دون أن تخبر أحداً وهي تعلم أن القافلة وشيكة الرحيل، ثم تضيّع وقتاً طويلاً في البحثِ عن قلادتها؟)[1].

هذه النصوص تصرخ بالبيان والإعلان عن كذبة الرواية!

لكن بودلي وجّه تشكيكه - في بيان كذبة الرواية - صوب الطعون التي يريدها هو في جعل سبب التأخير يعود إلى الاتفاق المسبق بين عائشة وصفوان بن المُعَطّل، وذلك من خلال تأكيده على أهمية الوقت الذي ينبغي أن تراعيه عائشة أولاً ، وتأكيده على أن الوقت كان كافياً لقضاء الحاجة والبحث عن العقد ثانياً.

---

(١) انظر ج٢ ص ٣٧٧، أحاديث عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

انظر النصّ: (إنَّ عنصر الوقت هنا هام. إن المعسكر العربي يحتاج إلى وقت لرفعه وعلى الأخص معسكراً كبيراً كمعسكر قوة مغيرة، وحتى إذا ما سارت المجموعة الرئيسة من الجمال في طريقها فهناك المتخلّفون، وقلّما يتحرك قطار الإبل سريعاً)[١].

ولما وجد بودلي أن سبب التأخير غير منطقي - وهو محق في ذلك - لكنه غير محق فيما ذهبت إليه ظنونه الآثمة التي أوصلته إلى نتائج كان أخطرها قوله: (إنَّ صفوان والقلادة شيء واحد ونفس الشيء)[٢].

أقول: إنَّ المنطق يكذِّب رواية عائشة ومَن يصدقها ويسقط ما يترتب عليها من نتائج ومنها النتيجة القاسية التي توصل إليها بودلي وغيره ممن لا يتوجعون على الإسلام وأهله.

وإنَّ داعي الحق يدعو المنصفين من الباحثين إلى إعادة النظر في حقيقة حديث الإفك وأن ينظروا بعين الاعتبار إلى رواية أهل البيت عليهم السلام والتي لخصها العسكري فيما سنذكر بعد قليل على أنّنا ينبغي أن نميّز بين مَن يشكك في رواية عائشة لغرض إثبات علاقتها بصفوان بن المعطل مثلما يلمح بودلي وغيره ممن لا يراعون حرمة الله ولرسوله صلى الله عليه وآله ونحن ننفي ونرفض بشدة مثل هذا التشكيك والاتهام الظالم!

---

(١) انظر ج٢ ص ٣٧٧، أحاديث عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

(٢) انظر ج٢ ص ٣٧٧، أحاديث عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

وبين مَن يشكك في صدق الرواية التي اختلقتها عائشة لغرض إثبات نفي مسؤوليتها عن حديث الإفك مثلما بحثها مرتضى العسكري فتوصل إلى النتيجة الآتية:

(إذا رجعنا إلى كتب الحديث والتفسير بمدرسة أهل البيت وجدنا في روايات متعددة عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام من ولده الإمام الباقر والإمام الصادق والإمام الرضا عليهم السلام ما موجزه:

إنَّ ملك القبط أهدى إلى الرسول صلى الله عليه وآله غلاماً يُدعى جريج وجارية تُدعى مارية القبطية، فأسلما وحسن إسلامهما. فضم الرسول صلى الله عليه وآله الجارية إليه فولدت له إبراهيم فكان يحبهما حبّاً شديداً وأصبح سبباً لحسد أم المؤمنين عائشة، وأم المؤمنين حفصة، حتى قالتا مع أبويهما للرسول صلى الله عليه وآله : إن إبراهيم ليس بابنك؟! بل هو ولد الغلام جريج ونحن نشهد على ذلك. وعلى الرغم من علم الرسول صلى الله عليه وآله بكذب الشهادة والتهمة لما كان يلهمه من أثر في النفوس أراد أن يظهر الأمر ويبيّن الحقيقة لأصحابه فأمر علياً - وهو غاضب - أن يذهب ويقتل الغلام جريجاً، وقال له: إذا بان لك أن الأمر على غير ما قيل فلا تتعرض له بسوء.

فذهب الإمام علي عليه السلام إلى جريج شاهراً سيفه، ففرّ جريج من خوفه وتسلق شجرة فتبعه الإمام علي فأهوى جريج بنفسه على الأرض فانحسر ثوبه عن رجليه فبان لعلي أنه ممسوح، فأتى به الرسول صلى الله عليه وآله وعرضه عليه ما رأى منه. فأحضر الرسول صلى الله عليه وآله أصحابه فشاهدوا الغلام وانكشف أمرهم وبطلت تهمتهم. فجاؤوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله

يطلبون المغفرة. . . الحديث فنزلت الآيات بتبرئة الجارية مارية وجريج عن التهمة التي اتهما بها)[١] انتهى.

أما جعفر العاملي فقد وقف على أكذوبة الهودج والتناقض فيها فقال: (ما ورد في الرواية: أنهم رحلوا هودجها، ولم يشعروا بأنها لم تكن فيه **فأولاً**: أننا نجد التصريح في الروايات: أنها كانت في هذه الغزوة سمينة فقد روى في الامتاع والواقدي: إنه ﷺ تسابق في هذه الغزوة المريسية مع عائشة، فتحزمّت بقبائها، وفعل هو كذلك، ثم تسابقا، فسبقها رسول الله ﷺ وقال لها: هذه تلك التي كنت سبقتني، يشير إلى مسابقة أخرى سابقة.

وينصّ ابن الجوزي، وأبو داود، وغيرهما: أنها كانت في الغزوة التي سبقها فيها النبي قد سمنت وحملت اللحم.

وإذن فكيف تكون مهزولة تارة، حتى لا يحس بها حاملوها، وسمينة تحمل اللحم أخرى، حتى يسبقها النبي ﷺ؟!

وثانياً: مهما فرض فيها من ضعف البنية، وحتى لو فرضناها هيكلاً عظيماً.

فإن وزنها لا بدَّ وأن يكون (٣٠) كيلوغراماً على الأقل. . . وعلى هذا. . . فكيف لا يشعر الذين يحملونها في هودجها - وكانا رجلين فقط - بأنها ليست فيه؟)[٢] انتهى.

---

(١) انظر ج٢ ص ١٨٤، أحاديث عائشة أم المؤمنين لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٨٩م المجمع العلمي الإسلامي. وانظر تفسر البرهان لسورة النور.

(٢) انظر ص ٩٤ - ٩٥، حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني العاملي طبعة سنة ١٣٩٩هـ.

الملاحظة الخامسة:

جاء في الرواية: (فقلت لأمي: ماذا يتحدّث الناس؟ قالت: يا بنيّة هوّني عليك فوالله لقلّما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبّها لها ضرائر إلّا أكثرنّ عليها. قالت: فقلت سبحان الله، أوَ لقد تحدّث الناسُ بهذا).. الرواية.

الملاحظ هنا أنَّ عائشة تسأل عما تحدّثَ به الناس وجواب أمها عن الضرائر!

والسؤال هنا: ما علاقة الضرائر بحديث الإفك الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول حسب إدعاء عائشة ولم تذكر هي ولا غيرها أي كلام من الضرائر ولو قليل مما أكثرن عليها؟

والجواب: ليس هناك علاقة بين سؤال عائشة وجواب أمها الذي تتهم فيه الضرائر بالإكثار عليها في حديث الإفك، إلّا ما أرادت عائشة إثباته عن حب النبي ﷺ لها لكونها وضيئة. وهذا الأمر يحتاج إلى أن يتفكر فيه القارىء والباحث.

إذ لم يقل أحد بجمال عائشة غير ما ورد على لسانها في مختلف المناسبات. بعكس ما ورد من روايات تكذّب ذلك الجمال المزعوم وتعطي صورة منافية له. فقد ذكر الذهبي في ترجمة سهيل بن ذكوان قوله: (إنها كانت سوداء)[1].

---

(١) انظر ج٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ميزان الاعتدال للذهبي طبعة دار الفكر - بيروت. تحقيق علي محمد البجاوي.

وقال عباد بن العوّام: (قلت لسهيل بن ذكوان: أرأيتَ عائشة؟ قال: نعم، قلت: صفها لي، قال: كانت أدماء)[١]. لكنهم سارعوا إلى تكذيبه لأنه يناقض رغباتهم.

وقال ابن حجر في لسان الميزان: (بوجهها أثر جدري وأنها كانت أدماء (أي سوداء)[٢].

وقال نجاح الطائي: (وكانت عائشة سوداء مثل أبيها، لكن الرواة المنصفون! جعلوها بيضاء اللون بل شقراء!)[٣] انتهى.

ووجدت مصداقاً لسواد عائشة وأبيها في قول الشاعر عمير بن الأهلب الضبي الذي كان يقاتل إلى جانب عائشة في حرب الجمل وهذا لا يُتَّهم ولا يُكَذَّب في وصفه لعائشة وقومها بالعبيد وفق ما جاء في تاريخ الطبري النصّ:

أطعنا بني تيمِ بن مُرَّة شَقْوَةً

وهل تيمٌ إلّا أعْبُدٌ وإماءُ[٤]

هذا البيت من الشعر يكشف أموراً تنافي ما قيل عن جمال عائشة

(١) انظر ج٢ ص ٢٤٢ - ٢٤٣، ميزان الاعتدال للذهبي طبعة دار الفكر - بيروت. تحقيق علي محمد البجاوي.

(٢) انظر ج٣ ص ٣٥٦ - ٣٥٧، السيرة النبوية لنجاح الطائي ط١ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار الهدى لإحياء التراث - لندن.

(٣) انظر ج٣ ص ٣٥٦ - ٣٥٧، السيرة النبوية لنجاح الطائي لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار الهدى لإحياء التراث - لندن.

(٤) انظر ج٣ ص ٥٣٢، تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة بالقاهرة لسنة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٩م.

ونسبها وكانت لنجاح الطائي وقفة مهمة ناقش فيها الأبعاد التي انطوت عليها مضامينه حيث قال:

(كان تيم رأس قبيلة بني تيم دعيّاً لمُرّة فتبنّاه. فلم يكن قرشيّاً ولا تربطه قرابة برسول الله ﷺ .

وكان عبد الله بن جدعان زعيم قبيلة تيم أعظم وأغنى تاجر للعبيد والإماء في مكة له مائة مملوك.

وهو صاحب أكبر دار لتوليد وبيع الأطفال في مكة، فكان يملك عشرات الإماء اللاتي يعرضهن على الرجال فيحملن منهم ثم يبيع الأطفال إلى آبائهم أو إلى الغرباء ومؤسسة ابن جدعان أسوأ وأكبر مؤسسة فساد في مكة في أيام الجاهلية.

يزورها طغاة البلد من أمثال أبي سفيان والوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص السهمي وأبي لهب، ولا ينتمي هؤلاء العبيد إلى عبد الله بن جدعان إذ كان عقيماً، بل ينتمي بعضهم إلى آبائهم!

وكان ابن جدعان تاجراً فاجراً وأصبح قائداً لجيش قريش في حرب الفجّار.

وكان أبو قحافة وأبناؤه من عبيد عبد الله بن جدعان، ومن أصل حبشي ولمّا تحرر أبو بكر من العبودية أصبح اسمه عتيق، وهذه من عادات العرب في تسمية المتحررين من العبودية بعتيق ومعتَق وعُتيق.

ووظيفة أبي قحافة في دار عبد الله بن جدعان التيمي تتمثل في:

١- النداء على طعامه فجاء في حق عبد الله بن جدعان من الشعر:

لـه داعٍ بـمـكّـةَ مُـشْـمَـعِـلٌّ

وآخـر فـوق دارتـه يـنـادي[١]

فالمشمعلّ هو سفيان بن عبد الأسد والآخر هو أبو قحافة وهما من عبيد ابن جدعان.

قال ابن الكلبي: كانت أم سفيان بن عبد الأسد أَمَة لابن جدعان.

٢- ووظيفته الثانية: طرد الذباب عن مائدته.

وحمل كؤوس الخمر إلى ضيوف ابن جدعان. لذا قال شاعر عائشة في حرب الجمل عمير بن الأهلب الضبيِّ معترفاً بعبودية أبي بكر وأهله:

أطـعـنـا بـنـي تـيـم بـن مـرّة شـقـوة

وهـل تـيـم إلّا أعـبـدٌ وإمـاءُ[٢]

انتهى.

لكن كتّاب مدرسة الخلفاء حاولوا الدفاع عن الزناة والأدعياء ومنحهم مرتبة الشرف، فجعلوا مهنة البغاء من المهن الشريفة.

انظر ما جاء في كتاب المعارف لابن قتيبة تحت عنوان: **(صناعات الأشراف)**.

---

(١) جاء في أقرب الموارد: (المُشْمَعِلُّ: الرجل الخفيف الظريف، وقيل الطويل) انظر ج٣ ص ١٠٠.

(٢) انظر ج٣ ص ١٤ - ١٦، السيرة النبوية لنجاح الطائي، ط١ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار الهدى لإحياء التراث - لندن.

(وكان عبد الله بن جدعان نخّاساً له جوار يساعين ويبيع أولادهن)[١] انتهى.

وجاء في هامش نفس الصفحة التعريف الآتي: (سعت الأمةُ: بغت، وساعاها: طلبها للبغاء)[٢] انتهى.

أصبحت لدينا الآن أكثر من دلالة على أن جمال عائشة موضع شك لا يدفعه كلامها فيما تروي عن نفسها. وما يقوي هذا الشك حسدها للجميلات وغيرتها منهن. فلو كانت وضيئة لما حسدت أم سلمة لجمالها: (قالت: لما تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة حزنتُ حزناً شديداً لما ذكر لنا من جمالها)[٣] انتهى.

وإذا التمسنا العذر لغيرة عائشة من زوجاته ﷺ الجميلات في ميدان التنافس على كسب مشاعر النبي ﷺ لصالحها! فأي عذر نلتمس لعائشة في غيرتها من خديجة وهي ميتة؟

جاء في صحيح البخاري: (عن عائشة قالت: ما غِرتُ على امرأة لرسول الله ﷺ كما غرتُ على خديجة لكثرة ذكر رسول الله ﷺ إيّاها وثنائه عليها، وقد أُوحي إلى رسول الله ﷺ أن يبشرها ببيت لها في الجنة من قصب)[٤] انتهى.

---

(١) انظر ص ٣١٩، المعارف لابن قتيبة، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية - بيروت.

(٢) انظر ص ٣١٩، المعارف لابن قتيبة، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) انظر ج٤ ص ٤٥٩، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٤) انظر ج٣ ص ١٢٠٧، كتاب النكاح - صحيح البخاري -، ط١ لسنة ٢٠٠٤م دار الآفاق العربية - القاهرة.

أقول: لو كانت عائشة تحتل المكانة التي احتلتها خديجة في قلب النبي ﷺ لما غارت منها، وفي غيرتها من نسائه مما يكذّب ويبطل الادّعاء بأنها كانت حبيبة رسول الله ﷺ، وأعتقد بأن المسألة تتصل بالتكامل النفسي والروحي الذي أخفقت عائشة في بلوغه بالاستفادة من الساحة القدسية لمقام النبي ﷺ ولم تتأثر بأخلاقياته التي رفعت خديجة إلى المكانة التي غارت منها عائشة ورفعت مكانة أم سلمة ومارية وغيرها من أمهات المؤمنين باستثناء مَن ذمهما القرآن وهما عائشة وحفصة لتظاهرهما على النبي ﷺ بسبب الإخفاق في ارتقاء درجات التكامل في البناء النفسي والروحي والإيماني، وبالتالي فإن النتيجة المنطقية التي ترشح عن ذلك الإخفاق هي الغيرة والحسد.

وقد عبّرت عائشة عن إخفاقِها في الوصول إلى التسامي والمحبة التي ينبغي الوُصول إليها في ظل من بعث رحمة للعالمين، بغيرتها التي جعلتها تكره جويرية بنت الحارث في اللحظة التي رأتها سبيّة في غزوة المريسيع وقبل أن تتعرف على شخصيتها وسلوكها وليس لها عذر سوى أنها جميلة وهذا السبب أدعى للتعاطف مع جمالها في ظل أسرها الذي لا ذنب لها فيه تجاه عائشة ولا غيرها!

النصّ: (قالت عائشة: لمّا قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية في السهم لثابت بن قيس فكاتبته عل نفسها وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلّا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها.

قالت عائشة: فوالله ما هي إلّا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها

ما قد رأيت. فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابني من البلايا ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعني على كتابتي. فقال: أو خير من ذلك أُؤدي عنكِ كتابتك وأتزوجك؟ فقالت: نعم ففعل ذلك فبلغ الناس أنّه قد تزوجها، فقالوا: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما أعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها)[1] انتهى.

وخلاصة الملاحظة الخامسة تقودنا إلى نتيجتين:

الأولى:

إنَّ عائشة لم تكن غانية كما وصفها بودلي ولم تكن بيضاء شقراء كما يتمنى ويحب لها المعجبون ولا سيما أُولئك الذين لا يتحرون الدقة والتأكد من الروايات التي تتحدث عن الفضائل ولا سيما الواردة عن عائشة دون غيرها. فلو كانت غانية لاغتنت بجمالها عن الغيرة من الجميلات، ولتحدث الناس بما شاهدوا من جمالها، بينما تحدث الناس بعكس ذلك وهو سواد لون الوجه وآثار الجدري فيه.

الثانية:

إنَّ غيرة عائشة من الضرائر الجميلات تجاوزت حدود الغيرة إلى الحسد الذي يقود إلى المخططات العدوانية الشريرة للإيقاع بالمحسود والذي وصفه النصّ القرآني: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[2].

---

(١) انظر ج٤ ص ٢٦٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) سورة الفلق، الآية: ٥.

وقد وقعت مارية فريسة لحسد عائشة وحفصة وهما المتظاهرتان على النبي ﷺ وعلى باقي زوجاته لتمايزها عنهن بجمالها وكمالها وأدبها وحسن تبعلها مع النبي ﷺ وتعززت مكانتها بعد إنجاب إبراهيم فنالت أعلى مرتبة من الحب والاهتمام عند النبي ﷺ خاصة وعند عموم المؤمنين والمؤمنات، عامة فكان لها بالمقابل النصيب الأوفر في تلك المخططات العدوانية الشريرة الناتجة عن الحسد والمرتبطة بالطموحات السياسية التي كانت تطمح إليها عائشة وحفصة وأبواهما والذي أنتج حديث الإفك ضد مارية وكانت له مقدّمات يعزز فهمها النصّ الآتي: (عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة إلّا دون ما غرت على مارية وذلك أنها كانت جميلة جعدة فأُعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا فكان عامة الليل والنهار عندها حتى يعنى أو عناها فجَزَعَتْ فحولها إلى العالية وكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشدّ علينا)[1] انتهى.

هذا النصّ ينطوي على غموض ينبغي كشفه في الإيضاح الآتي:

إيضاح:

ورد في قول عائشة: (فكانت جارتنا فكان عامة الليل والنهار عندها حتى يعنى أو عناها فجزعتْ فحولها إلى العالية وكان يختلفُ إليها هناك فكان ذلك أشدَّ علينا).

(١) انظر ج٤ ص ٤٠٥، الإصابة في تمييز الصحابة - ترجمة مارية - لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

هذا القول له علاقة وثيقة بحديث الإفك من خلال دلالة بعض مفرداته التي ينبغي أن نقف على معانيها.

جاء في معجم مقاييس اللغة:

١- (عنى: العين والنون والحرف المعتل أصول ثلاثة: الأول القصد للشيء بانكماش فيه وحرص عليه، والثاني دال على خضوع وذل، والثالث ظهورُ شيءٍ وبروزه)[١] انتهى.

٢- (الجزع: نقيض الصبر، وهو انقطاع المُنَّة عن حمل ما نزل)[٢] انتهى؟

أقول: يشير المعنى الأول في كلمة عنى إلى صلة الحب الوثيقة التي ربطت النبي ﷺ بمارية ولهذا لاحظتْ عائشة كثرة وجوده في بيت مارية الليل والنهار.

ويشير المعنى الآخر فيه إلى خضوع مارية وتذللها للنبي ﷺ بما يعزز مكانتها عنده فظهر ذلك وبرز للآخرين حتى لمسته عائشة.

أما معنى جزعت: فيشير إلى وجود معاناة حقيقية كانت تعانيها مارية فيما أصابها من غيرة وحسد عائشة وحفصة لها، وقد نفد صبرها وانقطع تحملها لأذاهما لها مما دعا النبي ﷺ إلى تحويلها إلى العالية وهو بيت آخر بعيد عن عائشة وحفصة.

ويشير قول عائشة: (فكان ذلك أشدّ علينا) إلى أنها وضعت

---

(١) انظر ص ٦٧٨، معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ط١ لسنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) انظر ص ١٩٧ نفس المصدر السابق.

العيون ليأتونها بأخبار مارية فأكدوا لها استمرار حب النبي ﷺ وتعظيمه لها، وما كان من تسخير مأبور في خدمتها في بيتها مما أثار حفيظة عائشة وحفصة وأبويهما وتحوّلت ظنونهم الآثمة إلى أقوال وأفعال: أما الأقوال فقد تولت عائشة حديث الإفك وجابهت به النبي ﷺ . وأمّا الأفعال فقد تقلّد عمر سيفه وشن هجوماً مباغتاً على بيت مارية وهي غافلة لقتل الرجل المسالم الضعيف الأعزل عن السلاح متهماً إياه بفعل الزنا الذي أنتج إبراهيم.

وفعل ذلك دون مشورة النبي ﷺ ولا يكفي ابن حجر وغيره العذر في خلق الشكوك التي عرفها عمر في وجه النبي ﷺ لتبرير تلك الحملة.

انظر النصّ الذي أثبته ابن حجر في إصابته: (عن عبد الله بن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ على القبطية أم ولده إبراهيم فوجد عندها نسيباً لها قدم معها من مصر وكان كثيراً ما يدخل عليها، فوقع في نفسه شيء فرجع فلقيه عمر فعرف ذلك في وجهه فسأله فأخبره، فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى إليه بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان مجبوباً ليس بين رجليه شيء، فلما رآه عمر رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال رسول الله ﷺ: إن جبريل أتاني فأخبرني أن الله تعالى قد برأها وقريبها وأنّ في بطنها غلاماً مني وأنه أشبه الناس بي وأمرني أن أسميه إبراهيم وكناني أبا إبراهيم)[1] انتهى.

(١) انظر ج٣ ص ٣٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

تحليل النصّ

يتطلب تحليل هذا النصّ النظر إلى سعي عمر لقتل هذا الرجل (مأبور) وعلاقته بما آلت إليه نتائج مساعيه فيما بعد على تنازع مقاليد السلطة وتقاسمها فيما بينه وبين أبي بكر، وما كان لعائشة من دور إعلامي في وضع روايات تقديم أبيها في الصلاة، وفي ضوء غيرتها وحسدها لنساء النبي ﷺ، وفي خلفية خوضها في دماء المسلمين دون تردد طمعاً في المناصب السياسية والتي اتخذت من دم عثمان عذراً كاذباً، ومن خلال النظر إلى كل ما ذكرناه يمكن إثبات الآتي:

أولاً: إنَّ هذا النصّ منقول على لسان عبد الله بن عمر وفي ذلك إشارة تعزز ما ذكرت سابقاً عن التسريبات التي لم يقطع دابرها والتي تفضح اشتراك عائشة وحفصة وأبويهما في حديث الإفك ويدحض إدّعاء عائشة فيما نسبت لنفسها البراءة التي نزلت بحق مارية.

لما في ذلك الادّعاء من إشكالات جعلت الباحثين ينظرون إليها بعين الارتياب لعدم صحتها، مثلما أشكل الشيخ محمد حسن المظفر على رواية عائشة بقوله:

(قصة نزول الآية في أمر الإفك على عائشة إنما كانت من حديثها، وعندي فيها إشكال، إذ لو صحت لرواها الكثير لتعلقها بنزول الآية، وكونها بأهل النبي وابنة الخليفة بعده، المعظمة لديهم، وصدور الشكاية من رسول الله ﷺ وهو يخطب على المنبر ووقوع الخلاف بين الأوس والخزرج حتى كادوا أن يقتتلوا، فلو كان لذلك أصلٌ لنقله الكثير وما اختصت بنقله عائشة.

والأقرب أنَّ الآية نزلت في شأن الإفك من عائشة على (مارية) حتى قالت: إنَّ إبراهيم ليس من النبي ﷺ وظاهرها حفصة وأبواهما، كما يشهد له ما في الدر المنثور في تفسير سورة التحريم)[١] انتهى.

أقول: ينبغي أن يتنبّه القارىء الكريم إلى مضمون ذيل الرواية التي أثبتها ابن حجر عن عبد الله بن عمر، لأنها تحمل إشكالات واضحة تدل على دفاع ابن عمر عن أبيه وإن كان ذلك على حساب سمعة النبي ﷺ! ففي الوقت الذي انتهك فيه عمر بيتاً من بيوت النبي ﷺ بدون إذنه لغرض قتل مأبور وهذا انتهاك آخر، بناءً على اتهام زوجة النبي ﷺ بالزنا من غير مشاهدة، وهذا انتهاك آخر أخطر من سابقيه! فكيف سكت عنها النبي ﷺ؟ وكأنه مسؤول عن تقديم اعتذاره لعمر عن تهمة الزنا ويخبره أن جبريل قد برّأها، ولا أحد يسأل عن الجناة!!

ألم ترَ أن هذا الكلام هو كلام من لم يتوجّع على تلك الجناية ولم يحفل بسؤال أو محاسبة أو معاقبة المذنبين؟ يبدو لي أن رواية ابن عمر تمَّ صياغتها بعقلية المدافع عن عمر وإن نالت من شرف النبي ﷺ!

ثانياً: لم يذكر النصّ تكليف النبي ﷺ لعمر بقتل مأبور، وجاء الكلام مبهماً فيما عرف في وجهه وما أخبر به، وهذا العذر لا يكفي

(١) انظر ج٣ القسم الثاني ص ٢٥، من دلائل الصدق لمحمد حسن المظفر طبعة دار إحياء التراث العربي ١ لسنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ بيروت - لبنان.

أن يقوم عمر باقتحام بيت مارية دون إذن النبي ﷺ وإذن صاحبة الدار.

والرواية الأكيدة تكليف النبي ﷺ لعلي عليه السلام بهذا الدور!

فما دخل عمر في هذا التكليف الذي لم يكلفه أحد؟

ومن هنا حاول ابن حجر أن يجد تبريراً يخرج عمر من التورط بحديث الإفك فقال: (ويجمع بين قصتي عمر وعلي باحتمال أن يكون مضى عمر إليها سابقاً عقب خروج النبي ﷺ فلما رآه مجبوباً اطمأن قلبه وتشاغل بأمر ما. وأن يكون إرسال علي تراخى قليلاً بعد رجوع النبي ﷺ إلى مكانه ولم يسمع بعد بقصة عمر)[1] انتهى.

والسؤال هنا: هل كان الأمر يشغل عمر أكثر مما يشغل النبي ﷺ؟

وأيهما أحوج للاطمئنان عمر أم صاحب المصيبة وهو النبي ﷺ؟

والسؤال الأهم: أي أمر أقنع ابن حجر بتشاغل عمر؟

وأي مصاب جلل تشاغل به عمر أكبر من هذا المصاب وكفه عن الإسراع إلى إخبار النبي ﷺ ببراءة زوجته وبراءة نسب ابن النبي من صفة ابن الزنا؟ وكيف لا يطير فرحاً لأخبار النبي ﷺ فيما يحفظ هيبته وكرامته؟

والجواب: نعم، سيطير عمر فرحاً ولن يشغله أي أمر وسيسرع قبل

---

(١) انظر ج٣ ص ٣٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

غيره لإخبار النبي ﷺ إذا كان عمر يبحث فعلاً عن براءة مارية ويهمه شرف النبي ﷺ وحفظ كرامته في أهل بيته! وإذا لم يكن له ذنباً ويداً في ذلك الاتهام الظالم.

أما إذا كان عمر أحد المذنبين والمروجين لذلك الاتهام فلا بدَّ أن يتشاغل عن مواجهة النبي ﷺ بعد اكتشاف دليل إدانته! وهذا يفسر لنا سر مجهولية أسماء المذنبين الذين اتهموا مارية في نظر مدرسة الخلفاء لأن أحدهم فاروق الأمة والآخر صدّيقها وابنتاهما!

إنَّ اقتحام عمر لبيت مارية كان بدون تكليف من النبي ﷺ وكان عمر مندفعاً ومتسرعاً لإثبات زنا مارية بغية إسقاط شرعية إبراهيم بناءً على قناعات وفرتها الغيرة النسوية وجاءت متناغمة مع طموحاتهم السياسية.

ولهذا لا ينبغي لأحد أن يتكلف في البحث عن شواهد تثبت تكليف النبي ﷺ لعمر في قتل مأبور مثلما جاءت إشارة مرتضى العاملي التي اتخذ منها حجة لإضعاف خبر الاقتحام نتيجة ربطه بسبب تلكؤ عمر في إخباره للنبي ﷺ بقوله: (إن هذه الرواية محل إشكال لأن الروايات متظافرة على أن براءة مارية كانت على يد علي عليه السلام، كما أن تلكؤ عمر في إخباره للنبي ﷺ حتى يذهب علي، ويكشف الأمر مرة ثانية، ويرجع، بعيد عن التصرف الطبيعي في مناسبات حادة كهذه)[1] انتهى.

(١) انظر ص ٢٥١ - ٢٥٢، حديث الإفك لجعفر مرتضى العاملي، طبعة سنة ١٣٩٩هـ - لم تذكر دار النشر.

وقد أوضحت أن أسباب تلكؤ عمر مُرتبطة بالدليل المادي الذي اكتشفه عملياً عندما وجد مأبور مجبوباً لأن هذا الدليل يكذِّب إدّعاء عمر وباقي العصبة. لأنهم بنوا أحكامهم على الظن السيىء الذي قاد عمر لتنفيذ القتل بدون أمر من النبي ﷺ . وفي ذلك حرج كبير لعمر والعصبة التي ساندته لا يسمح لهم بمواجهة النبي ﷺ لولا محافظتهم على ماء وجوههم أمام النبي ﷺ بالاعتذار وطلب العفو بعدما ظهر بطلان اتهامهم لمارية. وفي ضوء هذا الفهم ينتفي الإشكال الذي أثاره السيد جعفر مرتضى العاملي وفيه أيضاً ردّ لما تكلف بحثه الشريف المرتضى في أماليه عن إيجاد مسوّغ شرعي لأمر النبي ﷺ علياً عليه السلام بقتل مأبور وهو بريء.

وإنما كان لا بدَّ من إرسال علي عليه السلام بصيغة واضحة أمام المشككين لكشف سوء نواياهم وظنونهم الآثمة وليس لقتل مأبور وهو بريء مما يأفكون عند النبي ﷺ وعلي عليه السلام على حد سواء. وليس في تلك الصيغة - بحسب فهمي - أي مجال للمجازفة والإجراءات غير المحسوبة التي أفهمها من كلام المرتضى والتي جوّز فيها قتل مأبور في حال كونه: (ناقض للعهد وناقض العهد من أهل الكفر مؤذن بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل وإن وجده أجب لا يخرجه من نقض العهد)[1] انتهى.

❁ ❁ ❁

(١) انظر ص ١٠٠ - ١٠١، أمالي المرتضى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط٢ لسنة ١٤٢٨هـ منشورات ذوي القربى.

أعتقد:

أنَّ أطروحة الشريف المرتضى بعيدة عن الدائرة التي حصل فيها حديث الإفك وخارجة عن إصابة الهدف الذي سعى إلى تحقيقه كل من النبي ﷺ وعلي عليه السلام في كشف النقاب عن تآمر العصبة التي أرادت إسقاط الشرعية عن إبراهيم. وكان النبي ﷺ يعلم أن تلك المؤامرة أنتجتها الغيرة النسوية بالتوافق مع الأغراض السياسية التي اجتمع عليها قياديو العصبة الطامحة إلى تولي خلافة النبي ﷺ من بعده.

ثالثاً: يشير النصّ إلى أن الله جل ثناؤه قد برأها وقرّبها، ولم يذكر كيفية تلك البراءة!

ولمّا كانت القضية تمس شرف النبي ﷺ وسمعته وكرامته وكرامة ابنه وزوجته مارية المتهمة - زوراً وبهتاناً - فإنَّ إثبات تلك البراءة يقتضي أن تنزل آيات تقطع ببراءتهم من الإفك إسوةً بما نزل في براءة عائشة!

وبهذا المعنى تساءل مرتضى العسكري بقوله: (ولست أدري ألم يكن ينبغي في هذه القصة أن ينزل الله فيها آيات يبرّىء فيها مارية ويصحح نسب إبراهيم من النبي ﷺ فإنه كان أهم للنبي ﷺ الذي كان ينحصر ولده يومذاك بإبراهيم؟)[1] انتهى.

---

(١) انظر ج٢ ص ١٨٣ - ١٨٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

مكانة مارية:

أقول: ينبغي الوقوف على مكانة مارية عند النبي ﷺ ومكانتها عند أهلها في مصر، لاعتقادي بأنها لم تأخذ المكانة التي تستحقها في تراث المدرستين.

وهذا يتطلب الإشارة إلى موقف المقوقس عظيم القبط في مصر إذ تلقى كتاب النبي ﷺ الداعي إلى هدايته وقومه، تلقياً إيجابياً يدل على تفهمه لدور آخر الرسالات السماوية ومعرفته المسبقة بصفات النبي محمد ﷺ، فلم يتنكر ولم يتجبر كما تنكّر وتجبّر غيره من الملوك.

وجاء في وصف موقفه تجاه كتاب النبي ﷺ النصّ الآتي: (لما أتاه الكتاب ضمه إلى صدره وقال: هذا زمان يخرج فيه النبي الذي نجد نعته في كتاب الله وإنا نجد من نعته أنه لا يجمع بين أختين، وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وأن جلساءه المساكين، ثم دعا رجلاً عاقلاً، ثم لم يَدَعْ بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها، ثم دعا كاتباً يكتب بالعربية فكتب لمحمد بن عبد الله من المقوقس:

سلام أما بعد: فقد قرأت كتابك - وذكر نحو ما ذكر لحاطب وهو مبعوث النبي ﷺ - وزاد وقد أكرمت رسولك وأهديتُ إليك بغلة تركبها وبجاريتين لهما مكان في القبط عظيم. وبكسوة والسلام - وأضاف ابن حجر - وكانت البغلة والحمار أحب دوابه إليه وسمى البغلة دلدل وسمى الحمار يعفور وأعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة)[1] انتهى.

---

(١) انظر ج٣ ص ٥٣١، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

إنني أفهم من عبارة (لم يَدَعْ بمصر أحسن ولا أجمل من مارية وأختها).

إنَّ مارية لم تكن ملكة جمال مصر فحسب وإنما كانت على خُلق عظيم يليق بمقام رسول الله ﷺ وهذا ما قصده المقوقس بعبارته: (لهما مكان في القبط عظيم) ولهذا تزوجها رسول الله ﷺ وأنزلها في بيت مستقل يليق بمقامها مثلما نزلت في قلبه منزل الحب والاحترام والتقدير، وأحبته هي حباً عظيماً تمثّل في تذللها وطاعتها للنبي ﷺ وتعاملت معه بصدق تام ولم يسجل التاريخ عليها كذباً على النبي ﷺ ولا تآمراً ولا تظاهراً مثلما سجله على غيرها. وتعزّزت مكانتها عند النبي ﷺ بعد حملها وإنجابها إبراهيم، وهذا أدّى إلى زيادة غيرة وحسد عائشة منها في قولها الذي مرّ: (ما غرتُ على امرأة إلّا دون ما غرت على مارية وذلك أنها كانت جميلة جعدة فأعجب بها رسول الله ﷺ فكان عندها عامة الليل والنهار)[1] انتهى.

ونفهم من كلام عائشة ما يعزز مكانة مارية عند النبي ﷺ بعكس الروايات الموضوعة في تصغير مقام مارية باعتبارها أمة مملوكة ولا يحق لها ما يحق لغيرها من نسائه، ولهذا جعلوا طريقة مباشرتها من قبل النبي ﷺ خالية من الوقار والاحترام وصوّروا علاقة النبي ﷺ بها أقرب إلى التختل في بيت حفصة وإنه قد اختلس فرصة من الزمن كانت مخصصة لغيرها من نسائه، وكأن مارية لم تكن واحدة منهن.

(١) انظر ج٤ ص ٤٠٥، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

فحرّمها على نفسه لإرضاء زوجاته الرافضات لخلوّهِ بمارية، وزيادة في الترضية بشرها بخلافة أبي بكر وعمر مقابل كتمان سرّه فلم تكتم وطلقها!

قال الزمخشري في تفسير سورة التحريم:

روي أن رسول الله ﷺ خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت حفصة بذلك فقال لها: اكتمي عليَّ وقد حرّمتُ مارية على نفسي وأبشرك أنّ أبا بكر وعمر يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين.

وقيل: خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نسائه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية.

وأضاف: وروي أنه شرب عسلاً في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له: إنا نشم منك ريح مغافير، فحرّم العسل فمعناه: (لم تحرّم ما أحلَّ الله لك) من ملك اليمين أو العسل، وكان هذا زلة منه)[1] انتهى.

هذه الزلة من الزمخشري لأنه لم يدرك أبعاد المخطط المرسوم للاستيلاء على السلطة فانطلت عليه هذه الأكاذيب. ولم يستطع الزمخشري ولا غيره أن يعطي تفسيراً مقنعاً لما كان يسوء النبي ﷺ من الإفراط في الغيرة وإفشاء السر، ولم أجدَ سبباً منطقياً يربط بين غيرة نساء النبي ﷺ وخلافة أبويهما إلّا فيما يتصل بتميّز مارية بولادة

(١) انظر ص ١١١٩، تفسير سورة التحريم - الكشاف للزمخشري - ط١ لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت.

إبراهيم وهو المرشح المؤمل مستقبلاً لخلافة النبي ﷺ ولا أستبعد العمل العدواني وراء موت إبراهيم المبكر لأنه سيكون عقبة في طريق الساعين إلى الخلافة. ولا سيما بعد فشل إثبات زنا مارية بالدليل القاطع الذي أفهم علناً وهو كون مأبور مجبوب، وأن إبراهيم ابن النبي ﷺ لكن الذين جاؤوا بالإفك هنا مجهولين؟

وقد أكد علي عليه السلام استعداد الساعين إلى منصب الخلافة أن يقتلوا ابن النبي ﷺ لو بلغ الحلم وآنسوا منه الرشد إن لم يفعل ما فعل علي عليه السلام مع الذين استولوا على منصب النبي ﷺ وفي ذلك تصريح لا يحتاج إلى دليل يبيّن أن الخلافة مغتصبة خلافاً لأمر الله ورسوله ﷺ الذي عيّن علياً خليفة من بعده. وكان هذا جواب أمير المؤمنين عليه السلام على سؤال وفق النصّ الآتي:

قال ابن أبي الحديد:

(قال له قائل: يا أمير المؤمنين، أرأيتَ لو كان رسول الله ﷺ، ترك ولداً ذكراً قد بلغ الحلم، وأنس منه الرشد، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ قال: لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت، إن العرب كرهت أمر محمد ﷺ وحسدته على ما أتاه الله من فضله، واستطالت أيّامه حتى قذفت زوجته، ونفّرت به ناقته، مع عظيم إحسانه إليها، وجسيم مِننه عندها وأجمعت مذ كان حيّاً على صرف الأمر عن أهل بيته بعد موته، ولولا أنَّ قريشاً جعلت اسمه ذريعة إلى الرّياسة، وسُلَّماً إلى العزّ والإمرة، لما عبدت الله بعد موته يوماً واحداً ولارتدت في حافرتها وعاد قارحها جَذَعاً وبازلها بكراً، ثم فتح الله عليها الفتوح، فأثْرَت بعد الفاقةِ، وتمولت بعد الجهدِ والمخمصة،

فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجاً، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطرباً، وقالت: لولا أنه حق لما كان كذا، ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحُسْنِ تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم وخمول آخرين، فكنّا نحن ممن خمل ذكره وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السِّنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير مما يُعرَف، ونشأ كثير ممن لا يعرف، وما عسى أن يكون الولد لو كان! إنَّ رسول الله ﷺ لم يقرّبني بما تعلمونه من القرب للنسب واللحمة، بل للجهاد والنصيحة، أفتراه لو كان له ولد هل كان يفعل ما فعلت! وكذاك لم يكن يقرّب ما قرّبت، ثم لم يكن عند قريش والعرب سبباً للحُظوة والمنزلة، بل للحرمان والجفوة.

اللهم إنّكَ تعلم أني لم أُرِد الإمرة، ولا علوَّ الملك والرّياسة، وإنما أردتُ القيامَ بحدودك، والأداءَ لشرعك، ووضع الأمور في مواضعها وتوفير الحقوق على أهلها والمضي على منهاج نبيّك، وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك)[1] انتهى.

لم يشرح ابن أبي الحديد مضامين هذا الكلام لجلائه ووضوحه كما جاء في عذره وهو صحيح، إلّا أنني أود الإشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: (قذفت زوجته، ونفرّت ناقته).

فأقول: المقصود هنا مارية دونَ عائشة لتكليفه بقتل مأبور كما

(١) انظر ج٢٠ ص ٤٥٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

علمنا، وبهذا ينحصر حديث الإفك بمارية والآيات النازلة ببراءتها، وفيه إشارة إلى تكذيب إدّعاءات عائشة عن قصة الإفك التي نسبتها لنفسها فيما بعد، ولو كانت روايتها صحيحة لقال أمير المؤمنين عليه السلام (قذفت زوجاته أو زوجتيه تحديداً)... وأعتقد أنَّ القاذفين والمنفرين هُم مَن أجمع على صرف الأمر عن أهل البيت عليهم السلام.

قال عالم سبيط النيلي في تفسير سورة التحريم:

[عائشة وحفصة تتآمران على النبي صلى الله عليه وآله والله يهدد بإنزال جيوش من الملائكة يقودها جبريل عليه السلام وجيوش من الأرض يقودها صالح المؤمنين عليه السلام ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1] مؤامرة ضيقة المكان جداً، وواسعة الأطراف جداً.. والتفاصيل مبهمة][2] انتهى.

بعد دراسة مستفيضة قال مرتضى العسكري:

[إن أحاديث أم المؤمنين عائشة في بيان أسباب نزول آيات التحريم جاءت في صحاح كتب الحديث والسنن والمسانيد والتفاسير المعتمدة ومصادر السيرة الموثقة، ونجد فحاوى تلك الروايات مختلفة كل الاختلاف فيما بينها، ففي بعضها أن المتواطأ عليها حفصة، وفي أخرى أنها زينب، وفي غيرهما أنها أم سلمة، وعن

(١) سورة التحريم الآية: ٤.

(٢) انظر ج٢ ص ٢٤، الطور المهدوي - سلسلة النظام القرآني - عالم سبيط النيلي بدون اسم وتاريخ الطبع.

المتواطئات تارة ذكرت حفصة وعائشة وأخرى عائشة وسودة وصفية، فكيف يمكن التوفيق بين هذه الأحاديث؟!

ثم ما قيمة تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه ليجنّد الله ملائكته وصالح المؤمنين ويكون هو تبارك وتعالى معهم ظهيراً للنبي ﷺ عليهما؟

أَكُلُّ ذلك لأنهما سبّبا هذا التحريم؟! وما ذلك السر الذي أذاعته إحداهما فأنبأ الله نبيّه «فعرّف بعضه وأعرض عن بعض تكرّماً»؟ أهو إفشاء سر تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه؟ ألهذا ضرب الله مثلاً امرأة لوط وامرأة نوح؟ وكيف فات النبي ﷺ أن العسل لم يكن بذي رائحة كريهة ليحرّمها على نفسه؟ وهل كان فاقداً حاسة الشم ومغفلاً إلى هذا الحدّ لتنطلي عليه هذه الحيلة البسيطة؟

اللهم إنَّ هذا ما لا يقبله عقل سليم][1] انتهى.

أقول: إنَّ مثل هذه التساؤلات المنطقية الحاسمة لا يكفي لها جواباً ما ختم به القول (اللهم إن هذا ما لا يقبله عقل سليم) إذ قبلته عقول القوم طيلة قرون خلت! وكان مطلوباً من السيد مرتضى العسكري أن يقول رأيه بوضوح أكثر وصراحة أظهر وجرأة أكبر، تكشف عن زيف ما زيّفه الأولون، وتدين قبولَ وسكوت الآخرين على كل ما يخالف حكم المنطق وواقع التاريخ!

❁ ❁ ❁

(١) انظر ج٢ ص ٧٤، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

الملاحظة السادسة:

ورد في حديث عائشة استشارة النبي ﷺ في حادثة الإفك كُلاً من علي عليه السلام وأسامة بن زيد، ولم يكن أسامة - وهو حينئذاك ابن ١٤ سنة - بمستوى النضج والتجربة ولا يُقارن بالفراسة التي كان عليها النبي ﷺ ولا سيما في أمر يمس شرف نسائه، ولا ينبغي وصف النبي ﷺ بهذه الدرجة من الغفلة والحيرة التي ضاقت سبل الحل منها حتى تأتي شهادة أسامة لتوفِّرَ للنبي ﷺ القناعة التي في نفس أسامة وهو لا يعلم شيئاً - إلّا خيراً -. أما جواب علي عليه السلام (لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثيرة وسل الجارية تصدقك) والجارية المقصودة هي بريرة وخبرها يفضح كذب رواية عائشة لأنها اشترتها بعد فتح مكة مما جعل كتّاب مدرسة الخلفاء يتقلبون بين الاحتمالات التي لا تغني عن الحق شيئاً.

قال العاملي: (حاول العسقلاني الإجابة على ذلك، تبعاً للسبكي، وكذا القسطلاني بإبداء احتمال: أن تكون بريرة كانت تخدم عائشة، وهي في رق مواليها، ثم كانت قصة مكاتبتها بعد ذلك.. أو أنها اشترتها وأخّرت عتقها إلى ما بعد الفتح، أو دام حزن زوجها عليها مدة طويلة، أو حصل لها الفسخ، وطلب أن يردها بعقد جديد، أو كانت لعائشة، ثم باعتها، ثم استعادتها بعد الكتابة.. أو أن بريرة هذه غير بريرة تلك... وجزم بهذا الاحتمال الزركشي... وناقشه العسقلاني، بأن الحكم بأنها كانت تخدم عائش بالأجرة أولى من تغليط الحُفّاظ)[1] انتهى.

(١) انظر صفحة ١١٢، حديث الإفك لجعفر مرتضى العاملي طبعة سنة ١٣٩٩هـ.

وهذا بتقديري تخبط ناتج عن العجز في رؤية الحقيقة.

والحقيقة أنَّ رواية عائشة لحديث الإفك كاذبة بجميع فصولها.

وأعتقد أنها تعمّدت إعطاء الدور السلبي للإمام علي عليه السلام وزادت في روايتها التي نقلها غير البخاري ضربه لبريرة لكي ينتزع منها اعتراف بإدانة عائشة في محاولة منها لتقمص دور الضحية البريئة المجني عليها ظلماً وعدواناً بغية استعطاف الجماهير وحشدها لجانبها بعدما شعرت بتراجع كبير في شعبيتها بُعيد هزيمتها المنكرة في حرب الجمل التي كانت نتائجها تكشف عن كذب الإعلام الذي روّجه الخطباء والأمراء المرافقين لعائشة والذي صوّروا بموجبه أن علياً عليه السلام رجلاً شريراً سيقتل رجالهم ويسبي النساء والذراري إذا انتصر في المعركة. كما أثبت ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة في النصّ الآتي:

(إنَّ الزبير وطلحة قاما في الناس فقالا: إنَّ علياً إنْ يظفر فهو فناؤكم يا أهل البصرة، فاحموا حقيقتكم، فإنه لا يبقى حُرمة إلّا انتهكها، ولا حريماً إلّا هتكه ولا ذرية إلّا قتلها، ولا ذوات خِدرٍ إلّا سباهن، فقاتلوا مقاتلة من يحمي عن حريمه ويختار الموت على الفضيحة يراها في أهله)[1] انتهى.

وهكذا تمَّ تضليل أتباع البهيمة في البصرة وغيرها لكن الجماهير اكتشفت قيم التسامح الكبير الذي أظهره أمير المؤمنين عليه السلام بعد

(١) انظر ج١ ص ١٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

إعفاء عائشة ومَن معها ممن ارتكبوا عظائم الأمور والآثام وتأكد للناس كذب إدّعاء عائشة ومن معها من خلال استماع الناس إلى شهادات الشهود التي زادت من إعجابها وتعجبها من شجاعة علي عليه السلام في ساحة الحرب وصدقه وسماحته عند التمكن من أعدائه ومقابلتهم بالعفو والوعظ والإرشاد الهادف إلى تحقيق القيم التربوية الإسلامية العليا، والتي جعلت من خروج عائشة عليه ومحاربتها إيّاه سبّة عليها وعلى المؤازرين لها مدى الدهر، ولذا وضعت في روايتها الكاذبة نصيباً من كيدها للنيل من مقام أمير المؤمنين عليه السلام بعدما فشلت من النيل منه في سوح القتال والنزال، رغم أن ما نقلته عنه لا ينال من سمعته بقدر ما ينال من سمعتها لدى الواعين ولعله ينبه الغافلين ويوقظ النائمين.

❁ ❁ ❁

الملاحظة السابعة

جاء في رواية عائشة:

فقام سعد بن معاذ وهو من الأوس فقال: أنا أعذرك فإن كان من الأوس ضربتُ عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، وما تبع ذلك من اعتراض سعد بن عبادة وما أعقبه من تكذيب له ووصفه بالنفاق والدفاع عن المنافقين - راجع رواية البخاري - وهذا الأمر بتقديري لا يحتمله المنطق ولا يوافقه الواقع!

أما ما لا يحتمله المنطق:

فإنَّ كلام سعد بن معاذ ليس فيه ما يستفز سعد بن عبادة، وإنّما

توقف الرجل بانتظار أمر النبي ﷺ بالقول: (إن كان من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك) وهذا معناه أن الشخص المعني مجهول! وهنا يأتي اعتراض سعد بن عبادة وانفعاله ورفضه القبول بقتل الشخص المجهول ليضعه في خانة الحمقى والمخالفين لأوامر النبي ﷺ بغية إلباسه لباس النفاق بشكل غير مباشر، والغرض الأبعد المنشود من هذا التدليس هو الطعن بكياسة سعد بن عبادة لتقليل أهمية مركزه الاجتماعي كسيّد للخزرج، وهذا المطلب له صلة مباشرة بما صدر منه من اعتراض ومخالفة لبيعة أبي بكر، فقد طعن سعد بن عبادة بخلافة أبي بكر وعمر ورفض مبايعتهما، وفي خلافة عمر تمَّ نفيه إلى الشام ومن ثم اغتياله! وأثبت ابن قتيبة تخلف سعد عن البيعة[١] وأثبت المؤرخون اغتياله بسبب ذلك كما جاء في هامش الصفحة (١٦٠) من كتاب فدك في التاريخ: (إن عمر أرسل رسولاً إلى سعد ليقتله إن لم يبايع فلما أبى سعد قتله الرسول)[٢].

ولهذا اجتهدت عائشة بأن تخصص أحد فصول روايتها الكاذبة في حديث الإفك في تسفيه رأي سعد بن عبادة ووصفه بالنفاق لأنه كان في الصف الأول المعارض لبيعة أبيها يوم السقيفة وعجزوا عن أخذ البيعة منه وهجّروه من المدينة إلى الشام مجبراً وليس مختاراً!

والسؤال: هل من المنطق أن يجهل السعدان ما يجري في مجتمعهم ولا سيما الأخبار المثيرة للجدل مثل حديث الإفك؟

---

(١) انظر ج١ ص ٢٠، الإمامة والسياسة لابن قتيبة، طبعة المكتبة التوفيقية - تحقيق خيري سعيد.

(٢) انظر ص ١٦٠، فدك في التاريخ للشهيد محمد باقر الصدر.

وكيف لم يسمعا بحديث الإفك ولم يعرفا مَن تولّى كبره بعدما أفاض الناس به وهما من أسياد القوم ومركزهما يدعو المقربين منهما أن يحيطوهما علماً بالطعون التي تنال من شرف النبي ﷺ والتي دعته أن يخاطب المسلمين من على المنبر بقوله: مَن يعذرني من رجل؟ وإذا كان الرجل الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي بن سلول حسب إدّعاء عائشة! فكيف خفي اسمه على النبي ﷺ والسّعدين حتى ثار الحيّان؟

وأما ما لا يوافقه الواقع التاريخي في رواية عائشة ففيه أمران:

الأمر الأول:

إنَّ سعد بن معاذ مات إثر غزوة الخندق من الرمية التي أصابته وذلك سنة أربع - وهو الصحيح - أو خمس! وأما غزوة المريسيع التي كانت قصة الإفك بعدها فإنها كانت سنة ست. قال الطبري: (غزا بالمصطلِق من خزاعة في شعبان سنة ست حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع)[1] انتهى.

وقال العاملي: (وجزم بذلك ابن أبي الحديد، وابن حبيب، وابن الأثير، وابن خلدون، وأبو حاتم، وابن العماد، وخليفة، والبيهقي، وابن الكازروني، وابن كثير، وابن الوردي، والبخاري، ومن قال بأنّها قبل غزوة الخندق فإنما اضطر إلى ذلك من أجل تصحيح حديث

(١) انظر ج٢ ص ٢٦٠ - ٢٦٤، تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة بالقاهرة لسنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

الإفك مثلما وهم العسقلاني في فتح الباري حيث نسب إلى الطبري القول بأنها سنة خمس)[١] انتهى.

الأمر الثاني:

جاء في رواية عائشة: (فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أُبي وهو على المنبر - ثم قالت: فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت - الرواية).

وهذا غير صحيح لأن المنبر لم يكن موجوداً في سنة ست!

قال العاملي: (بل اتخذ في السنة التاسعة كما يدل عليه ذكر تميم الداري في روايات المنبر، وتميم قدم المدينة سنة تسع)[٢] انتهى.

ويؤيد ذلك ما أثبته ابن حجر في إصابته قال: (كان رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب إلى جذع في المسجد قائماً، فقال: إن القيام قد شقّ علي، فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً كما رأيت يُصنع بالشام؟ فشاور النبي ﷺ المسلمين في ذلك فرأوا أن يتخذه، فقال العباس بن عبد المطلب: إن لي غلاماً، يقال له كلاب أعمل الناس، فقال: مُرْهُ أن يعمله فأرسله إلى أثلةٍ بالغابة، فقطعها وعمل منها درجتين ومقعداً، ثم جاء فوضعه في موضعه اليوم، فقام

(١) انظر ص ١٠٠، حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني العاملي، طبعة سنة ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر ص ١٣٢، حديث الإفك لجعفر مرتضى الحسيني العاملي، طبعة سنة ١٣٩٩هـ.

عليه)[١] انتهى. وقال في ترجمة العباس: (هاجر قبل الفتح بقليل)[٢].

❁ ❁ ❁

الملاحظة الثامنة:

ينبغي ملاحظة سبب الفتنة التي حدثت بين المسلمين من الأنصار في جهة والمهاجرين في جهة أخرى في أعقاب غزوة المريسيع والتي تقطع الطريق على تقبل رواية عائشة فيما حصل من ضياع الوقت بحثاً عن العقد المفقود لأن تفاصيل المشكلة التي حصلت على ماء المريسيع بعد الانتهاء من تلك الغزوة كانت تنذر بشر مستطير مما جعل النبي ﷺ يسرع السير في طريق العودة إلى المدينة ليفوّت الفرصة على المنتفعين من تلك الفتنة الخطيرة فسار بهم مسرعاً الليل والنهار دون توقف وهو ما يعارض رواية عائشة في تجاوز الجيش لقضاء حاجتها كما يتوضح من النصّ الآتي والذي يكذّب أيضاً روايتها المزعومة في التسابق مع النبي ﷺ.

جاء في مغازي الواقدي: (لما رحنا من المريسيع قبل الزوال كان الجهد بنا يومنا وليلتنا، ما أناخ رجل إلّا لحاجته أو لصلاة يصلّيها. وإنَّ رسول الله ﷺ يستحدث راحلته، ويخلف بالسوط في

(١) انظر ج٤ ص ٤٨٧، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الفكر الأولى لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - بيروت.

(٢) انظر ج٣ ص ١٤٦، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، طبعة دار الفكر الأولى لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م - بيروت.

مراقّها حتى أصبحنا، ومددنا يومنا حتى انتصف النهار)[١] انتهى.

ويأخذني العجب من الواقدي وغيره كيف يرتضي تحرير قول عائشة في وصف نوم النبي ﷺ على فخذها ويتسبب في حبس الجيش كله وتنزل بسبب ذلك آية التيمّم (ويشهد بفضل ذلك أسيد بن حضير بقوله: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر)[٢].

وهذا يناقض الواقع ولا يوافق مقام النبي ﷺ ليتوسد فخذ عائشة في العراء.

وعند العودة إلى ملاحظة سبب الفتنة التي حدثت بين المهاجرين والأنصار نجد أن جهجاه بن سعيد الغفاري أجير لعمر بن الخطاب، كان هو المسبب المباشر والوحيد في إثارة تلك الفتنة التي جاء في أثرها قول عبد الله بن أُبي - طبقاً لما أثبت المفسرون بالاعتماد على أصحاب المغازي -: (والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ)[٣].

وهذا القول بتقديري هو أقرب إلى التنفيس عن غضبه مما جرى من سوء تصرف جهجاه، منه إلى التصميم الفعلي في مقصده لأنه أنكر قوله هذا بحضرة النبي ﷺ وحلف له أنه لم يقل وكشف الله كذبه وقد كان سيد قومه!

---

(١) انظر ج٢ ص ٤٢٢، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

(٢) انظر ج٢ ص ٤٢٧، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

(٣) انظر ج٢ ص ٤١٦، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

فما الذي عمله جهجاه الغفاري وأثار حفيظة عبد الله بن أبي وهو سيّد القوم وما صدر من قوله الذي دفع ثمنه باهضاً جداً وكاد أن يفقد حياته؟ وهل انفرد عبد الله بن أبي بتلك الإثارة والغضب؟ أم سبقه إليها الأوس والخزرج؟

وأي الفريقين كان أسرع استجابة للفتنة وطلب الشر، المهاجرين أم الأنصار؟ وهل كان تصرف جهجاه وسرعة إقبال قريش عفوياً أم ينطوي على تدبير مسبق؟

الجواب: لكي نفهم حجم المشكلة والخطورة التي كانت تنذر بها: علينا أن نلاحظ إجراء النبي ﷺ في حثّ السير المتواصل ليلاً ونهاراً لإطفاء نائرة الغضب والفتنة التي أثارها جهجاه، وهذا يقتضي أن أذكر ملابسات الحادثة وأُعلق عليها ما أراه مناسباً - أخذت النصّ من مغازي الواقدي بتصرف لأجل الاختصار -.

قال الواقدي: (فبينا المسلمون على ماء المريسيع قد انقطعت الحرب، وهو ماء ظنون (أي قليل) تزاحم سنان بن وَبَر الجهني وهو حليف في بني سالم مع جهجاه بن سعيد الغفاري وهو أجير إستأجره عمر بن الخطاب يقوم على فرسهِ (أي يقوم برعايتها)، فأدلى سنان وأدلى جهجاه دلوه، وكان جهجاه أقرب السقاء إلى سنان بن وَبر، فالتبست دلو سنان ودلو جهجاه، فخرجت إحدى الدلوين وهي دلو سنان بن وبر. قال سنان: دَلوي. فقال جهجاه: والله ما هي إلّا دلوي. فتنازعا إلى أن رفع جهجاه يده فضرب سناناً فسالَ الدم، فنادى: يا آل خزرج! فثارت الرجال. قال سنان: واعجزني هرباً وأعجز أصحابي، وجعل ينادي في العسكر: يا آل قريش! يا آل

كنانة! فأقبلت إليه قريشٌ سراعاً. قال سنان: فلما رأيت ما رأيت ناديت بالأنصار. قال: فأقبلت الأوس والخزرج، وشهروا السلاح حتى خشيت أن تكون فتنة عظيمة، حتى جاءني ناس من المهاجرين يقولون: اترك حقّك! فتركتُ ذلك ولم أرفعه إلى النبي ﷺ، وكان عبد الله بن أُبي جالساً فبلغه صياح جهجاه: يا آل قريش! فغضب بن أُبي غضباً شديداً، وكان مما ظهر من كلامه وسمع منه أن قال: والله ما رأيتُ كاليوم مذلة! قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلدنا وأنكروا منّتنا.

واللهِ، لقد ظننتُ أني سأموت قبل أن أسمعَ هاتفاً يهتف بما هتف به جهجاه وأنا حاضر، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ. فقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كله إلى رسول الله ﷺ.

قال عمر: يا رسول الله، ائذن لي أن أضرب عنقَ بن أُبي في مقالته. فقالَ رسول الله ﷺ: أوَ كنتَ فاعلاً؟ قال: نعم! قال رسول الله ﷺ: إذاً لأُرعِدَت له آنُفُ بيثرب كثيرة؛ لو أمرتهم بقتله قتلوه. قلت: يا رسول الله، فمر محمد بن مسلمة يقتله. قال: لا يتحدث الناس أنّ محمداً قتل أصحابه.

وبلغ ابنه عبد الله بن (عبد الله بن أبي بن سلول) مقالة عمر بن الخطاب فجاءَ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن كنتَ تُريد أن تقتل أبي فيما بلغك عنه فمرني، فواللهِ لأحملنَّ إليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا. لقد علمت الخزرج ما كان فيها رجل أَبَرّ بوالدٍ مني، ما أكل طعاماً ولا شرب شراباً إلّا بيدي، وإني لأخشى يا

رسول الله أن تأمر غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس، فأقتله فأدخل النار، وعفوك أفضل ومنُّك أعظم.

قال رسول الله ﷺ: يا عبد الله، ما أردتُ قتله وما أمرتُ به، ولنحسِنَنَّ صحبته ما كان بين أظهرنا. فقال عبد الله: يا رسول الله، إن أبي كانت هذه البحرة (البلدة، يعني المدينة) قد اتسقوا عليه ليتوجوه عليهم، فجاء الله بك، فوضعه الله ورفعنا بكَ، ومعه قومٌ يطيفون به ويذكرون أموراً قد غلب الله عليها. قال: فلما انصرف من عند النبي ﷺ وعرف أنَّ رسول الله ﷺ قد تركه ولم يأمر بقتله قال:

ألا إنما الدنيا حوادِثُ تُنتَظرْ

ومِن أعجب الأحداثِ ما قاله عُمَرْ

ولو كان للخطّابِ ذنبٌ كذنبهِ

فقلتُ له ما قال في والدي كَثَرْ

غداةَ يقولُ ابعث إليه محمداً

ليقتله بِئسَ لَعَمرُكَ ما أمَرْ

وذكر الواقدي أن قوم بن أُبي كانوا ينظمون له الخرز ما بقيت عليهم إلّا خرزة واحدة عند يوشع اليهودي، قد أرب بهم فيها لمعرفته بحاجتهم إليها ليتوجوه ملكاً عليهم)[1] انتهى.

(١) انظر ج٢ ص ٤١٥ - ٤٢١، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

والسؤال: لماذا كان جهجاه الوحيد من بين المهاجرين الذي تسبب في إثارة الفتنة؟ وهل كان مضطراً لضرب سنان وإدمائه؟

والرواية تقول، إنَّ الدلو لسنان! وذلك يعني أن جهجاه تعمد افتعال المشكلة وكان يمكنه إثبات حقه بالكلام! أو يقوم بسحب الدلو الثاني الذي لا يزال ينتظر من يسحبه وتنتهي المشكلة من دون حاجة إلى الضرب والادماء الذي أعقبه فرار جهجاه وهو يتنافى مع الشجاعة التي أبداها بضرب خصمه، ولهذا أعتقد أن تصرف جهجاه لم يكن عفوياً وإنما جاءَ تنفيذاً لخطة أرادت إشعال نار الفتنة بين الأنصار والمهاجرين لتحقيق هدف بعيد! واستدل على ذلك بأمرين:

الأول: قيام جهجاه بضرب سنان وإدمائه بشكل سريع ومفاجيء والهروب أمامه لإغرائه بأنه خائف منه وعندما سار المخطط وفق المرسوم، رفع جهجاه صوته مستغيثاً برعب لينادي بشعار التفرقة العنصرية والتعصب الجاهلي يا آل قريش، والصفحة الثانية في الخطة المرسومة استجابة قريش السريعة! وهم بتقديري أشخاص كانوا بانتظار صوت جهجاه وقد هبوا لمواجهة سنان لوحده مما اضطره أن ينادي بنداء عفوي لا علاقة له بالتخطيط المسبق: (فلما رأيتُ ما رأيت ناديتُ بالأنصار) فأقبلت الأوس والخزرج وشهروا السلاح! وهنا تدخل المسلمون من المهاجرين الذين لا علاقة لهم بهذا المخطط وفضوا النزاع الذي كان بحاجة إلى مَن يطيب خاطر سنان بالكلام الطيب ويُطمئِن الأنصار بأن المهاجرين إخوانهم في الإيمان ولا يمكن أن ينافروهم أو يكاثروهم مثلما دلَّ عليه إسراع الأشخاص الذين استجابوا لصياح جهجاه والذي كان من ثمار نتائجه شهر

السلاح من قبل الأوس والخزرج وغضب سيدهم عبد الله بن أُبي واستفزازه الذي أدّى إلى إطلاق التصريحات غير المسؤولة التي استثمرها واضعوا الخطة، وكادوا أن ينجحوا في استدراج الطرفين إلى القتال لولا حكمة النبي ﷺ وفراسته في رفض الآراء التي كانت تريد إشعال نار الفتنة. والتي نجحت في استدراج عبد الله بن أُبي ولكنها لم تنجح في التأثير على قرار سيّد المرسلين ﷺ كما سيوضحه الأمر الثاني.

الأمر الثاني: أريد أن أثبت هنا أن المطالب الوحيد بضرب عنق عبد الله بن أُبي بن سلول هو عمر بن الخطاب.

وحصلت تلك المطالبة قبل أن ينزل الله الآية التي تؤكد كذبه. وهذه ليست موافقة ربانية لعمر مثلما يصور الواهمون في نزول الآيات على رغباته، وليست هي الفراسة التي جعلت عمر الوحيد من بين المسلمين الذي يطالب بإلحاح بقتل عبد الله بن أُبي، بعدما فشلت الخطة التي وضعها لأجيره جهجاه وللذين كانوا سراعاً في إجابته والتي نجح قسم منها في استدراج عبد الله بن أُبي، وتصدى النبي ﷺ بحكمته لإفشال الصفحات الأخرى في الخطة وهي المطالبة الملحة بقطع رأس عبد الله بن أُبي، وإنما السبب الوجيه والمنطقي الذي يوافق مجريات الأحداث اللاحقة يكمن في خطورة المركز الاجتماعي والسياسي الذي كان عليه عبد الله بن أُبي لكونه السيد والشريف[1] في

(١) انظر العبارة (وكان في قومه شريفاً). ج٢ ص ٤١٨، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

قومه، وهذا يجعل منه المنافس الأكبر والأخطر في ميدان السباق على الاستيلاء على منصب النبي ﷺ إذا بقيت الحياة لعبد الله بن أُبي بعد رحيل النبي ﷺ طبقاً لما كان مرسوماً لحياته الشريفة من مخططات تقتضي بقتله مثلما جرت المحاولات الفاشلة، ولكنها نجحت في معالجته بالسم كما تكفّلت بإيضاحه بحوث نجاح الطائي[١] وعالم سبيط النيلي[٢] وآخرين[٣] ممن أكد اغتيال النبي ﷺ بيد العصابة التي استلمت السلطة بعده مباشرة.

النصوص الآتية تثبت أن المطالب الوحيد بقتل عبد الله بن أُبي هو عمر بن الخطاب، ولكن تمَّ تجهيل اسمه بالمطالبة الأولى للتمويه على الحقيقة بعدما وجد صعوبة في إقناع النبي ﷺ بتكليف عباد بن بشر، مرَّة، ومحمد بن مسلمة مرة أخرى، وهو ما يتضمنه النصّ الأول، الآتي:

(وجعل زيد يقول: اللهم، أنزل على نبيّك ما يُصدق حديثي! فقال قائل: يا رسول الله، مُر عباد بن بشر فليأتِكَ برأسه: فكره رسول الله ﷺ هذه المقالة. ويقال قال: قُلْ لمحمد بن مسلمة، يأتك

---

(١) انظر كتاب (هل اغتيل النبي محمد؟) لنجاح الطائي، ط١ لسنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الهدى لإحياء التراث - بيروت - لندن. وانظر اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة لنجاح الطائي، ط١ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار الهدى للتراث - بيروت.

(٢) قال عالم سبيط: (فالخبير اليهودي بالسموم أعطاهم الحد الأقصى لبقائه حياً. . لقد مات رسول الله مقتولاً بالسم)، انظر ص ٣٩ - ٤٠، الطور المهدوي المطبوع مع المدخل إلى نظام المجموعات ونجوم القرآن المبين وحوارية الكفر والإيمان.

(٣) ذكر ابن سعد في طبقاته (قال عبد الله بن مرة: احلف تسعاً أن رسول الله ﷺ قتل قتلاً)، انظر ج٢ ص ١٧٩، عنوان - ذكر ما سم به رسول الله ﷺ -، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

برأسه. فقال النبي ﷺ وأعرض عنه، لا يتحدّث الناس أن محمد يقتل أصحابه)[١] انتهى.

تبرّع عمر هذه المرة أن يقوم هو بضرب عنق عبد الله بن أُبي، ولكن النبي ﷺ لم يرفض طلب عمر فحسب وإنما استنكر إصراره على قتل الرجل لما ينتج عن ذلك من إحياء للفتنة التي تمّت السيطرة عليها.

النصّ: (قال عمر: يا رسول، ائذن لي أن أضرب عنق ابن أُبي في مقالته. فقال رسول الله ﷺ: أوَ كنتَ فاعلاً؟ قال: نعم، والذي بعثك بالحق! قال رسول الله ﷺ: إذاً لأُرعِدَت له أُنُفٌ بيثرب كثيرة؛ لو أمرتهم بقتله قتلوه. قلت: يا رسول الله، فمر محمد بن مسلمة يقتله، قال: لا يتحدث الناس أنَّ محمداً قتلَ أصحابه)[٢] انتهى.

وهكذا تكشف الرواية الثانية عن اسم المجهول في الرواية الأولى بدليل أن أبيات الشعر التي قالها عبد الله بن عبد الله بن أُبي تشير إلى عمر دون غيره!

بعد إثبات أن عمر هو المطالب الوحيد من بين المسلمين بقتل عبد الله بن أُبي وإثبات أن أجيره جهجاه الغفاري هو المتسبب الوحيد في خلق المشكلة التي أنتجت مطالبة عمر المخالفة لرغبة النبي ﷺ

(١) انظر ج٢ ص ٤١٧، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

(٢) انظر ج٢ ص ٤١٨، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي بيروت - لبنان.

يتوضح لي أن أسباب المشكلة وما ترتب عليها من مطالبة عمر لم تكن عفوية وإنما كانت مخططة بشكل مسبق وكان من أهدافها إزالة عبد الله بن أُبي من لائحة المتنافسين على السلطة لشرفه وسيادته في قومه وذلك لما كانت تتمتع به الأنصار من ثقل سياسي واجتماعي مؤثر في دعم المرشح الذي سيخلف النبي ﷺ.

وهذا يفسر لنا سبب اختيار سقيفة بني ساعدة لحسم أمر الخلافة فيها، وهو أمر تمّ التخطيط له مسبقاً وأُقحِمَ فيه دور سعد بن عبادة الذي أدرك أبعاد مخططهم فعارضه بشدة ولذلك تمَّ تهجيره ومن ثم تصفيته.

خلاصة الملاحظة الثامنة:

إنَّ قول عائشة في حديث الإفك: (فقام رسول الله ﷺ فاستعذر من عبد الله بن أُبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين مَن يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي)[1] انتهى. فيه استغاثة تستدعي أن يهب لها المسلمون لإسعاف طلب النبي ﷺ في الهجوم على عبد الله بن أُبي ابن سلول واجتثاثه من على الأرض، وقد علمنا أنهم أرادوا قتله بانتظار إشارة واحدة من النبي ﷺ لأقل من هذا الأمر العظيم وذلك لقوله الذي مرّ: (لو رجعنا إلى المدينة سيُخرجُ الأعزُّ منها الأذلُّ).

لكن النبي ﷺ رفض قتله ولم يسمح لأحد بذلك ومنهم ابن عبد

(١) انظر ج٢ ص ٩٣٦، صحيح البخاري، ط١ لسنة ٢٠٠٤م دار الآفاق العربية - القاهرة.

الله بن أُبي كما مرَّ! ولكننا لم نجد من يهب لنجدة طلب النبي ﷺ من المسلمين هذه المرة بل لم يذكر أحد شيئاً عن استنكارهم لقوله في الإفك ولا عن غضبهم لاتهامه ظلماً لزوجة نبيّهم فيطالبون بقتله أو معاقبته جرّاء تزعمه للعصبة القائلة بالإفك وهو سبب ليس هيّن إذا ما أضيف إلى السبب السابق الذي أدّى إلى تعالي الأصوات المطالبة بقتله كما علمنا!

والسؤال: ما سر هذا التناقض في موقف المسلمين بين استعدادهم وسعيهم لقتل عبد الله بن أُبي من غير أن يطلب النبي ﷺ ذلك منهم بل يقابلهم بالإعراض والرفض وبين أن يستغيث النبي ﷺ من على المنبر وهو يطلب من معشر المسلمين مَن يعذره من عبد الله بن أُبي فلا من مجيب ولا من مغيث؟

والجواب: لأن رواية عائشة في حديث الإفك كاذبة فلا يؤيدها المنطق وقد تمَّ تسخير جانب مهم منها لصرف النظر عما قلناه بشأن المشكلة التي افتُعِلَت لاجتثاث عبد الله بن أُبي من طريق الوصول إلى السلطة.

❁ ❁ ❁

الملاحظة التاسعة: دور الاعلام في التدليس على الحقائق

حاول كتّاب مدرسة الخلفاء التدليس على الحقائق ولا سيما حقيقة حديث الإفك، لأنها تدين أسيادهم ورؤساءَهم.

فمنهم مَن أعرض عن ذكر اسم مارية في هذا الحديث المهم كما فعل البخاري عندما أورد عنواناً مستقلاً في صحيحه لا علاقة له

بمضمونه وهو: (باب الغرفة والعُليَّة المشرفة وغير المشرفة في السطوح وغيرها). وذكر البخاري تفاصيل تظاهر عائشة وحفصة وطلاق النبي ﷺ لهما واعتزال النبي ﷺ في بيت مارية لمدة (٢٩)[١] يوم، ورفضه توسلات عمر الساعية إلى طلب مواجهة النبي ﷺ لثلاث مرّات لكن البخاري ومسلم تظاهرا على الحقيقة وأخفيا أهم وأخطر ما فيها وهو حديث الإفك بحق مارية وتشبثا بأوهن الأعذار لإلباس الحق بالباطل وكذلك كان سعي باقي كتّاب مدرسة الخلفاء.

جاء في صحيح البخاري تحت باب الغرفة والعلية المذكور ما يأتي:

مع تعليقي لإيضاح النصّ: (القول لعمر: فجئتُ المنبر، فإذا حوله رَهطٌ يبكي بعضهم، فجلستُ معهم قليلاً، ثم غلبني ما أجدُ) - يعني هذا أن هناك مصاب جلل أبكى المؤمنين المخلصين لله ورسوله وجعل عمر قلقاً لا يصبر على الجلوس معهم وإتقاء محادثتهم لأنه مذنب وستتوضح لك هذه الحالة عند متابعة باقي أجزاء النصّ: (القول لعمر: فجئتُ المشربة التي هو فيها) - اعلم بأن هذه المشربة كانت مسكن أم إبراهيم وهي مارية زوجة النبي ﷺ وتجنب عمر أو الراوي ذكر اسم مشربة أم إبراهيم كما تُعرَف لكيلا ينحصر اعتزال النبي ﷺ لعائشة وحفصة دون باقي نسائه فتنبّه - (القول لعمر: فقلت

(١) جاء في تفسير الكشاف للزمخشري: (فطلقها واعتزل نسائه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية)، انظر ص ١١١٩ تفسير الكشاف، ط١ لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت.

لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل فعَلَّم النبي ﷺ ثم خرج فقال: ذكرتُكَ له فصَمَت، فانصرفتُ) - هذه المرة الأولى يطلب عمر مواجهة النبي ﷺ ويُقابله النبي ﷺ بالرفض.

(القول لعمر: فانصرفتُ حتى جلستُ مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئتُ، فذكر مثله) هذه هي المرة الثانية التي يعرض فيها النبي ﷺ عن استقبال عمر رافضاً له طلبه في مقابلته وعليك أن تقدّر مستوى الجناية التي أقلقت عمر بكل ما عرفنا عنه من خشونة وغلظة، وهذا الحدث الذي نناقش تداعياته وأبعاده جرى في السنة التاسعة للهجرة بدليل وجود المنبر الذي بكى المؤمنون حوله من هول ما سمعوا من حديث الإفك، وهذه الجناية جعلت عمر لا يقر له قرار على الأرض لأنه لا يعلم ماذا سيكون قرار النبي ﷺ بشأن معاقبتهم جزاءً بما فعلوا ولعلكَ تسأل: لماذا كل هذا الارتباك من عمر ولماذا لم يُذكر أبو بكر إذا كان ضمن العصبة التي جاءت بالإفك.

أُعطيك الجواب ثم أعود لمناقش توسلات عمر:

اعلم بأن أبا بكر كان من أدهى الدهاة، وكان حذراً جداً في تحركاته، وقد جلب ذلك الدهاء انتباه المحللين من الكتّاب والمفكّرين الذين وقفوا على تحليل شخصيته، ومن ذلك ما جاء في كتاب الوجه الآخر للشيخين لعالم سبيط النيلي قوله: (رجل عظيم الدهاء، شديد المكر، بارع الحيلة، يكتم أشياء ويظهر أشياء، شديد الخوف على نفسه، حسود، بخيل لدرجة الاشمئزاز)[1] انتهى.

(١) انظر ص ٩٨، الوجه الآخر للشيخين - عالم سبيط النيلي - صفة أبي بكر.

ويعلم الجميع بالارتباط الوثيق بينه وبين عمر، ولم تأتِ المؤاخاة بينهما من فراغ، وقد وجدنا أن آرائهما متوافقة، ومشاريعهما مشتركة، فكلاهما خطب فاطمة الزهراء عليها السلام ابنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سعياً وراء تحقيق هدف سياسي ورُدَّ طلبه، وكلاهما تبرَّع بإهداء ابنته إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وكلاهما تربّع على عرش الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لم يأتِ من فراغ أيضاً! وإنما كانت تضبطه ضوابط وفق حسابات دقيقة كان المخطط لها أبو بكر ضمن دائرة واسعة الأطراف تجيد تسخير السياسة والاقتصاد لخدمة أهدافها.

وكان من دهاء أبي بكر أن يدفع بعمر كرأس حربة في مواجهة الأحداث الساخنة وينتظر هو في الظل النتائج التي تعود عليه بالنفع، ولنا في ذلك شواهد تاريخية:

منها: - المعارضة الصارخة التي وقف فيها عمر بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أحداث صلح الحديبية، وكان مرجعه والموجه له أبو بكر - راجع أي مصدر تاريخي، ستجد أن تأثير أبي بكر أكثر من تأثير النبي صلى الله عليه وآله وسلم على عمر فيما يخص قبول شروط الصلح.

ومنها: تزعّم عمر للمجموعة التي منعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كتابة وصيته فيما يمنع الأمة من الضلال حيث كان عمر في الواجهة وأبو بكر في الظل لكنه استثمر نتائج ما قام به عمر من منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إعلان اسم المرشح للخلافة ليتولاها هو ضمن مسرحية السقيفة التي كتبت فصولها قبل اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومنها: إشهاره للسيف بوجه مَن يعلن وفاة النبي ﷺ حتى أزبد شدقاه بانتظار صاحب الدهاء أبي بكر الذي أعلن بهدوء عن وفاة النبي ﷺ بمجرد وصوله، لينهي الدور الذي كان يمثله عمر والذي أدّى فيه دور المصدوم بوفاة النبي ﷺ وبدون أي كلام ترك أبو بكر وعمر ذلك المشهد التمثيلي بعد الاطمئنان على عدم إعلان اسم المرشح المرتقب من البيت الهاشمي وهو علي بن أبي طالب، تراكضوا إلى مؤتمر السقيفة وقد خلفوا وراءَهم جسد سيّد الأكوان قبل أن يُغسل ويُكفن ويُجهز بما يليق بقمام أشرف الخلق.

والسؤال المناسب هنا: أيهما كان أحب إلى أبي بكر وعمر... النبي ﷺ أم سلطانه الذي تنازعوا عليه قبل تغسيله وتكفينه ودفنه؟

ومنها: مواجهة عمر ومخاشنته مع المعترضين والرافضين لبيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة وبعد المواجهة والإهانة والشتائم التي تلقاها عمر يظهر صوت أبي بكر قائلاً: (مهلاً يا عمر مهلاً فإن الرفق أبلغ وأفضل)[1].

ومنها: قيادة عمر للمجموعة التي همّت بحرق بيت علي بن أبي طالب عليه السلام رغم علمه بوجود فاطمة الزهراء عليها السلام فيه، من أجل إرغام علي عليه السلام على مبايعة أبي بكر لأنه كان من أول الرافضين والمستنكرين لبيعته وكان احتجاجه واضحاً يبيّن فيه ابتزاز أبي بكر لمنصب الخلافة بدون وجه حق، في مضامين البيتين الآتيين فيما أثبت شارح النهج:

---

(١) انظر ج٢ ص ٥٢، الاحتجاج للطبرسي، طبعة مؤسسة الأعلمي - بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبع.

فإن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورهم

فكيفَ بهذا والمُشيرون غُيّبُ

وإن كنتَ بالقربى حَجَجْتَ خصيمَهم

فغيرُكَ أولى بالنبيّ وأقربُ[1]

فكانت المجموعة التي همّت بحرق البيت تأتمرُ بأمرة عمر، لكن عمر كان يأتمر بأمرة أبي بكر، بدليلِ ندمِ أبي بكر في آخر أيام حياته، إذ تمنى لو أنه لم يكشف بين الزهراء عليها السلام ليعطينا علماً أكيداً بأن عمر كان في الواجهة الأمامية، وأبو بكر كان ينتظر في الظل نتائج اندفاع عمر في تنفيذ أوامره.

ومنها: تزعّم عمر للمجموعة التي كانت تزف أبا بكر في طريقها لاستكمال البيعة له في المسجد النبوي، فكان عمر يشدّ إزاره على وسطه وهو يسعى مهرولاً بين يدي أبي بكر ليأخذ له البيعة ممن يلاقيه بالإكراه، وذلك بخبط يد المواطن الكريم سواء أوافق أم لم يوافق فالنتيجة واحدة، إذ يقوم عمر بخبط يد الشخص الذي يلاقيه على يد أبي بكر وكأن عمر هو صاحب الأمر والنهي.

والحقيقة أنّه كان يتحرك وفق إرادة صاحب الأمر غير المعلنة وهو أبو بكر، كما جاء في قول البرّاء بن عازب الذي أثبته الجوهري وفق النصّ الآتي: (وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة

(١) انظر ج١٨ ص ٤٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأُزر الصنعانية لا يمرون بأحد إلّا خبطوه وقدّموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه، شاء ذلك أو أبى)[١] انتهى.

ومنها: حادثة الإفك التي تشير تفاصيلها إلى أن أبا بكر كان وراء اندفاع عمر في حمل السيف والهجوم على بيت مارية أم إبراهيم بدون إذن النبي ﷺ وبعد ظهور الدليل المادي على براءة مأبور ومارية، يظهر لك تسرع عمر فيما لا أساس له من اليقين. ولا يظنَّ أحد بتوافق موقف عمر مع موقف النبي ﷺ في إرسال علي عليه السلام لقتل مأبور، كما روّج إعلام السلطان بتوافق رأي الخالق مع رأي عمر في نزول الآيات القرآنية، بل أريد في بعضها تفوّق نباهة عمر على نباهة الآخرين وإن كان في ذلك مساس لعظمة الخالق جل ثناؤه ومقام رسوله الكريم ﷺ.

وحيث كانت الأهداف مختلفة في قضية مارية، بل متقاطعة تماماً ففي الوقت الذي كان يسعى فيه عمر إلى إثبات زنا مارية عندما جرد سيفه لقتل مأبور خدمة للأهداف السياسية التي أشرنا إليها. فإنَّ النبي ﷺ كان أدرى ببراءة مارية وبراءة مأبور من حادثة الإفك وبالتالي فإن إرساله لعلي عليه السلام إنما كان لإلقاء الحجة وإدانة أهل الإفك الذي كان عمر يمثل فيه رأس الحربة والأداة الطيعة لترجمة ظنونهم الآثمة..

وستنكشف أمامك الحقيقة جلية عند استكمال بحثنا فيما يتعلق

---

(١) انظر ص ٤٨، السقيفة وفدك للجوهري، ط٢ لسنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م شركة الكتبي - بيروت.

بدور الأعلام في التدليس على الحقائق ولا سيما الأدوار الخطيرة التي لعبها البخاري ومسلم في تضليل الشيوخ فضلاً عن الأبناء من خلال التلاعب بالألفاظ التي تساعد على إخفاء الحقيقة حفاظاً على سمعة الخلفاء الأوائل.

عودة إلى حديث البخاري لاستكمال مناقشة أقوال عمر!

قد علمنا أن النبي ﷺ قد رفض طلب عمر المُلِح في مواجهته للمرة الثانية فلنتابع تحركات عمر التي تكشف عن قلق عميق وحرج كبير لم تستطع إخفاءه محاولات البخاري ومسلم في التغطية والتعتيم على حقيقة ما حصل.

(القول لعمر: فجلستُ مع الرهط الذين عند المنبر، ثمَّ غلبني ما أجد).

أقول: ينبغي أن يسأل القارىء نفسه: ما هي المعضلة التي أبكت المؤمنين؟

وما هو الأمر الخطير الذي واجه عمر والذي يشير إليه بكلمة أجد؟

وأي أمر جسيم يريد عمر التغلب عليه بكل ما لديه من غلظة وخشونة ويفشل للمرة الثالثة فيغلبه ما يجد؟

وما علاقة ذلك بزوجات النبي ﷺ؟

ولماذا يبكي المسلمون حول المنبر؟ وما علاقة عمر بذلك البكاء؟

ولماذا لا يطلب غيره ممن كان يبكي مواجهة النبي ﷺ؟

ولماذا كل هذا الإصرار على مواجهة النبي ﷺ من قبل عمر دون غيره من المسلمين؟

ولماذا يرفض النبي ﷺ السماح لعمر بمواجهته للمرة الثالثة؟

انظر تكملة النصّ:

القول لعمر: ثم غلبني ما أجد فجئت الغلامَ، فقلت: استأذن لعمر، فذكر مثله، فلمّا وليتُ منصرفاً، فإذا الغلام يدعوني قال: أَذِنَ لكَ رسول الله ﷺ.

حاول الراوي ومن ورائه البخاري، تخفيف الأزمة والتعتيم على الأمر الجسيم بقوله: فذكر مثله. ولو تحرينا الدقة، لوجدنا أن النبي ﷺ قد طرد عمر من على بابه ثلاث مرات.

❁ ❁ ❁

تحليل النصّ:

قد علمنا أنَّ هناك أمر جسيم قد حصل في أخريات سني حياة النبي ﷺ الزوجية وهذا الأمر مرتبط بآية التظاهر وهي الآية الرابعة من سورة التحريم.

وقد ثبتَ اعتراف عمر في رده على سؤال عبد الله بن عباس بأن المتظاهرتين على النبي ﷺ هما عائشة وحفصة، وذكر المفسرون في أسباب النزول أن ذلك التظاهر يعود إلى علاقة النبي ﷺ بزوجاته، وافتعلوا أسباباً واهية لا توفر القناعة لمن يدرك ويقدّر عظمة أشرف خلق الله حق تقديرها، ومن الأسباب المفتعلة أكذوبة التقاء النبي ﷺ بمارية في يوم عائشة فحرّمها عليه إرضاءً لحفصة وهذا تخرّص

مفضوح يعود بالوعيد على القائلين به في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾[1] ولن ينجو المروجون له لأنه يمس شخصية أشرف خلق الله ﷺ، إذ ليس من المنطق أن يقدّم النبي ﷺ اعتذاره لحفصة وهي ليست صاحبة الحق في الاعتراض لأنه يوم عائشة، وإذا كان لعائشة حق الاعتراض فلا ينبغي أن يكون اعتذار النبي ﷺ على حساب كرامة مارية ليحرّمها على نفسه وهي ليست صاحبة ذنب في مسألة التحريم.

ونفس الشي يقال على أكذوبة شربه ﷺ العسل عند إحدى زوجاته، فحرمه على نفسه استجابة لحاسة الشم الكاذبة لدى بعض زوجاته! ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[2] ولكن أُريدَ المساسُ بشخصية هذا النبي العظيم ﷺ وليست الأسباب الواهية التي تمسك بها المفسرون في آية التظاهر إلّا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾[3]. فليس من المنطق أن يؤدي إعراض النبي ﷺ عن معاشرة زوجته أو شربه للعسل إلى بكاء الناس في المسجد، وعدم استقرار عمر في مكانه وإصراره على مواجهة النبي ﷺ وطرده ثلاث مرات.

بل إنَّ الدلائل المنطقية تشير إلى حادثة الإفك وإنَّ تظاهر عائشة وحفصة على النبي ﷺ لا ينفك عنها وبسببها تمَّ تطليقهما، وتشير الدلائل أيضاً إلى اشتراك أبي بكر وعمر في حادثة الإفك بشكل

---

(١) سورة الذاريات، الآيتان: ١٠، ١١. قال في تفسيرها الزمخشري: (الخرّاصون: الكذّابون المقدّرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف). أقول: انظر إلى كثرة اختلاف الأقوال في تفسير آية التظاهر!

(٢) سورة التكوير، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الذاريات، الآيتان: ٨ و٩.

فعال؛ لكن دهاء أبي بكر رفع صورة عمر في واجهة الحادثة وأخفى صورته، فإن حادثة شهر السيف من قبل عمر والهجوم على بيت مارية لقتل مأبور لم تكن وليدة تفكير مفاجىء طرأ على ذهن عمر، بل كان تدبيراً ناتجاً عن مفاوضات ومداولات بين العصبة التي جاءت بالإفك.

لكن خطوة عمر لم تمرّ مر الكرام، بل كان من تداعياتها أن قدَّمَ النبي ﷺ الدليل القاطع على كذب عائشة وحفصة وعمر وأبي بكر، وذلك بكشف النقاب عن حالة مأبور من خلال إرسال الإمام علي عليه السلام في أعقاب فعل عمر المشين حينما حاول من طرفه إثبات زنا مارية، فكانت صدمته كبيرة عندما وجد أن مأبور مجبوب، وأنَّ المعلومات التي وفرتها عائشة وحفصة لم تكن دقيقة، فأصبح في مواجهة حرج كبير، وبقي يترقب ردة فعل النبي ﷺ بعد إرساله علياً عليه السلام ولما جاء علي عليه السلام بالدليل على كذب العصبة التي تولت الإفك وخيانة الزوجتين عائشة وحفصة، أعلن النبي ﷺ طلاق عائشة وحفصة حصراً وقد حرّم رجوعهما عليه حسب فهمي لملابسات الحادث.

وليسَ اعتزاله في مشربة أم إبراهيم وهي مارية لمدة شهر إلّا تضامناً معها ورفضاً لما لحق بها من ظلم وافتراء طال شرفها وسمعتها، وكل ذنبها أنها أنجبت إبراهيم من النبي ﷺ. وعلى القارىء الكريم أن يسأل نفسه: لماذا يخفي البخاري اسم مارية من بين كل هذه التفاصيل في باب الغرفة والعُليّة المشرفة وهي بيت مارية الذي اعتزل فيه النبي ﷺ؟

لقد تيقن عمر من افتضاح أمرهم بعد طلاق النبي ﷺ لابنته حفصة للمرة الثانية، فلم يتمالك نفسه وخانته خشونته وغلظته فحثى التُراب على رأسه، انظر النصّ الذي أثبته ابن حجر في إصابته:

(طلق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر فحثى التراب على رأسه)[١].

أقول: وجد إعلام السلطان أن هذه الرواية تنطوي على أمرٍ جسيم يلوّح بالإدانة الواضحة لكل من عمر وابنته حفصة على حدٍّ سواء فلم يستطع دحضها ولمّا تعذّر عليه طمسها أو تكذيبها، أضاف في ذيلها زيادتين واضحتي البطلان:

الأولى: (فنزل جبريل من الغد على النبي ﷺ فقال: إن الله يأمركَ أن تراجع حفصة رحمة لعمر)[٢].

والسؤال: هل فات جبريل أن يعلم بأن أكبر علة في إرسال النبي ﷺ كانت متضمنة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[٣] وهل استثنى النبي ﷺ منها عمر لينزل جبريل بهذا الأمر الاستثنائي[٤]؟

الثانية: (إن جبريل قال له: أرجع حفصة فإنها صوّامة قوّامة وأنها زوجتك في الجنة) ولعمري كيف ساغ لجبريل أن يخبر النبي ﷺ عن

---

(١) انظر ج٤ ص ٢٧٣، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٤) انظر ج٤ ص ٢٧٣، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

أمرٍ ينبغي أن يكون النبي ﷺ أكثر علماً به من جبريل، لأن المبلغ عنها زوجته وليس من المنطق ألّا يعلم النبي ﷺ أنها صوّامة قوّامة إلّا إذا اتهم النبي ﷺ بالغفلة وحاشاه أن يكون كذلك، ولكنه مأرب أموي لا ينطلي إلّا على الغافلين!

❁ ❁ ❁

دور مسلم في التدليس على حقيقة حديث الإفك

لاحظنا عند البخاري فيما مرّ سكوتاً وتهرباً مقصوداً عن ذكر اسم مارية وهي في قلب الحدث الذي تتحدث عنه الروايات التي أوردها البخاري.

ونفس الشيء يمكن أن يقال عن مسلم، بل وجدته أكثر براعة من البخاري في تعمده إخفاء حقيقة ما جرى، إذ أثبت في صحيحه ست روايات تحت عنوان: باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾[1] وهي واحدة من الآيات النازلة في سورة التحريم بسبب تظاهر عائشة وحفصة على النبي ﷺ كما علمنا.

ذكر مسلم الروايات التي تتحدث عن تظاهر عائشة وحفصة وطلاق النبي ﷺ لهما واعتزاله في بيت مارية وتوسلات عمر التي وصفنا لك جانباً منها إلّا أن مسلماً سكت عن ذكر اسم مارية وهي في قلب الحدث، ولم يكتفِ بإهمال اسمها، بل قدّم الروايات التي

(١) انظر صحيح مسلم كتاب الطلاق الباب أعلاه الحديث (١٤٧٩)، ط١ لسنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

تقلب الحقيقة رأساً على عقب. لإخراج عمر من ورطته الكبيرة التي تحدثنا عنها، ليلبسه ثوباً من أثواب الفضائل المصطنعة فيما لا أساس له من الصحة على أرض الواقع. انظر النصّ الذي رواه مسلم:

(قال: ودخلتُ عليه حين دخلتُ وأنا أرى في وجهه الغضب فقلتُ: يا رسول الله ما يشقُّ عليك من شأن النساء؟ فإن كنتَ طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل، وأنا وأبو بكر والمؤمنون معكَ. وقلّما تكلّمتُ، وأحمدُ الله، بكلام إلّا رجوتُ أن يكون الله يصدّق قولي الذي أقول - ونزلت هذه الآية. آية التخيير: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾[1] ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[2].

وكانت عائشة بنت أبي بكر وحفصة تظاهران على سائر نساء النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله! أطلّقتهنَّ؟ قال: «لا»، قلت: يا رسول الله! إني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى. يقولون: طلّق رسول الله ﷺ نساءَه. أفأنزل فأخبرهم أنكَ لم تطلقهن؟ قال: «نعم إن شئت»، فقمت على باب المسجد. فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نسائه. ونزلت هذه الآية:

﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾[3]، فكنتُ أنا

(١) سورة التحريم، الآية: ٥.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٣.

استنبطتُ ذلك. وأنزل الله آية التخيير) إلى هنا ينتهي كلام عمر الذي أورده مسلم في الرواية الأولى من الروايات الست التي أوردها في الباب الذي ذكرناه.

❁ ❁ ❁

تحليل النصّ في رواية مسلم:

أعطت هذه الرواية فضيلة لعمر في نزول آيات التحريم الخاصة بتوبيخ عائشة وحفصة وإدانتهما لتظاهرهما على النبي ﷺ، وجعلت سبب نزولها بناءً على طلب عمر أن يصدّق الله قوله، وليس ذلك إلّا لخلط الأوراق بهدف التدليس على الحقيقة، وزيادة في خلط الأوراق على المتلقي الغافل فقد ربطت الرواية بين حادثة الإفك بحق مارية التي كان عمر بطلها التنفيذي وبين الآية [٨٣ من سورة النساء]، وهي ليست ذات علاقة بحديث الإفك ولا تربطها أي صلة بتفسير أسباب نزول آيات التظاهر والطلاق في سورة التحريم، ولا يمكن إلقاء اللوم على الراوي الذي ساق هذه الرواية بهدف إعطاء عمر قدرة استنباط العلم، وهي من نتائج بيانات معاوية التي استجاب لها المبطلون، ولكنني ألوم مسلماً لعدم سلامة موقفه من حشر هذه الآية في هذه الحكاية. وإنْ عَصَبَها برأس الراوي، فقد اعتصَبَ هو بعمامة الجهلِ أو التدليس!!

قال الزمخشري في تفسير الآية [٨٣ من سورة النساء]:

(هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالأحوال ولا استبطان للأمور كانوا إذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله ﷺ من

أمن وسلامة أو خوف وخلل (أذاعوا به) وكانت إذاعتهم مفسدة ولو ردّوا ذلك الخبر إلى رسول الله ﷺ وإلى أولي الأمر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالأمور، أو الذين كانوا يؤمرون منهم (لَعَلِمَهُ) العلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بأمور الحرب ومكائدها)[١] انتهى.

من الواضح أن الآية ٨٣ من سورة النساء تتحدث عن سرايا رسول الله ﷺ المعدة للحرب والعِلم المقصود فيها ما يخص أمور الحرب ومكايدها.

وجاء في تعريف السرايا (السَرِيّة) قطعة من الجيش يقال «خير السرايا أربعمائة رجل»[٢] انتهى.

وليس من ربط بين موضوعها والموضوع الذي تتحدّث عنه آيات التحريم التي كشفت عن وجود تظاهر من بعض نساء النبي ﷺ وهو (تآمر عائشة وحفصة ضد مارية) بحسب فهمي وحدود إطلاعي على ما قيل من التفسيرات وقد ذكرت جانباً منها. وموضوعها بعيد عما أرادوا تقريبه!

إلّا إذا أراد مسلم أن يصرف معنى السرايا إلى جمع كلمة السُّرية بضم السين والتي جاء في معناها: (فأما السُّريّة فقال الخليل: هي فُعْليّة، ويقال يتسرَّر، ويقال يتسرّى، قال الخليل: ومن قال يتسرّى

(١) انظر ص ٢٤٩، تفسير الكشاف للزمخشري، ط١ لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت.

(٢) انظر ج٢ ص ٦٦٣، أقرب الموارد لسعيد الشرتوني، ط١ لسنة ١٤١٦هـ دار الأسوة - قم - طهران.

فقد أخطأ، لم يزد الخليل على هذا، وقال الأصمعي السُّرية من السِّر، وهو النكاح، لأن صاحبها اصطفاها للنكاح لا للتجارة فيها. وقال ابن فارس: ومن الباب السّر، وهو النكاح، وسمّي بذلك لأنه أمرٌ لا يُعْلَن به)[١] انتهى.

وجاء في أقرب الموارد: (سَرّاهُ) سُرِّيَّةً: زوّجَهُ إياها[٢].

أقول: حتى لو تحصّلَتْ هذه المعاني في رواية مسلم فهي بعيدة المَنال ومخالفة لواقع الحال لأن موضوعها خاص بالحرب والقتال بدليل أن الآية التي بعدها وهي الآية ٨٤ من سورة النساء تقول: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٣] ولا علاقة لها بموضوع التظاهر.

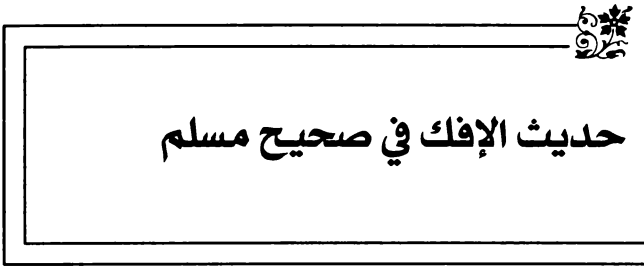
وبهذه يتبيّن لنا أن تقديم مسلم لهذه الرواية على غيرها لم يكن عفويّاً، وإنما أراد بها التصدي للروايات الأخرى التي تثبت بكاء الناس واضطراب عمر وطرده من على باب النبي ﷺ ثلاث مرّات، وليس ذاك إلّا لأمرٍ جلل كان عمر أحد اللاعبين الأساسيين فيه وهو ما جعل مسلماً وغيره يغضون النظر عنه!



(١) انظر معجم مقايس اللغة لابن فارس ص ٤٥٦، ط١ لسنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٢) انظر ج٢ ص ٧٧٧، أقرب الموارد لسعيد الشرتوني، ط١ لسنة ١٤١٦هـ دار الأسوة - قم - طهران.

(٣) سورة النساء، الآية: ٨٤.



حديث الإفك في صحيح مسلم

أورد مسلم ثلاث روايات في حديث الإفك ينتهي سندها إلى عائشة - كتاب التوبة - وتضمن أحد عشر باباً.

ويهمني أن أُوقف القارىء الكريم على ما أثبت مسلم في البابين (١٠ و١١) لتعزيز الأدلّة عن دور الأعلام في التدليس على الحقائق ولا سيما أصحاب الصحاح، ومنهم مسلم الذي خصص الباب العاشر من كتاب التوبة للروايات الواردة في حديث الإفك الذي يتهم عائشة وصفوان بالزنا.

وخصص الباب الحادي عشر لرواية واحدة فيما يخص اتهام مارية بالزنا.

وإذا عقدنا مقارنة بين البابين بالنظر إلى عدد الروايات وسعة المساحة التي احتلتها كل رواية سنجد الفروق الآتية:

أولاً: تخصيص الباب العاشر لعائشة فيه تقديم وأرجحية على الباب الحادي عشر لمجيئهِ في المقام الثاني، وهو تحكم من مسلم ولا حكم للصدفة والعفوية فيه!

ثانياً: أورد ثلاث روايات في الباب العاشر بينما أورد رواية واحدة في الباب الحادي عشر، عن أنس فقط في الوقت الذي أعتقد فيه أن الأمانة العلمية تقتضي أن يذكر الروايات الواردة عن أهل بيت

النبي ﷺ بشأن مارية إسوة بنقله لكل ما قيل عن عائشة. إن لم يكن في أذنه وقر من جهة مارية.

ثالثاً: إذا حسبنا سعة المساحة في روايات الباب العاشر بعدد السطور والمضمون سنجد أن الرواية الأولى في الحديث (٢٧٧٠) قد احتلت مساحة تسعين سطراً واحتلت الرواية الثانية مساحة اثني عشر سطراً وزادتها الرواية الثالثة بسطر واحد فيكون مجموع ما أثبت عن حديث الإفك بحق عائشة (١١٥) سطراً. بينما تضمنت الرواية الوحيدة في الباب الحادي عشر أربعة أسطر فقط وبحساب النسبة في سعة البابين سنجد أن الأحاديث الخاصة باتهام عائشة بالزنا تعادل (٢٨) ضعفاً مما أثبت مسلم عن الأحاديث الخاصة باتهام مارية في نفس الموضوع!

والسؤال: ما سر هذا التفاوت مع وحدة الموضوع؟

رابعاً: حدد الباب العاشر أسماء الجناة الذين خاضوا في حديث الإفك بحق عائشة وصفوان ومَن تولى كبره، وجاءت شهادة عائشة بتبرئة صفوان في قولها: وقُتِلَ شهيداً في سبيل الله، وقوله: ما كشفتُ عن كنفِ أنثى قط!

بينما وجدت جهلاً وتجهيلاً لأسماء الجناة الذين خاضوا في حديث الإفك بحق مارية، ليس في صحيح مسلم فحسب، بل أينما طلبتها في مدرسة الخلفاء، وأعتقد أن هذا التجهيل مدروس بدقة ليس فيها مجال للعفوية والمصادفة!

انظر نصّ ما جاء في صحيح مسلم:

في باب براءة حرم النبي ﷺ من الريبة، قال: (حدثني زهير بن حرب، حدثنا عفان، حدثنا حماد بن سَلَمَة، أخبرنا ثابت عن أنس: أن رجلاً كان يُتَّهمُ بأم وَلَدِ رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لعلي: «اذهب فاضرب عنقه» فأتاه علي فإذا هو يتبرّد في رَكيّ. فقال له علي: اخرج، فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكفّ علي عنه، ثم أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه لمجبوب، ما له ذكر)[1] انتهى.

أقول: هبْ أنَّ سَهم البحث طاشَ عن إصابة الهدف الحق، باتهام عائشة وحفصة وأبويهما ظلماً في موضوع حديث الإفك... فهل لك أن تسأل نفسك:

كيف لك أن تتصور صدور مثل هذا الاتهام الخطير بحق مارية ومأبور وينكشف بموجبه سر مأبور - كونه لا يساوي الرجال - وينزل جبريل حاملاً شهادة السماء ببراءة مارية ومأبور كما أخبرنا ابن حجر... وتتناقلها الأجيال حتى وصلتنا... وتبقى أسماء الآثمين المرّوجين لهذا الاتهام الظالم خفية ومجهولة؟

وهل من المنطق أن تبقى خافية على الله ورسوله ﷺ والمؤمنين ولا سيما الباحثين عن الحقيقة؟ ولماذا لم يذكر المؤرخون والمفسرون وأصحاب المغازي والحديث وأسباب النزول اسماً ولا رسماً ولا صفة للجناة المذنبي؟

---

(١) انظر ص ١١٧٤، صحيح مسلم - كتاب التوبة، ط١ لسنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

ما هو موقع هؤلاء المفترين على الله ورسوله ﷺ وعلى عباده الأبرياء؟

وما الذي جهّلَ أسماءَهم بعد افتضاح الأمر؟

هل تجد في ذلك دوراً للصدفة والعفوية أم كان فيه تدبير لا يقبل الشك؟

وأيهما أثقل في ميزان الاعتبار الأخلاقي: افتضاح الأبرياء حتى وصلنا خبرهم أم افتضاح الجناة الذين خاضوا بحديث الإفك بحق مارية؟ وأهم من كل ما تقدّم هو السؤال:

لماذا وصلتنا أسماء الخائضين بحديث الإفك عن عائشة ولم تصلنا أسماء الخائضين بحديث الإفك عن مارية وابنها من النبي ﷺ؟

لعل في أسئلتنا إضاءة تنير الطريق أمام الباحثين عن الحقيقة في واحدٍ من المواضيع الكثيرة التي لعب فيها الإعلام دوره الفاعل في تغييبها! ومنها ما أورده مسلم في الرواية الثالثة من حديث الإفك على لسان عائشة عن صفوان بن المعطل قوله: (ما كشفتُ عن كنفِ أنثى قط)[1] وهو ما جعل المعنيين والمهتمين بهذا القول أن يعتقدوا بأن صفوان بن المعطل كان حصوراً ليس بمقدوره إتيان النساء مما اضطر البخاري أن يضعّف الحديث الذي أثبته أبو داود في سننه والذي يكذّب إدعاء عائشة ومن ورائها البخاري وكل مَن يصدّق روايتها في

(١) انظر ص ١١٧٢، صحيح مسلم - كتاب التوبة، باب حديث الإفك، ط١ لسنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م دار إحياء التراث العربي - بيروت.

حديث الإفك لأن رواية أبي داود تثبت لصفوان بن المعطل من الكفاءة الجنسية ما يؤكد لياقته في الكشف عن كنف الأنثى.

جاء في سنن أبي داود في كتاب الصوم - باب المرأة تصوم بغير إذن زوجها النصّ الآتي:

(حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد، قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ونحن عنده، فقالت: يا رسول الله، إن زوجي صفوان بن المعطل يضربني إذا صليت ويفطرني إذا صُمْتُ، ولا يصلي الفجر حتى تطلع الشمس، قال: وصفوان عنده، قال: فسأله عما قالت، فقال: يا رسول الله، أما قولها يضربني إذا صليت فإنها تقرأ بسورتين وقد نهيتها. قال: فقال: «لو كانت سورةٌ واحدة لكفت الناس».

وأما قولها يفطرني فإنها تنطلق فتصوم وأنا رجل شاب فلا أصبر، فقال رسول الله ﷺ يومئذ «لا تصوم امرأةٌ إلّا بإذنِ زوجها» وأما قولها إني لا أُصلي حتى تطلع الشمس فإنّا أهل بيت قد عرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس، قال: «فإذا استيقظت فصَلِّ»[1] انتهى.

أقول: إذا تأكد لنا بأن امرأة صفوان بن المعطّل أنثى، فلا بدّ أن يتأكد لنا كذب الادعاء الموضوع على لسانه: (ما كشفت عن كنف أنثى قط).

والمفارقة في مسعى عائشة الحثيث ومن ورائها البخاري ومسلم

---

(١) انظر ج٢ ص ٣٤٣، سنن أبي داود، طبعة سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م دار الحديث - القاهرة رقم الحديث في هذه الصفحة (٢٤٥٩).

وابن حجر وعليّة القوم ممن اتخذ من اليراع معولاً لِوَأدِ الحقيقة وذلك من خلال تسويق الروايات الكاذبة لأم المؤمنين عائشة، والبحث عن مخارج تحفظ لها ماء الوجه فيما ثبت تعارضه مع الواقع، ومنها حكاية صفوان بن المعطل والذي اتخذت منه عائشة لاعباً مصطنعاً للدور العفوي الذي كان لمأبور في قضية الإفك بحق مارية، والذي وضعت فيه عائشة الأكذوبة التي قام عمر بتنفيذ جانب مهم مما جاء فيها. إلّا أن عناية السماء كانت لهم بالمرصاد، فكشفت عن سوء الظنون فيما كانوا يأفكون.

وشتّان بين ما جاء بإثباته الواقع العملي في الكشف عن حال مأبور والذي حكم بإدانة الآثمين الخائضين بحديث الإفك الذي جاء وصفه وكشفه في كتاب الله جلّ ثناؤه، وبين إدّعاء عائشة في وصف صفوان الذي جاء الواقع العملي بردّه وتفنيده، مما جعل شكوك الكتّاب تحوم حول صحة رواية عائشة في حديث الإفك الذي تدعيه عن نفسها. ولعلك تجد في تجهيل السيوطي لاسم مارية وهي في قلب الحدث حلقة أخرى من حلقات توافق القوم على طمس الحقيقة.

انظر النصّ: أسباب نزول الآية: أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾[1] [2] الآية.

---

(١) انظر ص ١٩٨، أسباب النزول للسيوطي ومعه أسباب النزول للواحدي، ط١ لسنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم - القاهرة.

(٢) سورة التحريم، الآية: ١.

هكذا كانت نظرة الإعلام للمرأة التي كانت من اختيار الرئيس المصري - وهو المقوقس - من بين كل نساء مصر إذ كانت تتميز بجمال فريد جعل منها ملكة جمال مصر وجاء في وصف مكانتها في القبط على لسان المقوقس: (لها مكان في القبط عظيم)[١].

لكن السيوطي ومن قبله الحاكم والنسائي قبلوا رواية أنس وقد ثقل عليه أن يذكر اسم مارية فجعلها أمة من بين الإماء التي لا تستحق أن يذكر اسمها مع اسم المتواطئين عليها بهدف التدليس على حقيقة ماجرى.

وهذا التجهيل الإعلامي لم يكن عفويّاً، وإنما كانت تحكمه ضوابط ترتبط بعجلة السلطة التي فرضت قيودها على وسائل الإعلام وهي لما تزل في طور التأسيس.

❁ ❁ ❁

الملاحظة العاشرة:

جاء في رواية البخاري قول عائشة: (والله ما كنت أظن أن الله تعالى منزل في شأني وحياً يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر).

أقول: نعم لقد نزل في شأن عائشة كلام الله جل ثناؤه، ولكن بالذم وليس بالمدح! وكان منه الآية الكريمة التي جمعت وإياها حفصة بالذم حسب اعتراف عمر في جوابه عن سؤال ابن عباس: من

(١) انظر ج٣ ص ٥٣١، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

المقصودتان بقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾(١).

وما يؤكد موضع الذم ما جاء في الآية ١٠ من سورة التحريم قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾(٢).

والمعيار هنا: انطباق العدد والصفة ونوع العمل.

فالعدد (٢) هما حفصة وعائشة يقابلهما امرأتا نوح ولوط.

والصفة أنهما زوجتا نبي وكذلك زوجتا نوح ولوط.

ونوع العمل في الآية ٤ هو التظاهر والتآمر المبني على الكذب لتحقيق منفعة شخصية دنيوية تحكمها الأنانية وليست خاضعة لحكم الله ورسوله ﷺ فكان التنافس فيها وضيعاً وليس شريفاً، وكذلك عمل زوجتي نوح ولوط الذي وصفه الخالق سبحانه وتعالى بالخيانة. وهو بحسب فهمي ينطوي على نفس المعاني التي وصفت حفصة وعائشة.

إذ جاء في تفسير الزمخشري: (وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأُمّي المؤمنين المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله ﷺ بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١٠.

لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله ﷺ فإن الفضل لا ينفعهما إلّا مع كونهما مخلصتين، والتعريض بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله ﷺ [١] انتهى.

وأنا لا أُريد أكثر من ذلك في إثبات معنى تظاهر حفصة وعائشة على النبي ﷺ والمثال الذي ضربه الخالق جل شأنه إنما يجمع لحفصة وعائشة صفات امرأتي نوح ولوط، ولوّح بمآل مصيرهما إلى النار إن لم يتوبا إلى الله جل ثناؤه، وقد تحاشى الزمخشري الوقوف على ذلك التلويح بتلك العقوبة التي تدعو قاطعي تذاكر دخول الجنة بالمجان أن يعيدوا النظر فيها.

والسؤال: هل كان تظاهر عائشة وحفصة في قضية مارية الوحيد من نوعه الذي صدر منهما أم كانت لهما أعمالاً أخرى مماثلة تظافرت فيها جهودهما في الكذب والافتراء على النبي ﷺ لتحقيق أهداف دنيوية ضيقة؟

الجواب: نعم قد أثبت التاريخ لعائشة وحفصة مواقف أخرى مماثلة في الكذب والتآمر والافتراء على النبي ﷺ وعلى النساء البريئات للإيقاع بهن في مصيدة الحيلة والمكر والخداع بهدف منع زواجهن من النبي ﷺ وهذه بعض النصوص لإثبات هذه الحقيقة المرة.

---

(١) انظر ص ١١٢٣، تفسير الكشاف للزمخشري، ط١ لسنة ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت - لبنان.

النصّ الأول:

(تزوج النبي ﷺ فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان فاستعاذت منه فطلّقها فكانت تقول: أنا الشقية، وتقول: إنما خُدِعتُ)[١] انتهى.

أقول: لمن يطّلع على هذه المعلومات لأول مرة: إن مَن دبّر هذه الخديعة هما عائشة وحفصة إذ لقّناها الكلام بحجة أن النبي ﷺ يحب إذا دخل عليك ومدّ يده إليك أن تقولي له: أعوذ بالله منك، وهو كذب وافتراء على النبي ﷺ لغرض تطليقها منه ولم تذكر هذه الرواية اسميهما بفضل التدليس لكن النصّ الثاني يصرح باسميهما بوضوح!

النصّ الثاني:

(قَدِمَ النعمان بن أبي الجَوْن الكندي - وهو سيد قومه - على النبي ﷺ مسلماً فقال: يا رسول الله ألا أزوجكَ أجمل أيِّم في العرب، وقد رغبت فيك وخطّت إليك؟ فتزوجها رسول الله ﷺ، وكانت من أجمل أهل زمانها وأشبّه، فقالت حفصة لعائشة أو عائشة لحفصة: أخضبيها أنتِ وأنا أمشطها ففعلن ثم قالت لها إحداهن: إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك! فلما دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مدّ يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك.

فقال (لعله فقام) بكمّه على وجهه فاستتر به وقال: عُذْتِ مُعاذاً.

---

(١) انظر ج١٠ ص ١٣٧، الطبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

ثم خرج النبي ﷺ وقال لأبي أسيد: ألحقها بأهلها ومتّعها برازقيتين[١].

وكانت تقول: ادعوني الشقية! وعندما سُئلت ما دهاك؟ فقالت: خُدِعتُ، فقيل لي كيت وكيت)[٢] انتهى.

أقول: إنَّ هذه المرأة الجميلة هي التي كانت راغبة في الزواج من النبي ﷺ وقد خطّت إليه كما أخبرنا أبوها الذي كان هو الآخر راغباً بالتشرف في مصاهرة رسول الله ﷺ وقبول النبي ﷺ بالزواج منها هو تشريف لقبيلة كندة يدخل في عملية ضبط وموازنة التنافس الاجتماعي الساعي إلى التقرب من النبي ﷺ أكثر مما تضبطه معايير الجمال النسوي الذي جعلوا منه سبباً لحسدها من قبل عائشة وحفصة. لأنه يرتبط بالوجاهة الاجتماعية التي كان عليها النعمان والد أسماء وأنَّ العذر الذي اعتذرت به عائشة في تبرير فعلتها القبيحة في الكذب والافتراء على الله ورسوله ﷺ في تعليم أسماء التعوذ بالله من النبي ﷺ بدل التعوذ من الشيطان الرجيم إنما هو عذر يستبطن خوف عائشة وحفصة من انصراف الأمر بعد النبي ﷺ إلى أصهاره من ذوي الوجاهة الاجتماعية والنعمان بن أبي الجون أكثر وجاهة من أبويهما.

---

(١) الرازقية: ثياب كتان بيض: انظر ج٢ ص ٣٧٥، أقرب الموارد لسعيد الشرتوني، ط١ لسنة ١٤١٦هـ دار الأسوة.

(٢) انظر ج١٠ ص ١٤١، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(قالت عائشة: قد وضع يده في الغرائب يوشكن أن يصرفنَ وجهه عنا)[١] انتهى.

والسؤال: هل حصلت عائشة على تخويل شرعي يبيح لها الكذب والافتراء على الله ورسوله ﷺ لتمنع النبي ﷺ من وضع يده في الغرائب؟

وهل كان خوفها من - يوشكن أن يصرفنَ وجهه عنا - أم من نزولِ النعمانِ والد أسماء ومن قبله الضحاك والد فاطمة إلى ميدان التنافس على منصب النبي ﷺ بما له من ثقل في الوجاهة الاجتماعية والماضي السياسي العائلي العريق الذي كانت عائشة تدرك أبعاده وخطورته على طموحها المرتبط بطموح والدها في الاستيلاء على منصب النبي ﷺ بأي ثمن؟ النصّ الآتي يرجح السبب الثاني!

انظر النصّ الذي يصف وصول أسماء بنت النعمان إلى المدينة في محَفَّةٍ (هودج) واستقبلت بحفاوة وتكريم يليق بمقامها لكونها زوجة النبي ﷺ وابنة الملوك وملكة جمال زمانها.

فكان دخول النساء عليها بشكل عام يحمل طابع العفوية والتلقائية في النظر والإعجاب والتكريم.

إلّا أن النصّ يميز دخول عائشة عليها - وإن لم يذكرها بالاسم - لكنه ميّزها بميزة تتصف بالتختّل والترصد وانتهاز الفرصة المناسبة للإيقاع بهذه المرأة الجميلة في مصيدة المكر والخداع والخيانة لله ورسوله ﷺ. ولذا أدعو القارىء الكريم أن يتابع النصّ بما يستحق

(١) انظر ج١٠ ص ١٤٠، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

من انتباه إلى الأبعاد الخطيرة التي ينطوي عليها والتي تعزز الأدلّة القائلة بتولي عائشة كِبَر الإفك بحق مارية! وتوفر القناعة بإمكانية إقدام عائشة على انتهاك أي حرمة بلا تردد!

جاء في النصّ الذي أثبته ابن سعد في طبقاته:

(فدخل عليها نساء الحيّ فرحبنَ بها وسهّلنَ، وخرجنَ من عندها فذكرنَ من جمالها وشاع بالمدينة قدومها. قال أبو أسيد: ووجهّت إلى النبي ﷺ وهو في بني عمرو بن عوف فأخبرته، ودخل عليها داخل من النساء فدأينَ لها (ختلنَ لها) لما بلغن من جمالها وكانت من أجمل النساء، فقالت: إنكِ من الملوك فإن كنتِ تريدين أن تحظي عند رسول الله ﷺ فإذا جاءك فاستعيذي منه فإنكِ تحظين عنده ويرغب فيكِ)[1] انتهى النصّ.

تنبيه:

قد جاء في النصّ السابق قولاً مشابهاً وهو تعوذ فاطمة بنت الضحاك من النبي ﷺ ولم يذكر النصّ اسم من لقّنها التعوذ، وهو بتقديري تلاعب إعلامي محسوب أُريدَ له إخفاء اسم عائشة وحفصة لكيلا يحصل إجماع على تجريمهما فيما ارتكبا من عظائم الأمور وهذه واحدة منها!

ولم يكتفِ إعلام السلطة بإخفاء اسم عائشة وحفصة من هذا النصّ فحسب بل حاولوا خلط الأوراق بتعدد أسماء المرأة التي كانت

---

(١) انظر ج١٠ ص ١٣٩، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة. وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج٢ ص ٢٥٨ من رواية الواقدي.

الضحية الأولى في مخطط المكر والحيلة والخداع الساعي إلى إفشال عروض الزواج التي انهالت على النبي ﷺ من رؤساء ووجوه القبائل في الجزيرة العربية كما جاء عرض النعمان لابنته أسماء أو من خارج الجزيرة كما جاء في عرض المقوقس لمارية.

فجعلوا بدل فاطمة بنت الضحاك، عمرة بنت يزيد مرة، والعالية بنت ظبيان بن عمرو مرة ثانية، وسبا بنت سفيان بن عوف مرة ثالثة.

ونرى في هذا الخلط غرضاً لإضعاف الرواية تمهيداً لإسقاطها عن الاعتبار! لكن ابن سعد جاء بإشارة واضحة تفيد: إن لكل واحدة منهن قصة مستقلة!

إذ قال: (بل كُنَّ جميعاً ولكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبتها وقد بينا ذلك وكتبنا كل ما سمعناه من ذلك)[1] انتهى.

وما يؤكد أن القائم بفعل التلقين في جميع الروايات هما عائشة وحفصة - وإنْ تعمدوا الإغضاء عنهما في بعضها - والدليل هو ذكر اسميهما صريحاً في قصة تلقين أسماء بنت النعمان وذكر اسم عائشة صريحاً في قولها لمُليكة فيما أثبت ابن سعد: (قال: تزوج النبي ﷺ مُليْكة بنت كعب وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيكِ؟ فاستعاذت من رسول الله ﷺ فطلّقها)[2] انتهى. ولمّا تعوذت مليكة من النبي ﷺ بُعيد

(١) انظر ج١٠ ص ١٣٦، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) انظر ج١٠ ص ١٤٣، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

تحريض عائشة دلَّ ذلك على أنها لقنتها التعوذ من النبي ﷺ. بعد هذا التنبيه لديّ سؤال بحاجة ملحّة لجواب مقنع!

السؤال: إذا استطاعت عائشة وحفصة أن تمرر مثل هذه الحيل والخُدع على النساء البريئات لعدم تصورهن وجود مثل هذا الكيد واستسهال الكذب على الله ورسوله ﷺ من قبل عائشة وحفصة، إذ كن يعتقدن فيهما الصلاح والاقتداء برسول الله ﷺ لمكانتيهما منه، فلم يتوقعن الكذب والغش والخداع!

فكيف لمثل هذه الحيلة والمكر والخداع النسوي المكشوف أن يمرّ على النبي ﷺ وهو من أشرف خلق الله وقد جمع الله له الفراسة والرئاسة في الدين والدنيا؟

وإذا افترضنا جدلاً أن تعوذ فاطمة بنت الضحاك من النبي ﷺ في المرة الأولى كان مفاجئاً للنبي ﷺ فسهّل تمرير ما أرادت عائشة وحفصة من طلاقها!

وإذا كان مخطط الكذب والافتراء الذي استسهلته عائشة وحفصة في تلقين النساء التعوذ من النبي ﷺ قد انطلى في المرة الثانية على أسماء بنت النعمان وفي المرة الثالثة على مليكة فيما ظهر للكتّاب وما خفي كان أعظم!

فكيف تنطلي تلك المخططات المكشوفة على النبي ﷺ ؟

وإذا كان ذلك المخطط واضحاً ومعلوماً عند النبي ﷺ كل تفاصيله - وهو كذلك - ولا سيما في المرة الثانية والثالثة فلماذا سكت النبي ﷺ ولم يفضح مثل تلك المخططات اللئيمة الصادرة من حفصة وعائشة؟

وما ذنب البريئات اللواتي أحسنَّ الظنَّ بعائشة وحفصة وقُلْنَ ما تمَّ تلقينهنَّ من قبلهما على أنه تقرّب وحظوة عند النبي ﷺ ؟

الجواب: أعتقد أن هناك ترتيباً إلهياً لتمرير مثل هذه المؤامرات وهي بنظري واضحة المعالم بعد أن تأكد لي بالأدلة التاريخية تعمّد عائشة وحفصة الكذب على النبي ﷺ من خلال تلقين النساء البريئات التعوذَ منه بدل التعوذ من الشيطان الرجيم اللعين!

وقد صحّ لدى جميع المذاهب الإسلامية قول النبي ﷺ : (من كذب عليّ متعمّداً فليتبوأ مقعده من النار).

وإذا جمعنا هاتين القرينتين إلى قول الله جلّ ثناؤه في تقرير مصير زوجتي نوح ولوط: (وقيل ادخلا النار مع الداخلين) إذ لم يتشفّع لهما سبب الزواج من الأنبياء في النجاة من النار، فإن هذا المثل الذي ضربه الله جلّ ثناؤه، في أعقاب تأكيده على تظاهر عائشة وحفصة إنما يرتبط بتلك المؤامرات، ويلوّح إلى أن مصيرهما - في ضوء ما أثبت - سيكون بتصوري حرجاً فوق ما يتصور المتساهلون.

وإذا كان تقدير ذلك عائداً لله سبحانه وتعالى، فإن ما يهمني في جواب الأسئلة التي أثرتها هو إثبات الدليل القاطع على كذب عائشة وحفصة الواضح والمفضوح من أجل مصلحة أنانية دنيوية.

وإذا استقام لنا هذا المعنى فهو لا يحتاج إلى أن يقوم النبي ﷺ بفضحه ونشره على الملأ، وهنا يكمن سر الترتيب الإلهي الذي أشرت إليه، فلو حصل إبلاغ من النبي ﷺ بذلك لتصدى له الوضاعون بالتفنيد والتبرير والتزوير ليتوافق مع الروايات التي

وضعوها لتحسين صورة عائشة وحفصة، فكانت الأولى الصادقة ابنة الصدّيق[١] التي أُنزلت صورتها من السماء في كف جبريل لينظر إليها النبي[٢] على أنها اختيار السماء والثانية ستكون زوج النبي ﷺ في الجنة لأنها صوّامة قوّامة كما مرّ.

ولو حصل إعلان مباشر من النبي ﷺ بتكذيب عائشة وحفصة، لأصبح مصير ذلك الإعلان منكراً ولعملوا على تجهيله ورفضه كما تمَّ تجهيل أسماء الذين رموا مارية بالإفك، وكما تمَّ الالتفاف على وصية النبي ﷺ التي أعلنها يوم غدير خمّ والتي ثبت فيها قوله ﷺ: (من كنت مولاه فعليٌّ مولاه) إذ وجدوا في سعة معاني المولى البالغة (٢٧)[٣] معنى فسحة للتخلص مما يلزمهم كما يلزم الخلفاء من قبلهم بتقديم علي بن أبي طالب عليه السلام دون غيره، إذ ينحصر معنى المولى بالولاية العامة في تدبير شؤون المسلمين في الدين والدنيا. وقد قدّم الأميني عشرين قرينة لإثبات ذلك في كتابه الغدير[٤]، والجدير بأهل العلم أن يطلعوا عليها ولا سيما الباحثين عن الحقيقة.

---

(١) انظر ج٤ ص ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) انظر ج٤ ص ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٣) انظر ج١ ص ٦٤٠، موسوعة الغدير للأميني، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي.

(٤) انظر ج١ ص ٦٥١ - ٦٦٧، موسوعة الغدير للأميني، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي.

فكان سكوت النبي ﷺ عن فضح ذلك الخداع والكذب والمكر السيىء قد مَهَّدَ لإثبات ذلك بشكل هادىء عن طريق الكتّاب والحفّاظ بمن فيهم كتّاب ووعّاظ السلاطين من حيث يعلموا أو لم يعلموا بما يترتب على إثباتها من إدانة وتجريم لعائشة وحفصة، فهانت على مَن لا يرى فيها جنحة أو جناية أكثر من حدود الغيرة النسوية، وهكذا تمَّ إثباتها ونقلها إلى الأجيال اللاحقة لتحمل الدليل القاطع على كذب عائشة وحفصة على الله ورسوله ﷺ والنساء البريئات، وبعد إثبات تلك الأكاذيب والحيل والمؤامرات ومرورها من السيطرات الإعلامية التي فرضتها السلطات المتعاقبة، أصبحت من المسلمات التي ليس بمقدور أحد محوها أو تغييرها وتزويرها.

وليس المثال الذي ضربه الله عن خيانة امرأتي نوح ولوط إلّا لتفنيد أعذار المعتذرين بحصانة نساء النبي ﷺ من الخيانة وافتراء الكذب على الله ورسوله ﷺ.

وبذلك يقدّم لنا التاريخ أوضح الأدلّة وأكبرها على أن من ترتكب مثل هذه الجناية وتخالف أمر الله ورسوله ﷺ وتلحق الضرر والأذى والمأساة بحق النساء الأبرياء وليس لهن ذنب إلّا الارتباط الشرعي بالزواج من النبي ﷺ وما نتج عنه من طلاق أدّى إلى الحرمان والتعاسة والشقاء طيلة حياتهن الباقية فلا يستطعن الرجوع إلى النبي ﷺ رغم وساطة وترجي أهلهن وعشائرهن وتقديم الأعذار المنطقية بخديعة بناتهم من قبل عائشة وحفصة! فلا بدّ أنهما على استعداد لارتكاب أي عظيم بلا تردد.

جاء في الطبقات بشأن مُليكة بنت كعب الليثيِّ من رواية الواقدي:

(فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعاذت من رسول الله ﷺ فطلقها، فجاء قومها إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنّها صغيرة وإنّها لا رأي لها وأنّها خُدِعَتْ، فارْتَجِعْها، فأبى رسول الله)[١] انتهى.

وأعرض الطبري عن ذكر اسم عائشة مع أنه ينقل نفس الرواية عن الواقدي قال: (قال الواقدي: في هذه السنة - سنة ٨ هـ - تزوج رسول الله ﷺ مليكة الليثية فجاء إليها بعض أزواج النبي ﷺ فقالت لها ألا تستحين حين تزوجين رجلاً قتل أباك فاستعاذت منه وكانت جميلة وكانت حدثة ففارقها رسول الله ﷺ [٢] انتهى.

والسؤال[٣]:

لماذا تسامح النبي ﷺ مع نسائه الخادعات وهن مذنبات!

ولم يتسامح مع النساء المخدوعات ولا ذنب لهن؟

---

(١) انظر ج١٠ ص ١٤٣، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مطبعة الخانجي - القاهرة. تعليقاً على تضعيف الواقدي لهذا الحديث بحجة أن عائشة لم تكن مع رسول الله ﷺ في ذلك السفر!.
أقول: لا يمنع عائشة من الوصول إلى مبتغاها حتى لو لم تكن مع النبي ﷺ في سفره.

(٢) انظر ج٢ ص ٣٤٠، تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة بالقاهرة لسنة ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م.

(٣) أشكر الأستاذ عبد الحسين أحمد الخفاجي على إثارة هذا السؤال وعلى مشورته الواعية ونقده البناء لجوانب مهمة ساهمت في تقويم هذا البحث.

الجواب:

لا أستبعد طمس الروايات التي تدين عائشة وحفصة وعدم تسامح النبي ﷺ معهما بشأن النساء المخدوعات! مثلما تلاعبوا في تفسير آية التظاهر التي نزلت بسبب تآمر عائشة وحفصة على مارية عندما حملت بإبراهيم كما سيتوضح قريباً. أما لماذا لم يتسامح النبي ﷺ مع النساء المخدوعات فيمكن النظر إليه من أربع زوايا:

الأولى: إنهنّ يتحملنّ جانباً من المسؤولية تتمثل بعدم تمييزهنّ بين الغث والسمين.

الثانية: لإعطاء الدليل على أن قبول النبي ﷺ بالزواج من بنات الوجهاء لا علاقة له بجمال النساء ليستخفنّ بمقامه الجليل، بقدر ما أراد من ترسيخ المعاني السامية للأمة الإسلامية وتوثيق أواصر الألفة والمحبة بينه وبين القبائل العربية من خلال المصاهرة.

الثالثة: لكيلا يعطي الفرصة للطاعنين أن يبثوا سمومهم للنيل من شخصية النبي ﷺ، كما سنعرف في نهاية زبدة المخيض في حديث الإفك عن دور الإعلام الغربي المعاصر ومحاولاته للنيل من شخصية النبي ﷺ باستخدام أكاذيب عائشة والمروجين لها!

الرابعة:

إن تقدير ضرر النساء المخدوعات والعبرة الناتجة عن إعراضه عنهن إنما يعود لحكمة النبي ﷺ المرتبطة بالعدل الإلهي في تقدير حجم الثواب والعقاب في حصيلة عمل الدنيا للآخرة، وقد يعود عليهن بالنفع الكبير بعكس تصوّرنا الدنيوي كما قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ

أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[١].

أقول: ليس لمثل هذا الظلم من تعليل ولا لسكوت النبي ﷺ عليه من تحليل سوى تقديم الدليل الواضح للأجيال على أن مَن تقدر على الحاق مثل هذا الضرر بالأبرياء - بدم بارد - ستكون قادرة على ارتكاب أي جناية أخرى يمكن أن تزيل العوائق من طريق طموحاتها الدنيوية المشروعة وغير المشروعة ويحمل دليلاً على إمكانية تآلف هاتين المرأتين في اقتحام المهالك وعدم التردد في ارتكاب المعاصي والذنوب لأبسط وأتفه الأسباب ومن هنا جاء قول عثمان في جموع المصلّين: (إن هاتين لفتانتان يحل لي سبّهما وأنا بأصلهما عالم)[٢] انتهى.

فإذا كانت الغيرة النسوية بحسب تبرير القوم تنتج عند عائشة وحفصة مثل هذا الكيد واللؤم والافتراء! فكيف بهما حين يكون الأمر متصلاً بحمل مارية ووضعها غلاماً جميلاً معافى وهو إبراهيم الذي أحبه النبي ﷺ حبّاً عظيماً؟

ولو قدّر له العيش لَدَفَعَ أبا بكر وعمر عن منصب الخلافة وهو ما يعارض رغبة ابنتيهما الجامحة والمتوافقة مع رغبتيهما في تولي منصب الخلافة!!؟



(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٦.

(٢) انظر ص ٨٢، السقيفة وفدك للجوهري، طبعة شركة الكتبي الثانية، لسنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - بيروت.

زبدة المخيض في حديث الإفك!

تخبرنا قضية حديث الإفك عن اتصالها وارتباطها الوثيق بمخطط الاستيلاء على سلطة النبي ﷺ قبل وفاته بسنين.

وظهرت بعض ملامحه جلية في السنوات الثلاث الأخيرة من عمره الشريف إذ أظهرت عائشة وحفصة في السنة الثامنة للهجرة نشاطاً ملحوظاً في منع زواج النبي ﷺ من النساء اللاتي كان لآبائهن أهلية للتنافس على منصب الخلافة وتمثل ذلك بتلقينهن التعوذ من النبي ﷺ فأدّى إلى طلاقهن الذي كان من ثمنه خسارة آبائهن سياسياً واجتماعيّاً، وهذا يفسر أحد الأسباب التي دعت عمر بن الخطاب أن ينثر التراب على رأسه حين علم بطلاق النبي ﷺ لابنته حفصة مثلما أخبرنا ابن حجر في إصابته بقوله: (طلّق رسول الله ﷺ حفصة بنت عمر فبلغ ذلك عمر فحثى التراب على رأسه وقال: ما يعبأ الله بعمر وابنته بعدها)[1] انتهى.

وينبغي أن أزيل اللبس عن طبيعة الفهم الخاطىء في أمرين مهمّين يتصلان بصلب هذا الموضوع.

---

(١) انظر ج٤ ص ٢٧٣، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

الأول: إنَّ رباط الزواج من الأنبياء ليس عاصماً عن ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب.

والدليل: ما أخبر به القرآن عن خيانة امرأتي نوح ولوط ودخولهما النار ليضع أمامنا مُسَلّمة منطقية تفنّد اعتقاد من يعتقد بأن رباط الزواج من النبي محمد ﷺ يؤدي إلى الجنة ويحول دون ارتكاب المعاصي المؤدية إلى النار.

الأمر الثاني: إنَّ روابط الصحبة والمصاهرة ليست أقوى من الروابط بين الأب والابن وكلاهما لا يعصمان عن ارتكاب المعاصي واقتراف الذنوب ولا يمنعان من الانحراف عن طريق الرسالات السماوية.

والدليل: قد ثبت تاريخياً أن لذة السلطة تفوق كل اللذات، وأنَّ طريق الوصول إليها محفوف بأنواع المخاطر والمغريات التي لا يمكنها أن تعطي ضماناً لأصحاب الأنبياء بل وحتى أبنائهم، من الانحراف والانجرار وراء المعاصي والمظالم، مثلما جاء الوصف القرآني بحق ابن إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[1].

وفي ذلك دليل يقطع بأن الإمامة - أي خلافة الأنبياء - إنما هي خيار إلهي لا يقول بإسناده إلى الناس إلّا مخالف لقول الله وأمره الواضح البيان. وهو ما يفنّد إدعاء من يدعي عدم وصيّة النبي ﷺ بالخلافة والولاية العامة!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.

وينبغي الالتفات هنا إلى نكتة مهمة في صيغة الفاعل والمفعول به في الآية الكريمة: فحيث يكون العهدُ فاعلاً، فإنه هو الذي يختار المرشح للخلافة بإرادة الله جل ثناؤه ويبطل صراعات المتصارعين (الظالمين) على الخلافة والسلطة التي كانت ولم تزل محل خلاف وخصام بين أهل الدنيا.

لأن الظالمين هنا مفعول به ولم يمنحهم الخالق سبحانه صفة الفاعل وصلاحياته!

أما إذا تجرأ الظالمون ومنحوا أنفسهم صلاحيات الفاعل وجعلوا عهد الله مفعولاً به فسينالُ الظالمون عهدَ الله (الخلافة) عنوةً وخلافاً لأمر الله وهذا هو الهلاك. وهو ما حصل بعد وفاة النبي ﷺ بحسب اعتراف الخلفاء أنفسهم بحجة أن النبي ﷺ لم يوصِ بالخلافة، وهذه المسألة فيها نظر لأن سياق الآية يحكم بعكسها، ناهيك عما فيها من مخالفة لسياق المنطق، فضلاً عن مناقضتها لسلوكية جميع الخلفاء الذين فرض عليهم الواقع الميداني ألا يذهبوا عن الدنيا إلّا بعد تعيين خلف لهم، باستثناء مَن عاجلوه بالقتل لأخذ المنصب منه.

ولا ينبغي الخلط بين عجز الإنسان وضعفه أمام مقاومة المغريات ومواجهة المحن والصعوبات، ليتخذ منها عذراً بأن ذلك عائد لمشيئة الله جل ثناؤه كما اعتذر المعتذرون بشأن الخلافة أو بخلق الأفعال لتبرئة أصحاب الخطايا من أفعالهم أو لتبريرها مثلما اعتذر عمر بن الخطاب في هزيمته يوم حنين في إجابة مَن سأله عن سبب هروبه فأجاب: أمر الله.

وهذا العذر باطل لسببين:

الأول: إنَّ الله لم يأمر بالهزيمة بل ذمّها ذمّاً شديداً وجعل مأوى المهزوم جهنم وبئس المصير في الآية التي خصت يوم حنين بالتحديد.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾[1].

قال الزمخشري في تفسيره: (كأنهم أُشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولّوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ)[2].

أقول: لم يثبت لعمر أنه إنحاز إلى فئة غير الفئة التي عينها له النبي ﷺ في قتال العدو يوم حنين، ولم يثبت كذلك انحرافه أمام العدو وإبداء الهزيمة المفتعلة لاستدراج العدو بغية الانقضاض عليه بالخطة والتدبير الذي استثناه القرآن بل ثبت لعمر هزيمته خوفاً على نفسه من الموت بينما صمدت النساء بوجه العدو في تلك المعركة لمؤازرة رسول الله ﷺ وطالبن بقتل الفارّين من الرجال ومن ضمنهم عمر بن الخطاب احتجاجاً منهن واستنكاراً لهزيمتهم وخذلانهم لرسول الله ﷺ في أصعب المواقف التي شهدتها المعارك الفاصلة بين الحق والباطل.

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ١٥ - ١٦.

(٢) انظر ص ٤٦٧، تفسير الكشاف للزمخشري، ط١ لسنة ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت - لبنان.

قال الواقدي: (فأخذتْ بخطام الجمل، والجمل يريد أن يلحقَ بأُلافه والناس يولون منهزمين.

وهي لا تفارقه، فقالت أم الحارث: فمرّ بي عمر بن الخطاب ﷺ فقالت أم الحارث: يا عمر ما هذا؟ فقال عمر: أمر الله، وجعلت أم الحارث تقول: يا رسول الله مَن جاوز بعيري فاقتله)[١] انتهى.

وكان توقيت سؤال أم الحارث لعمر حين جاوز بعيرها هروباً من مواجهة الكفار.

وأيّدَ أبو قتادة هروب عمر واعتذاره بقوله: (فلحقتُ عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟ قال: أمر الله)[٢] انتهى.

وهنا ينبغي ملاحظة لحوق أبي قتادة بعمر في حالة الفرار من الزحف.

واستنكرتْ أم سُليم ابنة مِلحان فرار الرجال عن مواجهة العدو وهي صامدة فجعلتْ تقول: (يا رسول الله، أرأيتَ هؤلاء الذين أسلموكَ وفرّوا عنكَ وخذلوك! لا تعفُ عنهم إذا أمكنكَ الله منهم، فاقتلهم كما تقتل هؤلاء المشركين)[٣] انتهى.

---

(١) انظر ج٣ ص ٩٠٣ - ٩٠٨، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٢) انظر ج٣ ص ٩٠٣ - ٩٠٨، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

(٣) انظر ج٣ ص ٩٠٣ - ٩٠٨، مغازي الواقدي، ط٣ لسنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

السبب الثاني:

لو تعلقت الهزيمة بأمر الله لبطل الثواب والعقاب الناتج عن سر الابتلاء الإلهي للخلق في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾[١]. فالخالق سبحانه وتعالى يعلم أيُّهم أحسن عملاً قبل حصول الابتلاء. ولكن نتيجة الابتلاء تعزز الدليل المقدّم لصاحب القضية المبتلى بها كما تقتضي العدالة الإلهية في التمحيص الناتج عن الاختبارات وما يترتب عليها من استحقاقات وفي ذلك التقويم تشريف لمن يستحق الشرف والثواب في مغالبة هوى النفس تجاه المغريات الدنيوية ومنها مغريات السلطة والخلافة[٢].

أو في مواجهة الصعاب ومنها الثبات في الحرب. وبعكسه يجد التعنيف مَن يستحق التعنيف والعقاب من الهاربين من الزحف والساعين إلى الجاه ولذة السلطة التي لا زلنا نبحث في أبعاد مخطط الاستيلاء عليها.

لقد كان مخطط الاستيلاء على سلطة النبي محمد ﷺ مبنيّاً على رصد ومعرفة مَن سيقوم مقام النبي ﷺ ويرث سلطانه كقائد ورئيس دولة.

وقد علمنا أن النبي ﷺ قد توفي عن تسع زوجات، بالإضافة

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

(٢) جاء في ص ٦٣٨، فلسفة التاريخ د. صائب عبد الحميد، ط١ لسنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م دار الهادي - بيروت: (التاريخ ليسَ قدراً محتوماً تخطه المشيئة من وراء الغيب، ولا هو قدراً أعمى تخطه الحتمية التاريخية بمفردها بل من صنع الإنسان).

إلى مارية وإذا استثنينا مارية التي أنجبت إبراهيم، سنجد أن باقي الزوجات التسع لم تنجب أيّة واحدة منهن ابناً للنبي ﷺ لكي يكون ولي العهد المنتظر لقيادة الأمة في حال رحيل النبي ﷺ طبقاً لحسابات المتربصين.

وإذا كانت خديجة الكبرى التي حازت مرتبة الشرف بين نساء النبي ﷺ قد أنجبت وحيدة الشرف والسيادة على نساء العالمين - وهي فاطمة الزهراء عليها السلام - التي احتلت المقام الأول في حب النبي ﷺ ورعايته وتكريمه.

فإن خديجة قد رحلت إلى بارئها راضية مرضية قبل أن يواجه النبي ﷺ كلَّ مستحقات دوره العظيم في قيادة الأمة وتعليمها.

وكان من تلك المستحقات أن يتزوج أم سلمة التي كانت قصة حياتها ونضالها في الإسلام مؤلمة ومشرّفة في آن واحد.

فقد عانت ما عانى المسلمون السابقون من الضغوط التي سلطها جبابرة قريش والتي أدّت إلى مهاجرتها مع زوجها إلى الحبشة. ثم كانت أول ضعينة تهاجر مع زوجها من مكة إلى المدينة بعدما اشتدّت ضغوط الطغاة ضد المسلمين الضعفاء، ولكنها لم تهاجر هذه المرة بسلام، فقد منعها أهلها من مصاحبة زوجها في هجرته الثانية من مكة إلى المدينة المنورة وفرضوا عليها الإقامة الجبرية معهم. فحبسوها عندهم فغضب عند ذلك بنو عبد الأسد - وهم أهل الزوج وعشيرته - وقالوا والله لا نترك ابننا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا فتجاذبوا ابنها سلمة حتى خلعوا يده وانطلقوا به بعيداً عن أحضان أمه. تقول

أم سلمة: (ففرّقوا بيني وبين زوجي وابني فكنت أخرج كل غداة وأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتى أمسي سبعاً أو قريبها حتى مرّ بي رجل من بني عمي فرأى ما في وجهي فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها، فقالوا: الحقي بزوجك إن شئت وردّ عليّ بنو عبد الأسد عند ذلك ابني فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله)[١] انتهى.

لكن فرحتها بلقاء الزوج لم تدم طويلاً بسبب ما قدّم من تضحيات في سبيل الإسلام فشهد بدراً واحداً وجرح بها وانتفض جرحه بعدها ومات في سنة أربع للهجرة بالمدينة[٢]. وهكذا ترمّلت أم سلمة وهي في مقتبل العمر ولم يكن افتقادها لزوجها هيناً لأنها افتقدت زوجاً شهماً شريفاً سبق في عطائه المهاجرين الأولين وقدّم حياته قرباناً للدين.

وكان أشرف الخلق ﷺ يقدّر فاجعتها وافتقادها لزوجها ويشعر بعطائها وتضحيتها في سبيل الإسلام فلم يذرها فريدة تعاني الوحدة والوحشة، ولهذا جاء زواجه منها تكريماً لها وتشريفاً وتعويضاً عما فقدت، دون النظر إلى جمالها الذي عدّه قِصار النظر من دواعي وأسباب ذلك الزواج.

---

(١) انظر ج٤ ص ٤٥٨، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) انظر ج٤ ص ٣٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

ومثل ذلك يقال على باقي زيجاته ﷺ في مراعاة الأمور والمتطلبات الإجتماعية ذات الصلة بالوجاهة من خلال التقرّب من النبي ﷺ بغية الحصول على مرتبة الشرف في مصاهرته ليتخذوا منها وليجة لتحقيق مآربهم ولا سيما الباحثين عن المناصب والإمارة والمولعين بحب الدنيا ومغرياتها. وربما لا يتصوّر القارىء الكريم كثرة العروض التي انهالت على النبي ﷺ إذ لم تتوقف تلك العروض التي انهالت عليه من الرجال في عرض بناتهم فحسب، وإنما تنافست النساء في عرض أنفسهن للزواج منه ﷺ بشكل محرج[١]. وكانت موافقاته لقبول تلك الزيجات أو رفضها محكومة بتقديراته الدقيقة في مراعاة الظروف الخاصة والعامة المرتبطة بتلك الزيجات سعياً وراء تحقيق توازن اجتماعي يلمّ شمل الجميع.

ولم يكن يبحث عن مال ولا جمال فيما توهم المتوهمون من أهل الحسابات الدنيوية وحاشاه أن يكون أسيراً للرغبات والشهوات الشبابية التي حاول الإعلام الأموي الغاشم - وهو للأسف المورد الرئيس بالمداد لأقلام بعض كتّاب مدرسة الخلفاء - أن يصوّر النبي ﷺ على أنه لاهث وراء جمال النساء، ومن ذلك ما صوّروا من جمال عائشة المخالف لواقع الحال الذي قيل فيه ما ينفي ويبدد هذه الأوهام، ولم يكتفوا باصطناع جمالها الموهوم بل نالوا من شخصية النبي ﷺ ومقامه الرفيع عندما صوّروها مرّة فتاة أحلامه التي

(١) قال ابن سعد في طبقاته: (كل نساء وهبنَ أنفسهنَّ للنبي ﷺ فدخل بعضهن وأرجأ بعضاً فلم ينكحن بعده) ج١٠ ص ١٤٩، الطبقات، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

رأى صورتها في المنام في سَرَقة (قطعة) من حرير قبل وفاة خديجة عليها السلام وهي محاولة مكشوفة لتفضيلها عليها.

النصّ: (قد رأى عائشة رضي الله عنها، في المنام في سَرَقة من حرير فتوفيت خديجة فقال: إن يكن هذا من عند الله يمضه فتزوجها بعد موت خديجة رضي الله عنها بثلاث سنين)[١] انتهى.

أما التصوير الثاني فأنزلوه من سماء الأحلام إلى أرض الواقع ولكن هذه المرة لم تكن في سَرَقة من حرير وإنما كانت مرسومة في كفِّ جبريل انظر النصّ: (قالت عائشة: وأتاه الملك بصورتي في كفّه لينظر إليها)[٢] انتهى.

ويبدو أن هذه الروايات الموضوعة لم تقنع واضعيها في تحسين صورة عائشة والتغلب على لون سواد وجهها وإخفاء تشاريم الجدري فيه كما تبيّن سابقاً، فجعلوا من عائشة سلعة في سوق المزايدات بين عُشّاقها وهي لم تزل في السادسة من عمرها مما جعل والدها يستأذن هذا ويسترضي ذاك من المتنافسين في طلب نوالها، وعكسوا صورة تنافس الوجهاء في عرض بناتهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أوضحت فيما مرّ، فجعلوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم منافساً متأخراً لجبير بن مطعم. قال ابن عبد البر: (وكانت تذكر لجبير بن مطعم وتُسمى له)[٣] انتهى.

---

(١) انظر ج٤ ص ٣٥٦، الاستيعاب - في هامش الإصابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) انظر ج٤ ص ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٣) انظر ج٤ ص ٣٥٦، الاستيعاب - في هامش الإصابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

أما ابن حجر فجعلها بحكم المخطوبة قال: (قال أبو بكر كنت أعطيتها مُطعماً لابنه جبير فدعني حتى أسألها منهم فاستلبثها)[١] انتهى. وجعلها ابن سعد مطلّقة جُبير انظر الهامش أدناه.

وهذه الرواية تصف لنا حالة من التمنّع والترفّع والتريّث عن سرعة إجابة طلب النبي ﷺ لخطوبتها، وزادوا في رفعة مقام عائشة وغلاء ثمنها في سوق المزايدات والمراهنات على الفضائل المزيفة، فجعلوا أبا بكر يعتذر عن الموافقة على قبول خطوبتها رافضاً فكرة زواجها من النبي ﷺ وقد جاء ردّه مُوَبِّخاً ومسفهاً لمسعى الخاطبة فقال: (وهل تصلح له وهي بنت أخيه؟ فرجعت فذكرت ذلك للنبي ﷺ قال: قولي له أنتَ أخي في الإسلام وابنتك تحل لي، فجاء فأنكحه وهي يومئذٍ بنت ست سنين)[٢] انتهى.

هكذا صوّروا جمال عائشة وتنافس الرجال في نوالها وهي بعمر ست سنوات ولم يشغل الكتّاب ما يمس شخصية النبي ﷺ من هذه الأكاذيب بقدر ما يهمهم إعلاء شأن عائشة وأبيها ولو كان على حساب مقامه الرفيع ومكانته العظمى ﷺ وقد قبلها الواهمون وتناقلوها بدون أن يسألوا أنفسهم: كيف يمكن لمنقذ البشرية أن

---

(١) انظر ج٤ ص ٣٥٩ - ٣٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر. ذكر ابن سعد في طبقاته: (خطب رسول الله ﷺ، عائشة إلى أبي بكر الصديق فقال: يا رسول الله إني كنت أعطيتها مطعماً لابنه جُبَيْر فدعني حتى أسُلُّها منهم فأستلها منهم فطلّقها فتزوجها رسول الله ﷺ انظر ج١٠ ص ٥٩، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) المصدر نفسه.

يشغل باله ويصرف اهتمامه إلى طفلة بعمر ست سنوات وهو بعمر الخمسين؟ بل كيف جمعوا بين هذا الانشغال وانشغاله بتلقي الوحي الذي مضى عليه عشر سنين؟ فضلاً عن انشغاله في المواجهات التي فرضها عليه جبابرة قريش والمخططات اليهودية الرامية إلى استئصاله ومكافحة أتباعه من المستضعفين والتي كانت تأخذ كل وقته وتستأثر بكل اهتمامه في اتخاذ التدابير التي تبقي عليهم حياتهم من بطش الجبابرة والتي كان منها الاختباء في شعاب أبي طالب. إذ طال حصارهم فيها ثلاث سنين وبلغ بهم الجهد والجوع مبلغه، واضطرتهم تلك الإجراءات القمعية التي عاشها وإيّاهم النبي ﷺ بكل تفاصيلها اليومية وما تفرزه من هموم وأحزان يتقطّع لها قلبه الشريف، إلى أن أمرهم بالهجرة الأولى إلى الحبشة والهجرة الثانية إلى المدينة، وفي الهجرتين لم يهدأ له بال ولم يكن في عطلة من أعمال، بل كان يتابع أخبارهم ويخاف عليهم ويعمل على مقاومة ودفع سطوة الأعداء ومؤامراتهم المستمرة بينما كان أبو بكر وأسرته في مكة يمارسون حياتهم اليومية ولم يتعرّض لهم جبابرة قريش بسوء للعلاقات الودية التي لم تتبدل معهم!

والسؤال: أفتجد قلب النبي ﷺ خالياً من كل هذه الهموم العظيمة ليشغله بحب النساء؟ ولو تنزّلنا وقبلنا أطروحة الواهمين - ولن نتنزّل بعون الله وتوفيقه إلى القبول بمثل هذه الترّهات - فهل خانته عواطفه من التعلق بنساء بني هاشم أو غيرهن من الناضجات الجميلات لتنساب عواطفه حارة تجاه طفلة بعمر الأطفال الذين يسجلون في الصف الأول الابتدائي في زماننا هذا؟

فيراها في منامه في سَرَقةٍ من حرير! ثم يشارك الله بهذه الوصفة الغرامية فيرسل صورتها مرسومة على كفّ جبريل ليراها النبي ﷺ؟

أي عاقل يقبل هذا المنطق؟ وكيف هان على الأمة وحفّاظها وكتّابها أن تتناقل مثل هذه الروايات الكاذبة وهي توفّر لأعداء الإسلام أكبر المنافذ للطعن والسخرية والتهكم؟

وجواباً على ذلك: أعتقد أن الضرورة تحكم على أصحاب الدين واليقين وطلاب الحقيقة أن يعيدوا النظر بكتابة التاريخ الإسلامي لتخليصه من الروايات الكاذبة والفضائل المزيفة المبنية على واقع مأساوي يناقض تلك الفضائل ويتقاطع معها. ومنها الفضائل التي رسمت صورة عائشة على كفّ جبريل مرة وفي خرقة حرير مرة أخرى لتجميل صورتها وتحسين مقامها عند مَن لا يعلم كيفية زواج كل من عائشة وحفصة من النبي ﷺ.





كيف حصل زواج النبي ﷺ من عائشة وحفصة؟



لكي نقف على جواب شافٍ لا بدَّ من طرح بعض الأسئلة التي تقرّب لنا الصورة الواقعية التي نفهمها من الروايات التاريخية التي بين أيدينا ولا سيما الروايات التي تتحدث عن زواج النبي ﷺ من عائشة أم المؤمنين!

سؤال: كيف خطب النبي ﷺ عائشة وهي طفلة بعمر ست سنوات وهذا العمر لا يؤهلها للزواج منه إذ لا يمكن أن يأنس منها الرشد ولا الانسجام فيما يأمل الرجال وهو بعمر الخمسين، والدليل على عدم أهليتها هو تأجيل الدخول إلى ما بعد العاشرة من عمرها كما ثبت في النقول التاريخية؟

سؤال: إذا لم تكن عائشة مؤهلة للزواج في ذلك الوقت فما الذي أحوج النبي ﷺ إلى خطوبتها؟

هل كان سبب هذه الخطوبة المبكرة يتعلق بجمال عائشة إذا أخذنا بأقوالها وأعرضنا عن أقوال الذين أثبتوا لها سواد لون الوجه وآثار الجدري فيه؟

وإذا سلمنا جدلاً بجمال عائشة فهل يكفي ذلك لإغراء رسول

الله ﷻ لكي ينعم النظر إليها في الوقت الذي يأمرنا الله فيه أن نغضّ الأبصار؟

ولو تنزّلنا عن ذلك ونظرنا إلى أحكام الدافع الغريزي والعاطفي! فهل نجد مِنَ المراهقين مَن ينصرف اهتمامه ونظره إلى طفلة بعمر الست سنوات إلّا الشواذ ممن عجز عن جلب انتباه وإعجاب المراهقات بعمره؟

فكيفَ يُنسَبُ مثل هذا الدور إلى أشرف خلق الله ﷻ وأعظمهم خلقاً وأخلاقاً، بعدما بلغ الخمسين وهو يناضل ويجاهد في تبليغ أشرف رسالات الله وقد تمَّ اصطفاءه اصطفاءً من خيرة خلق الله؟!

أفتجد في انصراف نظره واهتمامه بعائشة وهي بهذا العمر مسوّغاً يتفق مع مقامه الجليل؟!

وإذا سلمنا بصحة رواية عائشة عن خطوبة النبي ﷺ لها وهي بعمر ست سنين! فهل يعود السبب إلى شحة في عدد النساء حينذاك؟

والجواب يخيّب مسعى من يتشبّث بهذا العذر... فالنساء أكثر عدداً من الرجال بسبب حروبهم الطاحنة وثاراتهم المستمرة التي تقتل الرجال وتبقي النساء!

هل نمس شخصية النبي ﷺ لنعزو السبب إلى عوز وافتقار واستئثار كما تلوّح مضامين الروايات التي سمحت لأعداء الدين أن يتخذوا منها ذريعة لمختلف الطعون؟

والجواب: إنَّ الواقع التاريخي يدحض هذا التصوّر ويثبت عكسه تماماً! فهو ابن سيد البطحاء وعُرِفَ بالصادق الأمين قبل مبعثه، وكان

متزوجاً من خديجة وهي سيدة نساء زمانها، وبعد البعثة أصبح ﷺ محط أنظار وتنافس الطامحين إلى الوجاهة والطامعين بمناصب الدنيا بالإضافة إلى المؤمنين من أهل النوايا الطيبة الذين كانوا سباقين في عرض بناتهم عليه بغية التشرف بمصاهرته، ناهيك عن النساء اللواتي عرضن أنفسهن عليه وفي ذلك ما يُيسّر له أن يختار خيرة فتيات ونساء زمانه!

فهو إذن ليس مضطراً للنظر إلى طفلة بعمر ست سنين مهما كانت صفاتها!!

وهذا يوصلنا إلى قناعة بأن المنطق السليم لا يسمح أن يقوم النبي ﷺ بالإقدام أو الموافقة على إشارة الخاطبة باختيار طفلة بهذا العمر! كما تقول رواية عائشة التي نقلها ابن حجر في إصابته وابن عبد البر في استيعابه وغيرهم ممن أوغل في الإساءة إلى النبي ﷺ مثلما جاء قول عروة بن الزبير عن خالته عائشة: (تزوّجني رسول الله وإني لألعب مع الجواري)[1].

ونفس موجبات القناعة التي توصلت إليها تجعلني أرفض وأُفنّد رواية البخاري على لسان عائشة لأنها تنال من مقام النبي ﷺ أكثر من باقي الروايات إذ تجعل منه معجباً بعائشة وتواقاً إلى لقائها ليلاً ونهاراً قبل أن يتزوجها.

جاء في النصّ: (قالت عائشة: لَمْ أعقلْ أبَوَيَّ قط إلّا وهما

(١) انظر ج١٠ ص ٥٩، كتاب الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

يدينان الدين ولم يمرّ علينا يوم إلّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرةً وعشيةً)[١] انتهى.

والسؤال: ماذا يعمل النبي ﷺ في دخوله يوميّاً إلى بيت أبي بكر؟

وهل من المنطق السليم أن يترك النبي ﷺ تلك المهام الجسام والهموم العظام التي تحدّثنا عنها ويصرف نظره عنها ليحصر اهتمامه ويقتصر طرفه على طفلة بعمر ست سنوات أو أقل فيداوم الحضور في بيت أبيها بكرة وعشية؟ وكأنها قبلة الأنظار التي هام بعشقها النبي ﷺ فلم يغنه النظر إليها في الأحلام في سَرَقة الحرير ولم يكتفِ بالنظر إلى صورتها في كفِّ جبريل حتى جعلته لا يستطيع فراقها صباحاً ولا مساءً، ولا يهمها بعد ذلك ما يكون من تقولات الأعداء فيما يمس شخصية النبي ﷺ.

بعد الأسئلة التي طرحتها والأجوبة التي رأيتها مناسبة، أرى أن الروايات المنقولة على لسان عائشة بخصوص زواجها المبكر من النبي ﷺ، إنما يكتنفها الغموض، فقد أخفتْ وجه الحقيقة، وأظهرت وجهاً آخر مزيفاً.

وإنَّ السبب الكامن وراء هذا التزييف، إنما يفضح جزءاً مهماً من مخطط الاستيلاء على السلطة النبوية والذي بدأ بعرض أبي بكر ابنته عائشة على النبي ﷺ وفق مخطط مدروس تكشف عنه القراءة المتأنية

(١) انظر ج٢ ص ٨٨١، صحيح البخاري - كتاب مناقب الأنصار - الحديث (٣٩٠٥)، ط١ لسنة ٢٠٠٤م دار الآفاق العربية - القاهرة.

لمجريات الأحداث التاريخية قبل وبعد وفاة النبي ﷺ، وهذا جانب من تلك القراءة.

بعدما لاحظ أبو بكر أن مقام النبي ﷺ آخذ بالعلو، ونفوذه آخذ بالاتساع وسلطانه آخذ بالانتشار والاستمرار، ومكانته تتعزز بين القبائل، وصيته تجاوز حدود قريش، وتيقن أنه سيتجاوز حدود الجزيرة العربية!

ولمّا كان أبو بكر أوّل وأكبر طامح في الاستيلاء على خلافه النبي ﷺ . فقد فكّر أن يجد له موطىء قدم قبل غيره بالتقرّب إلى النبي ﷺ .

ووجد أن رباط النسب من أقوى الروابط التي تحقق له ذلك القرب، ولم يكن عنده من البنات غير عائشة وهي طفلة، وأسماء أكبر منها لكنها متزوجة من الزبير. فسارع أبو بكر بعرضها على النبي ﷺ وهي لم تبلغ بعد سن الرشد لتحلّ محل خديجة. فاعتذر النبي ﷺ عن قبولها لصغر سنها وعدم أهليتها للزواج بهذا العمر! لكن أبا بكر كان يضع في حساباته هذا الرفض لعلمه بعدم مناسبة عُمْر ابنته لعمر النبي ﷺ ولا يناسبه مركزها الاجتماعي! فماذا يجني النبي ﷺ من طفلة لا تعرف شيئاً من متطلبات الزواج بعد افتقاده لخديجة وحزنه الكبير لموتها؟ ولهذا كان أبو بكر قد أعدَّ الجواب المطلوب المتناغم مع دهائه المعروف فأظهر من التذلل والتوسل والترجي أن يشرّفه النبي ﷺ بتقبّل هديته مبدئيّاً ولو بعد حين فتكون وقفاً عليه حتى تنضج للزواج!

مما أخجل تواضع النبي ﷺ فجاءت موافقته مرهونة لظروف المستقبل، ولكنها أثلجت صدر أبي بكر وأنعشت آماله في بلوغ الحلم المنشود، فبات يعدّ الأيام لتعجيل هذا الزواج بعد وفاة خديجة عليها السلام وهنا ألفت نظر القارىء إلى أقوال عائشة التي ذكرتها، فإن وفاة خديجة عليها السلام تضعها على المحك، ولو كان وصف عائشة صادقاً وصحيحاً فيما روت عن كفّ جبريل وسَرَقة الحرير ودوام النبي ﷺ في بيت أبيها صباحاً ومساءً، لسارع النبي ﷺ إلى الزواج منها بعد وفاة خديجة مباشرة أو بوقت معقول! لكنه تركها لمدة ست سنوات ونصف في أحد روايات صاحب الاستيعاب حيث قال: (قيل في موت خديجة أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين، وعرّس بعائشة في المدينة في شوال على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره إلى المدينة)[1] انتهى.

وهذا يجعل عمر عائشة عند زفافها (١٣) سنة وهو أكمل لأنوثتها، وهذا أقرب إلى الصواب والمنطق الصحيح ويردّ على أكاذيب الوضاعين فيما هوّلوا من تقريب زواج عائشة بعد وفاة خديجة، لتحرير الأكاذيب التي روتها عن نفسها والتي تخفي ما بذله أبو بكر في طريق الاستيلاء على السلطة ويفسر لنا منطقياً ما تحيّر في تفسيره الباحثون في كيفية زواج النبي ﷺ من عائشة وهي بعمر ست سنين.

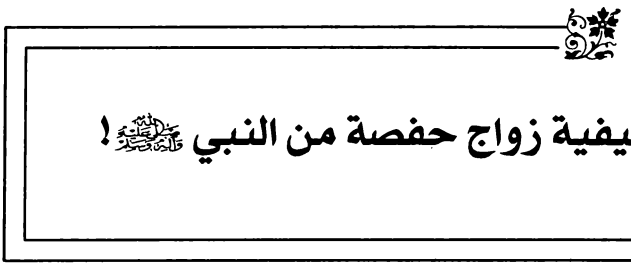
تنبيه:

على أننا ينبغي أن نلتفت إلى أن ترشيح أبي بكر لابنته عائشة

(١) انظر ج٤ ص ٣٥٦ - ٣٥٧، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبد البر المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

لتكون زوجاً للنبي ﷺ والتي لعبت أخطر الأدوار الخفية في حياة النبي ﷺ ومنها حديث الإفك الذي لا زلنا نعمل على لَمِّ شتاته، وجرأتها في تلقين النساء التعوّذ من النبي ﷺ والتي أثبتت بموجبها قدرتها وبراعتها في التدليس وتسويق الكذب على الله ورسوله ﷺ وهو لم يزل حيّاً قوّاماً عليها وعلى باقي نسائه، كما لعبت أخطر الأدوار السياسية والإعلامية والعسكرية بعد وفاة النبي ﷺ ومنها التصدي للفتوى في حكومتي أبيها وعمر وانقلابها على حكومة عثمان ومحاربته إعلامياً وسياسياً للأسباب التي سبق ذكرها وقيادتها معركة الجمل في محاربة إمام المتقين، كل ذلك يجعلنا نفهم أن ترشيح أبيها لتكون زوجاً للنبي ﷺ والذي بذل من أجله ماء وجهه، لم يكن اختياراً اعتباطياً ولم تتحكم به الصدفة أو العفوية!

وإنّما كان مبنيّاً على معرفة أبي بكر الدقيقة بإمكانيات ابنته رغم صغرها وعلمه بقدرتها على التجسس واستراق الحديث لتنقل لأبيها ما يدور من أحاديث ومشاورات واتصالات داخل بيوت النبي ﷺ وخارجها، ولا سيما الاتصالات الخاصة بالسياسة والإمارة ومنصب الخلافة، وقد برعت في أداء دورها المرسوم بنجاح مشهود. ولهذا فإن أكبر نجاح حققه أبو بكر في طريق سعيه إلى المنصب السياسي هو في تمكنه من زرع أمهر وأخطر عين في قلب الحدث وفي أقرب وأخطر وأنسب مكان من قيادة صنع القرار، فكان لمكان عائشة ودورها أثراً مهماً يتقدم الأسباب التي ساعدت أبا بكر على أن يعتلي عرش السلطة بعد النبي ﷺ قبل غيره!



كيفية زواج حفصة من النبي ﷺ!

خاب أمل عمر في زواج ابنته الأرملة - حفصة - بعدما عرضها على أبي بكر فرفض الزواج منها، وعرضها بعد ذلك على عثمان فرفضها أيضاً.

قال ابن حجر: (فانقضت عدّتها فعرضها عمر على أبي بكر فسكت عنها فعرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت النبي ﷺ فقال: ما أريد أن أتزوج اليوم)[١] انتهى.

ويعود سبب رفضهما - حسب فهمي - لخشونتها التي ورثتها عن أبيها أولاً ولأنهما لم يجدا فيها من الأنوثة والجمال ما يغري الرجال ثانياً.

ودع عنك أكذوبة اعتذار[٢] أبي بكر عن قبولها لعلمه برغبة النبي ﷺ فيها، لأنها ليست أكثر من محاولة لحفظ ماء وجه عمر وابنته.

وإذا كانت عائشة قد تمكّنت بما أُوتيتْ من قدرة على اختلاق وتسويق الروايات الكاذبة، أن تغطي على حقيقة ما جرى في كيفية

---

(١) انظر ج٤ ص ٢٧٣، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) المصدر السابق نفسه.

تقديمها من قبل أبيها، لما فيها من كشف للمستور الذي قاد أباها إلى كرسي السلطة قبل غيره، واستطاعت تغيير تلك الحقيقة وإبراز ما يناقضها في الروايات الخيالية التي جعلت من كفّ جبريل وسَرَقة الحرير دليلاً على علو منزلتها، فإن حفصة لم تكن تتمتع بمَلَكَة خيال عائشة الواسع في خلق الفضائل المزيفة ولهذا جاءت حكاية زواجها من النبي ﷺ كما هي لولا بعض التحسينات التي حاولت حفظ ماء وجهها ووجه أبيها بإظهار الجزء المعلن من الحقيقة وإخفاء الجزء المهم الذي يصف الكيفية التي حصل فيها تقديمها من قبل أبيها إلى النبي ﷺ.

إنني أعتقد: إنَّ عمر وجد أن نجاح خطة زواج عائشة من النبي ﷺ ستقدّم أبا بكر وتؤخره ولهذا فإن عمر قد استشاط غضباً وحسداً من أبي بكر الذي كان بنظره من أحسد قريش مثلما جاء قوله للمغيرة بن شعبة وأبي موسى الأشعري في أخطر اعتراف قاله عمر في حياته نتيجة أبرع حيلة تمَّ استدراجه فيها.

فقد تمكن المغيرة بن شعبة بما عرف من مكر ودهاء أن ينتزع من عمر بن الخطاب أخطر اعتراف يكشف عن أسرار علاقته بأبي بكر وحِرصِ كل منهما على أن يسبق الآخر في تولي منصب الخلافة ويكشف عن رأي كل منهما بصاحبه. وكان للحافظ والمحدّث شريك بن عبد الله النخعي دوره المهم والجريء في إثبات ذلك الحسد.

ولأهمية هذا الكلام وخطورته البالغة ينبغي أن نعطيه ما يستحق من البيان وهو ما يتطلب أن أُثبت الرواية التي تضمنت ذلك الاعتراف

بطولها لأنها - بتقديري - تصف بصدق وعفوية جوهر الصراع الذي كان قائماً بين الساعين إلى منصب الخلافة وتختصر الإعلان عن التنافس والتناحر الذي كان يجري بينهم في الخفاء، وتكشف عما كانت تكنه الصدور من حسد وبغض وتحامل ونفاق سياسي شبيه بما تشهده اليوم الساحات السياسية على اختلاف مكانها وزمانها، من توافق وتآلف ظاهري ينطوي على احتراب واحتقان باطني.

وليست الفضائل التي وصلتنا عنهم والتي تحتاج إلى التقويم قبل الإسناد، إلّا مثالاً لما تقوم به اليوم المؤسسات الإعلامية التابعة للسلطة من حملات الكذب والتحريف والتزوير الإعلامي لتغطية الخروقات والتجاوزات التي يتناسب حجمها طردياً مع درجة الابتعاد عن الله والدين والقيم الأخلاقية.





حذر عمر لا يقاوم دهاء المغيرة!



بعدما استتبّ أمر الخلافة لعمر وأصبح الأمر الناهي والمطاع فيما صح وما لم يصح، وبعدما تراكمت في صدره الهموم المتعلقة بأخطر أسرار السلطة! وجد نفسه يوماً بحاجة ماسة إلى الإفضاء بسرّه لتخفيف ما كان يزدحم في صدره من خواطر وأسرار ما ثقل من هموم الخلافة، وعندما حانت اللحظة التي قلَّ فيها حذره وأمن على مستودع سرّه، كان لأدهى دهاة العرب - وهو المغيرة بن شعبة - حضوره المهم ودوره الحاسم في استدراج عمر لينتزع منه أخطر اعتراف يكشف عن أسرار علاقته بأبي بكر فيما يتعلق بسعيهما إلى منصب الخلافة. . . !!

فكان معه ومع أبي موسى الأشعري الحوار الآتي الذي ضممت إليه تعليقي المحصور بين قوسين بهدف شدِّ انتباه القارىء إلى الجوانب المهمة في النصّ الذي أورده ابن أبي الحديد.

النصّ: (وروى شريك بن عبد الله النخعي، عن محمد بن عمرو بن مرّة عن أبيه، عن عبد الله بن سلمة، عن أبي موسى الأشعري، قال: حججتُ مع عمر، فلما نزلنا وعُظم الناس خرجتُ من رَحلي أُريده، فلقيني المغير بن شعبة، فرافقني، ثم قال: أين تريد؟ فقلت: أميرَ المؤمنين، فهل لك؟ قال: نعم، فانطلقنا نريد رَحْل عمر، فإنّا

لفي طريقنا إذ ذكرنا تولِّيَ عمر وقيامه بما هو فيه، وحياطته على الإسلام، ونهوضه بما قِبَله من ذلك، ثم خرجنا إلى ذكر أبي بكر، فقلت للمغيرة: يا لكَ الخير! لقد كان أبو بكر مُسَدَّداً في عمر، لكأنّه ينظر إلى قيامه من بعده، وجَدّه واجتهاده وغنائه في الإسلام، فقال المغيرة: لقد كان ذلك، وإن قوماً كرهوا ولاية عمر ليزووها عنه، وما كان لهم في ذلك من حظّ، فقلت له: لا أبا لك! ومَن القوم الذين كرهوا ذلك لعمر؟ فقال المغيرة: للهِ أنت! كأنّك لا تعرف هذا الحي من قريش وما خُصّوْا به من الحسد! فوالله لو كان هذا الحسدُ يُدركُ بحساب لكان لقريش تسعة أعشاره وللناس كلهم عشر، فقلت: مَهْ يا مغيرة! فإن قريشاً بانت بفضلها على الناس فلم نزل في مثل ذلك حتى انتهينا إلى رَحْل عمر فلم نجده، فسألنا عنه فقيل: قد خرج آنفاً، فمضينا نقفوا أثره حتى دخلنا المسجد، فإذا عمر يطوف بالبيت، فطفنا معه، فلما فرغ دخل بيني وبين المغيرة، فتوكأ على المغيرة وقال: من أينَ جئتما؟ فقلنا: خرجنا نريدك يا أمير المؤمنين، فأتينا رَحْلك فقيل لنا: خرج إلى المسجد، فأتبعناك. فقال: أتَّبَعكما الخير، ثم نظر المغيرة إليَّ فتبسم، فرمقه عمر، - (هنا بدأ الاستدراج) - فقال: مِمَّ تبسّمْتَ أيها العبد! فقال: من حديث كنت أنا وأبو موسى فيه آنفاً في طريقنا إليك، قال: وما ذاك الحديث؟ فقصصنا عليه الخبر حتى بلغنا ذِكر حسد قريش، وذكر من أراد صرف أبي بكر عن استخلاف عمر، فتنفّس الصعداء ثم قال: ثكلتكَ أمّك يا مغيرة - (لاحظ أن كلام عمر موجه للمغيرة دون أبي موسى الأشعري وهذا دليل على تمكنه من استدراجه) - وما تسعة أعشار الحسد! بل

وتسعة أعشار العشر، وفي الناس كلهم عشر العشر، بل وقريش شركاؤهم أيضاً فيه! وسكت مليّاً وهو يتهادى بيننا، - (هذا السكوت بتقديري أعطاه عمر لنفسه لكي تحسم الصراع بين استمرار تحمل الأعباء للاحتفاظ بتلك الأسرار المهمة وبين إلقائها من خلال الإفضاء بها، فاختارت نفسه الإفضاء بسرّه) - ثم قال: ألا أخبركما بأحسد قريش كلها؟ قلنا: بلى يا أمير المؤمنين، قال: وعليكم ثيابكما؟ قلنا: نعم، قال: وكيفَ بذلك وأنتما ملبسان ثيابكما! قلنا يا أمير المؤمنين، وما بالُ الثياب! قال: خوف الإذاعة منها، قلنا له: أتخاف الإذاعة من الثياب أنت، وأنت من ملبِس الثياب أخوف! وما الثياب أردت! قال: هو ذاك، ثم انطلق وانطلقنا معه حتى انتهينا إلى رَحْله، فخلّى أيدينا من يده، ثم قال: لا تريما - (أي لا تذهبا) - ودخل، فقلت للمغيرة: لا أبالك، لقد عثرنا بكلامنا معه، - (وهذا دليل آخر على أن المبادر باستدراج عمر هو المغيرة) - وما كنا فيه، وما نراه حَبَسنا إلّا ليذاكرنا إياها، قال: فإنّا لكذلك إذ أخرج إذْنَه إلينا، فقال: ادخلا، فدخلنا فوجدناه مستلقياً على بَرْذَعةِ بَرحْل، فلما رآنا تمثل بقول كعب بن زهير:

لا تـفْـشِ سِـرَّكَ إلّا عـنـد ذي ثـقـةٍ

أوْلى وأفضل ما استودَعتَ أسْرارا

صدراً رحيباً وقلباً واسعاً قَمِناً

ألّا تخافَ متى أوْدَعْتَ إظهارا

فعلمنا أنه يريد أن نضمن له كتمان حديثه، فقلت أنا له: يا أمير

المؤمنين، الْزَمْنا وخُصَّنا وصِلنا، قال: بماذا يا أخا الأشعريين؟ فقلت: بإفشاء سرّك وأن تشركنا في همّتك فنعمَ المستشاران نحنُ لك! قال: إنكما كذلك، فاسألا عما بدا لكما.

ثم قام إلى الباب ليغلقه، فإذا الآذن الذي أذن لنا عليه في الحجرة، فقال: امضِ عنّا لا أُمَّ لك! فخرج وأغلق البابَ خلفه، ثم أقبل علينا، فجلس معنا، وقال: سَلاَ تُخبرا، قلنا: نريد أن يخبرنا أمير المؤمنين بأحسد قريش، الذي لم يأمن ثيابنا على ذكره لنا - (أقول: ليس هذا التحفظ من عمر إلّا لأن وسائل إعلام دولته التي كان يهيمن عليها قد أعطيت صورة عن أبي بكر مخالفة تماماً لما يعرفه عمر عنه، وهنا يأتي سبب تحفظه على إفشاء هذا السر منطقياً لأنه يعود عليه باللوم ويثبت له الإدانة في حياته).

فقال: سألتما عن معضلة؛ وسأخبركما فليكن عندكما في ذِمّةٍ منيعة وحرزٍ ما بقيت، فإذا مِتُّ فشأنكما وما شئتما من إظهار أو كتمان. قلنا: فإنّ لك عندنا ذلك.

قال أبو موسى: وأنا أقول في نفسي: ما يريد إلّا الذين كرهوا استخلاف أبي بكر له كطلحة وغيره، فإنهم قالوا لأبي بكر: أتستخلف علينا فظّاً غليظاً!

وإذا هو يذهب إلى غير ما في نفسي، فعاد إلى التنفّس، ثم قال: مَن تريانه؟ قلنا: والله ما ندري إلّا ظنّاً! قال: ومَن تظنّان؟ قلنا: عساك تريد القومَ الذين أرادوا أبا بكر على صرف هذا الأمر عنك؛ قال: كلاّ والله! بل كان أبو بكر أعقّ، وهو الذي سألتما عنه، كان

والله أحسد قريشٍ كُلّها، ثم أطرق طويلاً، فنظر المغيرة إليَّ ونظرتُ إليه، وأطرقنا مليّاً لإطراقه، وطال السكوت منا ومنه، حتى ظننا أنه قد ندِمَ على ما بدا منه. ثم قال: والهفاه على ضئيل بني تيم بن مرّة! لقد تقدّمني ظالماً وخرج إليَّ منها آثماً، فقال المغيرة - (وهنا أرجو الانتباه إلى سؤال المغيرة الذي طرحه على عمر بعد إعلان موافقته المبدئيّة على ظلم أبي بكر لعمر وهو في غاية الدهاء من قوة الاستدراج): أمّا تقدمه عليك يا أمير المؤمنين ظالماً فقد عرفناه، كيف خرج إليكَ منها آثماً؟ قال: ذاك لأنه لم يخرج إليَّ منها إلّا بعد يأسٍ منها، أما والله لو كنت أطعتُ يزيد[1] بن الخطاب وأصحابه لم يتلمظ من حلاوتها بشيء أبداً، ولكني قدّمتُ وأخّرتُ، وصعّدتُ وصوّبتُ، ونقضتُ وأبرمتُ، فلم أجد إلّا الإغضاء على ما نشب به منها، والتلهّف على نفسي، وأمّلت إنابته ورجوعه، فوالله ما فعل حتى نَغَر بها بَشَماً.

قال المغيرة: فما منعكَ منها يا أمير المؤمنين، وقد عرّضك لها يوم السقيفة بدعائك إليها! ثم أنت الآن تنقم وتتأسف؟ - (انظر إلى الإثارة الكبيرة في السؤال) - قال: ثكلتك أمُّك يا مغيرة! إني كنت لأعدُّك من دهاة العرب، كأنّك كنتَ غائباً عما هناك! إن الرجل ماكَرَني فماكرتُه، وألفاني أحْذَر من قطاة؛ إنه لمّا رأى شغف الناس به، وإقبالهم بوجوههم عليه، أيقن أنهم لا يريدون به بدلاً، فأحبّ لما رأى من حرص الناس عليه، وميلهم إليه أن يعلم ما عندي، وهل

(١) هذا تصحيف والصحيح: زيد بن الخطاب.

تنازعني نفسي إليها؟ وأحب أن يبلوني بإطماعي فيها، والتعريض لي بها، وقد علمَ وعلمتُ لو قبلت ما عرضه عليّ، لم يجب الناس إلى ذلك، فألفاني قائماً على اخمصي مستوفِزاً حذِراً، ولو أجبته إلى قبولها لم يسلّم الناس إليَّ ذلك، واختبأها ضِغناً عليَّ في قلبه، ولم آمن من غائلته ولو بعد حين مع ما بدا لي من كراهة الناس لي؛ أما سمعتَ نداءهم من كل ناحية عند عرضها عليَّ: لا نريد سواكَ يا أبا بكر، أنت لها! فرددتها إليه عند ذلك، فلقد رأيته التمع وجهه لذلك سروراً.

ولقد عاتبني مرّة على كلام بلغه عني، وذلك لمّا قُدِمَ عليه بالأشعث أسيراً، فمَنَّ عليه وأطلقه، وزوّجه أخته أم فروة، فقلت للأشعث وهو قاعد بين يديه: يا عدو الله، أكفرتَ بعد إسلامكَ، وارتددت ناكصاً على عقبيك! فنظر إليَّ نظراً علمتُ أنه يريد أن يكلمني بكلام في نفسه، ثم لقيني بعد ذلك في سِكَكِ المدينة، فقال لي: أنت صاحب الكلام يا بن الخطاب؟ فقلت: نعم يا عدو الله؛ ولك عندي شرّ من ذلك، فقال: بئس الجزاء هذا لي منكّ! قلت: وعلام تريد مني حسن الجزاء؟ قال: لِأَنفَتي لك من اتباع هذا الرجل، والله ما جرَّأني على الخلاف عليه إلّا تقدّمه عليك، وتخلفكَ عنها، ولو كنتَ صاحبها لما رأيت مني خلافاً عليك.

قلت: لقد كان ذلك، فما تأمر الآن؟ قال: إنه ليس بوقت أمر بل وقت صبر، ومضى ومضيت. ولقي الأشعث الزِّبْرقان بن بدر فذكر له ما جرى بيني وبينه، فنقل ذلك إلى أبي بكر؛ فأرسل إليَّ بعتاب

مؤلم، فأرسلت إليه: أما والله لتكُفَنَّ أو لأقولَنَّ كلمة بالغة بي وبكَ في الناس، تحملها الركبان حيث ساروا، وإن شئتَ استدمنا ما نحنُ فيه عفواً، فقال: بل نستديمه، وإنها لصائرة إليك بعد أيّام، فظننتُ أنه لا يأتي عليه جمعة حتى يردّها عليَّ، فتغافل، والله ما ذاكرني بعد ذلك حرفاً حتى هلك.

ولقد مَدَّ في أمَدها عاضاً على نواجذه حتى حضره الموت، وأَيِسَ منها فكان منه ما رأيتما، فاكتما ما قلت لكما عن الناس كافة وعن بني هاشم خاصة، وليكن منكما بحيث أمرتكما. قوما إذا شِئتما على بركة الله، فقمنا ونحن نعجب من قوله، فوالله ما أفشينا سرّه حتى هلك)[1] انتهى النص.

بعد الاطّلاع على هذه الرواية المهمة وهي من الوثائق التاريخية الخطيرة التي تكشف النقاب عن أخطر الأسرار الخاصة بتولي منصب الخلافة بعد النبي ﷺ وأخطر ما فيها ليس الكشف عما كانت تحمله صدور الخلفاء من ضغائن تجاه منافسيهم، والتي تكذّب الفضائل المزعومة التي جعلت من أبي بكر أفضل الناس بعد النبي ﷺ ومن عمر أفضلهم بعد أبي بكر وينتهي التفاضل عند باب فضائل عثمان فيكون الناس بعده سواسية.

وإنما أخطر ما فيها كلمة التهديد التي أرسلها عمر إلى أبي بكر وهي: (أما والله لتكفّنّ أو لأقولنَّ كلمة بالغة بي وبك في الناس تحملها الركبان حيث ساروا).

---

(١) انظر ج٢ ص ٢٧٨ - ٢٨١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

ومكمن الخطورة فيها ما تتضمن من إشارات إلى وجود تآمر مشترك تمَّ الاتفاق عليه بينهما وبين المساندين لهما من الذين استخدموهم كأدوات مساعدة على تنفيذ مخططات الاستيلاء على السلطة، وهذا يؤكد صحة ما ذكرت بعض المصادر من اشتراك أبي بكر وعمر في خطة تنفير ناقة النبي ﷺ عند منصرفه من حجة الوداع على عقبة هرشى[١]، ويؤكد صحة خبر الصحيفة التي تعاقدوا عليها في منع تنفيذ وصية النبي ﷺ في أعقاب تبليغ النبي ﷺ بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام [٢] ويؤكد اشتراكهما مع العصبة التي تولت الإفك والتي لا زلنا نبحث تفاصيلها.

كما يؤكد سبق الإصرار والترصد في قيام عمر بمنع النبي ﷺ من كتابة وصيته عند الاحتضار بمساندة العصابة التي كانت معه والتي تسببت في اللغط وهو جزء من الخطة التي تكلف عمر القيام بها، لإبقاء صورة أبي بكر بعيدة عن غبار الخيانة والغدر الذي يصاحب خيارات الانقلابيين على الأغلب.

---

(١) انظر ج٢ ص ٥٩٠، كتاب سليم بن قيس، ط١ لسنة ١٤١٥هـ - مطبعة الهادي (قم - طهران بتحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري.
وانظر ج١٢ ص ٢٠٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد طبعة مؤسسة الأعلمي الثانية لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م بيروت. وفيها قول عمر: (ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعتُ من ذلك).

(٢) انظر ج٢ ص ٥٩٠، كتاب سليم بن قيس، ط١ لسنة ١٤١٥هـ - مطبعة الهادي (قم - طهران بتحقيق الشيخ محمد باقر الأنصاري.
وانظر ج١٢ ص ٢٠٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد طبعة مؤسسة الأعلمي الثانية لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م بيروت. وفيها قول عمر: (ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه فمنعتُ من ذلك).

وهو ما يوافق ويطابق دلالة الإشارة التي جاءت في ردّ أمير المؤمنين علي عليه السلام على سؤال السائل فيما أثبت ابن أبي الحديد عن موافقة الأمة على تنصيب ابن النبي صلى الله عليه وآله فيما لو خلّف ابناً وآنسوا الرشد منه، أكانت العرب تسلّم إليه أمرها؟ قال: لا بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت[١].

والإشارة هنا إلى فعل القتل تنصرف إلى أبي بكر وعمر أكثر من انصرافها إلى أي شخص آخر، لأنهما كانا سبّاقين إلى المنصب قبل غيرهما، وعندما نربط إشارته إلى تنفيرهم ناقة النبي صلى الله عليه وآله في العقبة نجد أن المنفذين هم نفس العصبة التي استولت على مقاليد السلطة، لأنهم من أكثر المستفيدين بحساب الدوافع التي تقف وراء محاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله الفاشلة في العقبة، وإلى نفس الأشخاص تتجه إشارة أمير المؤمنين عليه السلام في وصف استعدادهم لقتل ابن النبي صلى الله عليه وآله فيما لو قدّر له العيش وأصبح عائقاً في طريق وصولهم إلى السلطة، فمن يفكر بقتل النبي صلى الله عليه وآله من أجل السلطة لا يمنعه قتل ابنه. وهم نفس الأشخاص المستفيدون من إقصاء وصي النبي صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده، وليس لذاك أن يتم بدون التنكر للوصية.

والسؤال: ماذا سيكون موقف أبي بكر أمام عامة المسلمين ولا سيما بني هاشم، لو شهد شاهد من أهل السلطة على واحدة من الإشارات التي تحدَّثنا عنها وحملها الركبان حيث ساروا؟ لقد جاء تهديد عمر متضمناً كل تلك الإشارات!

---

(١) انظر ج٢٠ ص ٤٥٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط٢ لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م مؤسسة الأعلمي - بيروت.

ولهذا سارع أبو بكر إلى استرضاء عمر وكبح جماح غضبه وغضّ نظره عن كبوة عمر وكأنه لم يسمع تهديده - مما يؤكد دهاءَه الكبير - وعزف على وتر التهدِئة والإغراء بالتي كانت هي الداء بقوله: (بل نستديم ما نحن فيه عفواً وإنها لصائرة إليك) ولكن أبا بكر ماكر عمر وماطله في تسليم مقاليد السلطة حتى لقي حتفه بفعل فاعل وليس حتف أنفه، مثلما أثبت ذلك نجاح الطائي في كتابه:

(اغتيال الخليفة أبي بكر والسيدة عائشة)[١].

تنبيه: لأهمية وخطورة رواية القاضي شريك!

أتوقع أن يقوم الكتّاب الذين يؤلهون الأشخاص ولا سيما الذين يؤلهون الشيخين أبا بكر وعمر، بشن حملة على الرجل الذي تجرّأ على قدسية الخلافة فقال الحقيقة المرة التي تخالف المألوف وهو القاضي شريك بن عبد الله النخعي الذي روى هذه الرواية بسلسلة رواة تنتهي إلى أبي موسى الأشعري، وسيبحثون عن المطاعن التي تنال منه، وهذا يقتضي أن يُعطى القاضي حقه فيما قيل عنه، ويُترك إصدار الحكم الأخير عليه إلى محكمة تمييز القرّاء الأفاضل. فأقول:

أولاً: أثبت ابن حزم الأندلسي في جمهرة أنساب العرب نسب القاضي شريك بن عبد الله النخعي ولم يقل عنه أي طعن يمس دينه وذمته[٢].

---

(١) نشرت دار الهدى والتراث طبعتها الأولى لهذا الكتاب سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م. جاء فيها: (أول بحث علمي يتناول هذا الموضوع الحساس بأدلّة مقنعة وبراهين ساطعة).

(٢) انظر ص ٤١٥، جمهرة أنساب العرب، ط٣ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية - بيروت.

وذكره ابن قتيبة في معارفه ولم يقل فيه شيئاً معيباً[١].

ثانياً: ترجم له ابن خلّكان في وفيات الأعيان، فقدّم لنا صورة واضحة عن القاضي شريك ومكانته العلمية، والطعون التي قيلت بحقه، وعندما عرضتها على ميزان المنطق لم أجدها تعدل شيئاً يستحق الذكر.

بل وجدت أن المنطق السليم يحكم له بالضد منها، وهو ما يدعوني إلى الاعتقاد بأن تلك الطعون وضعت بقصد النيل من دينه وسمعته وهو ما يؤدي إلى التشكيك بمصداقيته لتهيأة الأرضية المناسبة لطعن وإسقاط الرواية التي مرّت والتي كشفت عما علمتَ من الإشارات التي تُدين الخلفاء.

قال ابن خلّكان: (القاضي شريك النخعي، كان عالماً فهماً ذكيّاً فطناً، وكان عادلاً في قضائه كثير الصواب، حاضر الجواب، ذُكر معاوية بن أبي سفيان عنده ووصف بالحِلم، فقال شريك: ليس بحليمٍ من سَفَّه الحقّ وقاتل علي بن أبي طالب ﷺ. ودخل يوماً على المهدي فقال له:

لا بد أن تجيبني إلى خصلة من ثلاث خصال، قال: وما هنّ يا أمير المؤمنين؟ قال: إمّا أن تلي القضاء أو تحدّث ولدي وتعلّمهم أو تأكل عندي أكلة، وذلك قبل أن يلي القضاء فأفكر ساعة ثم قال: الأكلة أخفّها على نفسي، فأجلسه فأكل، فلما فرغ من الأكل قال له

(١) انظر ص ٢٨٤، المعارف لابن قتيبة، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية - بيروت.

الطبّاخ: والله يا أمير المؤمنين، ليس يُفلح الشيخ بعد هذه الأكلة أبداً)[1] انتهى.

أقول: ذلك يعني أن الرجل متعفف ولم يسعَ إلى منصب القضاء بل كان المنصب يسعى إليه فردّه، ولم يرجُ سلطان زمانه بل رجاه السلطان حتى أقنعه فيما بعد بل أكرِهَ على تولي القضاء! ويبدو التكلّف واضحاً فيما وضعوه على لسان طبّاخ أمير المؤمنين!

والسؤال: ألم يجدوا غير الطبّاخ لتقويم شخصية هذا القاضي بما عرف من فهم وذكاء وفطنة وعدل في القضاء لا علاقة له بعمل الطبّاخين؟ ما هذا الغباء الإعلامي؟ ثم ما قيمة قول الطبّاخ وأثره في حكمة وعدل وصواب شريك؟

وجوابي: لو صح ذلك لاقتضى الحال معاقبة الطبّاخ لأن كلامه ينال من مولاه أمير المؤمنين بسبب الفساد الذي سيصيب الرجل وخرابه وعدم فلاحه أبداً! سواء أكان السبب عائد لسوء نوايا أمير المؤمنين أو لسوء إعداد أمير الطبّاخين!

وبنفس هذا الإطار الكاذب تمَّ وضع باقي الروايات الهادفة للنيل من سمعة الرجل لغرض إسقاط روايته التي خلعت عن الخلفاء أثواب الفضائل فتعرّت أمامنا حقيقتهم الواقعية كما هي.

وشتان بين رواية القاضي شريك عن الخلفاء بما حظيت من عفوية ومنطقية تتوافق مع دلائل الوقائع التاريخية، وبين روايات

---

(١) انظر ج٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٨، وفيات الأعيان لابن خلّكان، ط١ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار الكتب العلمية - بيروت.

الوضاعين الذين يرومون النيل منه مثلما وضعوا على لسان الطبّاخ وهي مما لا يُعقَل ولا يُقبل!

أما الرواية الأخرى فتقول: (ولقد كتب له برزقه على الصيرفي، فضايقه في النقد، فقال له الصيرفي: إنكَ لم تَبعْ به بَزّاً، فقال له شريك: بل والله بعت أكثر من البز، بعت به ديني)[1] انتهى.

أقول: أراد الراوي أن ينفي التديّن عن القاضي شريك بعدما عجز عن نفي الفهم والفطنة والذكاء والعدالة عنه! فاضطر إلى رفع شأن البزّازين وإعلاء مهنتهم على مهنة القُضاة، وهو أمر مخالف للواقع لأن مهنتهم ليس فيها أكثر من قطع القماش، بينما مهنة القاضي فيها قطع الرقاب ولهذا فهي تحتاج إلى معرفة جميع الأحكام الشرعية لإبراء ذمة القاضي أمام الله في القضية التي يحكم فيها. وهو ما لا يحتاج إليه البزازون مع احترامنا للمشتغلين ببيع البزّ وهو القماش!

والسؤال: ما الذي أحوج الصرّاف - وهو موظف حسابات بدرجة تقل كثيراً عن درجة القاضي - إلى مثل هذا السؤال؟ وكيف تقبَّله شريك بما عُرِف من جرأة وصلابة وكبرياء؟ بل ما الذي أحوج شريك إلى مثل هذا الجواب الذي ينال من سمعته وشرفه ودينه؟

وكيف نوفِّقُ بين ترفّعه عن قبول منصب القضاء وهو منصب رفيع في دولة الخلفاء حتى أكره عليه وبين هوانه على المحاسب (الصرّاف) وتملقه بين يديه وهو غير مضطر إليه؟

---

(١) انظر ج٢ ص ٣٨٦، وفيات الأعيان لابن خلّكان، ط١ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار الكتب العلمية - بيروت.



التاريخ يمنح ثقته للقاضي شريك ويمنعها عمن يكذّبه!



لم يستطع المهدي محمد بن أبي جعفر المنصور وهو ثالث الخلفاء العباسيين أن يقنع القاضي شريك بتولي القضاء في دولته طوعاً بل أكرهه إكراهاً باستقدامه بواسطة رجال الشرطة وإرغامه على الجلوس للقضاء تحت تهديد السلاح!

قال الخطيب البغدادي: (أُكْرِهَ على ذلك وأقعد معه جماعة من الشرط يحفظونه)[١] انتهى.

ونفس النصّ وثّقه ابن خلّكان في وفياته[٢] فيما يثبت إعراضه عن مناصب السلطة، وتمسّك السلطة به لما يمتلك من كفاءة وإمكانية لو توفرت عند غيره لما اضطر الخليفة العباسي إلى إرغامه على تولي القضاء بالقوة، ولا تظنَّ أن الرجل قد هانت عليه نفسه وكرامته في محفل السلطان بعد ممارسة القضاء واكتساب صفة أحد أبرز موظفي الدولة بقناعة أدّت إلى ابتعاد الشرطة عن ملازمته، مما سهل للطاعنين أن يطلقوا عليه سهام نقدهم الطائشة، كما جاء في معرض امتداح

(١) انظر ج٩ ص ٢٨٧، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط٢، لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق مصطفى عبد القادر عطا.

(٢) انظر ج٢ ص ٣٨٦، وفيات الأعيان لابن خلّكان، ط١ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار الكتب العلمية - بيروت.

الشاعر لسفيان الثوري بعد موته مما كان على حساب سمعة القاضي شريك في قوله:

تحَرَّرَ سفيانٌ وفَرَّ بدينِهِ

وأمسى شُرَيْكٌ مَرصَداً للدراهم[١]

بل أثبت تعففه وصلابته وعدم انحنائه أمام مطالب السلطان ومغرياته وما جاء في ردّه على والي الكوفة حينما أظهر شماته بعد عزله، فرماه شُرَيْكٌ بكلام جعله يتصوَّر أنه مجنون، لدليل على جرأته وصلابته وكرامته! فكيف لا يردّ على محاسب بسيط ليس بذي شأن حتى لم تذكر الرواية اسمه؟!

انظر النصّ: (وقال عبد الله العجلي: قدم هارون الكوفة فعزل شريكاً عن القضاء، وكان موسى بن عيسى والياً على الكوفة، فقال موسى لشريك: ما صنع أمير المؤمنين بأحد ما صنع بك: عزلك عن القضاء، قال له شريك: هم أُمراء المؤمنين يعزلون الولاة ويخلعون ولاة العهود فلا يعاب ذلك عليهم، فقال موسى: ما ظننتُ أنه مجنون هكذا، لا يبالي ما تكلم به، وكان أبوه عيسى وليّ العهد بعد أبي جعفر فخلعه أبو جعفر)[٢] انتهى.

---

(١) انظر ص ٢٧٩، المعارف لابن قتيبة، ط٢ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية - بيروت. ود. يوسف علي طويل/ لاشتراكهما في التحقيق.

(٢) انظر ج٩ ص ٢٩٢ - ٢٩٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ط٢، لسنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م دار الكتب العلمية - بيروت تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. وانظر ج٢ ص ٣٨٧، وفيات الأعيان لابن خلّكان، ط١ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق د. يوسف علي طويل.

ولم يكن القاضي شريك على وئام وانسجام مع سلطان زمانه الذي عينهُ على توّلي القضاء بالإكراه، ولم يكن على وفاق مع رجال السلطة البارزين المؤثرين في قرارات الخليفة القاضية بالموت على من لا يوافقه على التعسف والظلم وانتهاك الحرمات.

قال ابن خلّكان: (وكان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي، فكان يحمل المهدي عليه، فدخل شريك يوماً على المهدي فقال له المهدي: إني لأراك فاطميّاً خبيثاً، قال: والله إني لأحبُّ فاطمة وأبا فاطمة ﷺ، قال: وأنا والله أحبهما، ولكني رأيتُكَ في منامي مصروفاً وجهكَ عني، وما ذاك إلّا لبغضك لنا، وما أراني إلّا قاتلكَ لأنك زنديق، قال: يا أمير المؤمنين، إن الدماء لا تسفُك بالأحلام، وليس رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام، وأما قولك: إني زنديق فإن للزنادقة علامة يعرفون بها، قال: وما هي؟ قال: شرب الخمور والضرب بالطنبور، قال: صدقتَ أبا عبد الله، وأنتَ خيرٌ من الذي حملني عليك)[1] انتهى.

ولعل في هذه الرواية ما يكذّب من اتهم شُرَيكاً بشرب النبيذ حتى شمّوا رائحته حينما خرج إلى أصحاب الحديث ليسمعوا منه ولو صح ذلك لاتخذه المهدي دليلاً وحجة على الزندقة التي تبيح له قتله باعتراف القاضي، ولا يعجزه إثبات حرمة النبيذ الشديد!

لقد أصبح الهدف واضحاً من اتهام شريك بعدم الفلاح وبيع

(١) انظر ج٢ ص ٣٨٧، وفيات الأعيان لابن خلّكان، ط١ لسنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م دار الكتب العلمية - بيروت، تحقيق د. مريم قاسم طويل/ لاشتراكهما في التحقيق.

الدين وشرب النبيذ، ومرصد الدراهم، وذلك كله من أجل إسقاط روايته للحفاظ على سمعة أبي بكر وعمر وباقي المتنافسين على مناصب الدنيا، والتي كان لشريك دوره الحاسم والجريء في كشف النقاب عن أخطر وأهم الوثائق التاريخية التي تُدين الخلفاء الأوائل في الوقت الذي تعامى وتصامَّ عنها باقي المحدِّثين والكتّاب خوفاً على دنياهم.

ومن يرتاب من رواية القاضي شريك ويدفعه الشك إلى صعوبة تصديقها فليعلَم أن الظرف الموضوعي في تسلسل الأحداث التاريخية يؤيد ويصادق على صحة صدورها في المرحلة الانتقالية الحرجة، عند سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

وما كان لهذه الرواية أن تجتاز موانع النشر والإعلان لولا المرحلة الانتقالية التي ضعف فيها تحكّم وتشبّث الدولة العباسية بزمام الإعلام بُعَيد تغلبهم على الدولة الأموية، مما أتاح الفرصة أمام القاضي شريك لإعلان واحدة من الحقائق التي حرص الأمويون على إخفائها، لأنهم وصلوا إلى السلطة بفضل تخطيط ومساعدة أبي بكر وعمر، وكانوا يخشون من انكشاف الحقائق لأنها تسقط شرعية إدعائهم إمرة المؤمنين!

هكذا سنحت الفرصة الذهبية للقاضي شريك، فأدلى برواية أبي موسى الأشعري وأطلقها من أسْرِ الاعلام الأموي، قبل أن تتمكن الدولة العباسية من فرض قيودها بعد تثبيت سلطانها، ولما تمكنت من ذلك، قام هارون بإقصاء القاضي شريك وعزله عن قضاء الكوفة بعدما عجز عن شراء دينه وذمته!

وما كان لي أن أُطيل الكلام عن هذه الرواية لولا أهميتها الكبيرة والخطيرة وعلاقتها الوثيقة مع بدايات الطريق الذي سلكه عمر بن الخطاب للوصول إلى منصب الخلافة ومن تلك البدايات طريقة عرضه لابنته حفصة على النبي ﷺ بعد الخيبة الكبيرة التي مُنِّي بها بعد عرضها على أبي بكر وعثمان ورفضهما الزواج منها كما أوضحت سابقاً.

عوداً على بدء أقول:

نعم لقد استشاط عمر غضباً وحسداً عندما علم بتدبير أبي بكر لكيفية زواج عائشة، الذي تشير ملابساته إلى أنه لم يُعلن إلّا حين زفافها وقد أيقن بأن هذا الزواج كانت تتحكم به الرغبة من طرف واحد، وقد مورِسَتْ أنواع من الضغوط الأخلاقية للحصول على موافقة النبي ﷺ دون أن يشعر بها أحد بفضل دهاء أبي بكر، مما فاجأ عمر الذي كانت تجمعه بأبي بكر وحدة الطموح والحلم بالمستقبل، وقد أدرك عمر أكثر من كل الساعين إلى منصب الخلافة أبعاد المخطط الذي كان أبو بكر يرسم له ويعمل على تنفيذه بصمت وهدوء ودهاء منقطع النظير!

وهنا قلّبَ عمر موضوع عرض ابنته حفصة على النبي ﷺ كما فعل منافسه الحسود الذي نجح في مساعيه التي لم يعلن عنها في زواج ابنته من النبي ﷺ وهو يعلم أنّها لا تمتلك أي مؤهل يؤهلها ويميزها عن بنات الآخرين إن لم تكن أقل منهن بحكم صغر سنها وعدم جمالها الذي أشرت إليه فيما مرّ وافتقار ساحتها إلى السابقة في الإسلام والجهاد في سبيل الله الذي تميّزت به غيرها من النساء

المسلمات ولا سيما اللاتي اضطرتهن ظروف النضال في سبيل الله أن يهاجرن الهجرتين إلى الحبشة والمدينة كما ذكرت عن قصة حياة أم سلمة كواحدة من تلك الشواهد!

وبعدما قلّبَ عمر وجوه الموضوع وجد أن السبيل الوحيد الذي سلكه أبو بكر للتأثير في كسب موافقة النبي ﷺ على ذلك الزواج غير المتكافىء، هو كثرة ما تشبّث به أبو بكر من توسل وتخضّع وترجي بصورة لا تضيق بها ساحة كرم أشرف خلق الله ﷺ وأرحمهم في أبعاد الذلة وحفظ ماء وجوه السائلين والمحتاجين! مما شجع عمر على أن يسلك نفس السبيل.

وزاد في تشجيعه ثلاث صفات تميّزت بها حفصة على عائشة:

الأولى: إنَّ لها سابقة في الهجرة إلى المدينة بصحبة زوجها خُنيس بن حذافة السلمي[1] بينما لم تواجه عائشة مشقة الهجرة وترك الأوطان إلّا بعد انتقال جميع المهاجرين من مكة إلى المدينة، ولم أطّلع على ما يخالف ذلك.

الثانية: كانت حفصة في العقد الثالث من العمر مما يجعلها أنضج وأليق بالزواج من النبي ﷺ مقارنة بعمر عائشة عندما عرضها أبوها للزواج منه ﷺ بعمر ست سنين.

الثالثة: إنَّ حفصة ترمّلت مبكراً حين مات زوجها - حتف أنفه - بعد بدر، وهذا ادعى للتعاطف والقبول عند سيّد المرسلين ﷺ ولو

(١) انظر ج٣ ص ٣٦٤، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

صح ما رجحه ابن حجر في إصابته[١] من أن زوجها قتل بأُحد سنة ثلاث فإنه يرجّح كفتها أكثر عند النبي ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين، ولم يُرسل لاكتناز المال والبحث عن الجمال!

قال ابن عبد البر: (فلما تأيمت ذكرها عمر لأبي بكر وعرضها عليه فلم يرجع إليه أبو بكر كلمة فغضب عمر من ذلك، ثم عرضها على عثمان حين ماتت رقية بنت رسول الله ﷺ فقال عثمان: ما أريد أن أتزوج اليوم، فانطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فشكى إليه عثمان وأخبره بعرضه حفصة عليه، فقال رسول الله ﷺ يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة ثم خطبها إلى عمر)[٢] انتهى.

هذا النصّ يثير أسئلة تنطوي على إشكالات تتطلب أن ينظر إليها الباحثون بعين الاعتبار.

الأول: لماذا شكى عمر إلى النبي ﷺ أمراً ليس له من موجب منطقي ولا حكم شرعي يلزم أحداً بالزواج ممن لا يرغب؟ ولو كان لذلك موجب لوجدنا طوابيراً من الرجال والنساء على باب النبي ﷺ ولا سيما الأرامل ممن فقدنَ رجالهن في ساحات الجهاد في سبيل الله.

الثاني: لماذا شكى إلى النبي ﷺ عثمان ولم يذكر النصّ اسم

(١) انظر ج٤ ص ٢٧٣، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

(٢) انظر ج٤ ص ٢٦٨، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - لابن عبد البر المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

أبي بكر وهما مشتركان بدرجة الرفض؟ وإذا كان عثمان قدّم اعتذاراً فإن أبا بكر لم يرجع كلمة وهو ما يزيد موقف عمر وابنته ذلاً وهواناً وهو أدعى إلى الشكوى إذا كان لها موجباً منطقياً أو شرعيّاً!!

والجواب عن هذه الإشكالات - بتقديري - يحمل مفتاح الحل لطريقة عرض عمر ابنته حفصة على النبي ﷺ والتي قضم منها الرواة ما يعيب أبا بكر وعمر وأبقوا لهما الفضائل التي لا موجب لها!

نعم يمكن لعمر وغيره أن يحمل همومه إلى مرجع الإسلام والإنسانية ليبحث عن الحل المناسبة عند النبي ﷺ إذا ضاقت به الحيل، ولكن المسألة هنا ليست عفوية إلى هذا الحدّ الساذج، بل خضعت لفحص وتأمل وقراءة دقيقة لمجريات الأحداث، وبعدها انطلق عمر إلى النبي ﷺ وهو يحمل في رأسه حلماً كبيراً بالاستيلاء على السلطة، وقد حفّزه وزاد من استفزازه تدبير أبي بكر بترتيب زواج عائشة لتحقيق نفس الهدف والذي استشاط منه غضباً فوق غضبه الناتج من رفض أبي بكر لابنته حفصة حين عرضها عليه فكان عمر مصراً على استحصال موافقة النبي ﷺ على الزواج من ابنته حفصة مهما بذل من ماء الوجه ومهما كلفته هذه المحاولة من تخضع وتذلل، فإن قبالها التفكير بالفوز بأكبر وأندر صفقة تاريخية يمكن لها أن تحفظ له ماء وجهه إذا ما أمسك بزمام الخلافة التي ستصنع له من الفضائل ما لا يخطر ببال أبي بكر وعثمان اللذان ترفعا عن قبول الزواج من ابنته حفصة، ومن تلك الفضائل التي صنعها له المختصون بعدما استولى على عرش السلطة ما وضع على لسان النبي ﷺ: (لو

كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب)[١] انتهى.

ومنها: (يا جبريل حدثني بفضائل عمر بن الخطاب فقال: لو حدثتك بفضائل عمر منذ ما لبث نوح في قومه ما نفدت فضائل عمر، وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر)[٢] انتهى.

وهنا ينبغي التمييز بين ما كان عليه عمر من ذل وهوان قبل الخلافة وما صار إليه حاله بعدها، إذ استجاب الوضاعون لبيان معاوية في وضع فضائل الخلفاء! ولم يلتفت الكذّاب الذي وضع هذا الحديث إلى نقطتين:

الأولى: إنَّ عُمْرَ النبي ﷺ لا يستوعب كل هذا الوقت لو تفرّغ للسماع فقط!

الثانية: يترتب على النبي ﷺ وعلى جبريل ترك العمل بآخر رسالات السماء لانشغالهما بتعداد فضائل عمر وهو حسنة من حسنات أبي بكر!

فكيف إذا تورط جبريل بالحديث عن فضائل أبي بكر؟!

أقول: لقد حرص عمر على مواجهة النبي ﷺ منفرداً لكيلا يشهد عليه شاهد يسمع الكلام فينقله للناس أو يلاحظ تقاسيم وجهه التي تعبر عن الذل والانكسار! فبدا عمر واجماً منكسراً أمام رسول

(١) انظر ص ٥١ و١١٧ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ط٣ لسنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م مطبعة المدني - القاهرة.

(٢) انظر ص ٥١ و١١٧ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ط٣ لسنة ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م مطبعة المدني - القاهرة.

الله ﷺ يحمل هموم الدنيا ويستنجد نبي الرحمة ﷺ لمساعدته في التخلّص من تلك الهموم ولا سيما المالية التي دعته إلى الصفق في الأسواق لكن تلك الصفقات إمّا كانت فاشلة لم ترفع عنه الحرج في تدبير لقمة العيش التي تغني عن الجوع، أو كان عمر بخيلاً إلى الدرجة التي يصفها أبو هريرة في أحاديثه التي رواها عنه البخاري، والتي تصف شدّة جوع أبي هريرة مما اضطره إلى التماس الطعام عند أبي بكر وعمر بحجة السؤال عن آيّات من القرآن الكريم وهو يتابع خطواته معهم بقصد الوصول إلى باب الدار لعله يحصل على ما يسدّ جوعه، والذي حصل إعراض أبي بكر وعمر عنه وسد الأبواب بوجهه، وهذه النصوص تكشف عن حالة من البخل أو العوز!

قال أبو هريرة: (كنت من أهل الصفّة فظللتُ صائماً فأمسيت وأنا أشتكي بطني، فانطلقت لأقضي حاجتي، فجئت وقد أُكِلَ الطعام، وكان أغنياء قريش يبعثون بالطعام لأهل الصُفّة، وقلت: إلى من أذهب؟ فقيل: اذهب إلى عمر بن الخطاب، فأتيته وهو يُسبح بعد الصلاة، فانتظرته فلمَّا انصرف دنوتُ منه، قلت: اقرئني! وما أريد إلّا الطعام! قال: فأقرأني آيات من سورة آل عمران، فلما بلغ أهله دخل وتركني على الباب، فأبطأ فقلت ينزع ثيابه! ثم يأمر لي بطعام! فلم أَرَ شيئاً!

وروى البخاري عنه قال: والله الذي لا إله إلّا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه من المسجد، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية عن كتاب الله وما سألته إلّا

(ليشبعني) فمرّ ولم يفعل ثم مرّ عمر بي فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلّا ليشبعني فلم يفعل - الحديث -.

وروى البخاري عن أبي هريرة قال: أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطا: فاستقرأته آية من كتاب الله، فدخل داره وفتحها علي فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع!)[١] انتهى.

فإذا علمنا بأن مسرح هذه الروايات التي يشكو فيها أو هريرة من شدة الجوع والعوز والفقر المدقع، قد كان في المدينة بعد السنة السابعة للهجرة باعتراف أبي هريرة بقوله: (أتيت رسول الله ﷺ وهو بخيبر بعدما افتتحها فقلت يا رسول الله اسهم لي، فكلّم المسلمين فأشركونا من سهامهم)[٢] انتهى.

والتي تحسنت أحوال المسلمين فيها عما كانوا يعانون قبل أن تفتح عليهم أبواب الرزق والعطاء، فعلينا أن نتصوّر الحالة المادية الصعبة التي واجهها المسلمون ومنهم عمر في السنوات الأولى للهجرة ولا سيما السنة الثالثة منها وهو التاريخ الذي ترمّلت فيه ابنته حفصة.

وهو نفس التاريخ الذي عرضها فيه على أي بكر وعثمان فرفضاها، ومن ثم عرضها على النبي ﷺ، وفي ضوء ذلك يأتي تحليلي لكيفية عرض عمر ابنته على النبي ﷺ.

---

(١) انظر ص ٣٢، شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو ريّه، ط١ لسنة ١٤١٤هـ منشورات الشريف الرضي.

(٢) انظر ص ١٩، شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو ريّه، ط١ لسنة ١٤١٤هـ منشورات الشريف الرضي.

ولهذا قلت: وقف عمر أمام النبي ﷺ واجماً منكسراً شاكياً إليه صعوبة ما يواجه من ضنك العيش، وزاد من همّه إعالة ابنته حفصة بعدما ترملت بسبب الحرب وقد ذكرها لصاحبيه أبي بكر وعثمان لكنهما أعرضا عنها دون تقدير لمشاعره، وأتوقع في هذه اللحظات أن تكون عيناه قد فاضت بالدمع لاستعطاف رسول الله ﷺ فقال في معرض توسله: أخشى إن عرضتها عليك هدية دون مقابل أن تردّها فيكون أثر ذلك في نفسي ونفس ابنتي أبلغ من أثر إعراض صاحبيَّ، فاجعلها يا رسول الله أَمَتَكَ ودعها تقوم على خدمتك وراحتك، ولا تحرمنا من قربك والتشرف بك!

فجاءت موافقة النبي ﷺ - بتقديري - جبراً للخواطر ولا علاقة لها برغبته المزعومة في الزواج من حفصة، لأن هذه الرغبة كانت هي الأخرى من جانب واحد، يشبه ملابسات زواجه ﷺ من عائشة، وهما - بتقديري - كانتا أهون أزواجه عليه بعدما اكتشف ﷺ أدوارهما الخطيرة في التآمر على مارية وباقي الزوجات اللاتي تمَّ خديعتهن من قبلهما كما حصل في تلقين أسماء وفاطمة ومُليكة، وهو ما يفسّر سبب ذمهما في القرآن أولاً، ويفسّر أيضاً سب طلاقهما دون غيرهما من نسائه ثانياً.

ولم يُسمَّ مهر لكل من عائشة وحفصة ومارية، فإذا علمنا بأن مارية كانت مقدّمة هدية دون مقابل من المقوقس ملك مصر مع ألف مثقال ذهب وهدايا أخرى سيكون واضحاً أن كلاً من أبي بكر وعمر قد قدّم ابنته هدية إلى النبي ﷺ دون مقابل، ولهذا لم أجد في المصادر التي اطّلعت عليها أي خبر عن تسمية مهر لعائشة وحفصة دون نساء النبي ﷺ غير ما أورد ابن سعد من تعبير يخالف المألوف وهو: (قال: فزوجها إياه على

متاع بيت قيمته خمسون أو نحو من خمسين فأتتها حاضنتها وهي تلعب مع الصبيان فأخذت بيدها فانطلقت بها إلى البيت فأصلحتها وأخذت معها حجاباً فأدخلتها على رسول الله ﷺ [١] انتهى.

وحدد ابن سعد في رواية أخرى العدد خمسين أو نحوه بالدراهم، ولكنه لم يقل أصدقها مبلغاً محدداً كما هو مألوف في مهور نسائه ﷺ!

والمألوف الذي قصدته هو تحديد مبلغ المهر (الصداق) المطلوب شرعاً تحديده أي تسميته سواء أكان نقداً أو عيناً كما كان يحدده النبي ﷺ لأزواجه مثلما جاء في طبقات ابن سعد:

١ - أُم حبيبة: (وقد أصدقها أربعمائة دينار)[٢] تبرعاً من النجاشي لظروفها الخاصة!

٢ - زينب بنت خزيمة: (أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشّاً)[٣] يعني خمسمائة درهم.

٣ - جويرية بنت الحارث: (تسع أواقٍ وهو مبلغ فكاكها من المكاتبة - يعني من الأسر)[٤].

---

(١) انظر ج١٠ ص ٦٠، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) انظر ج١٠ ص ٩٥ - ١٣٢، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٣) انظر ج١٠ ص ٩٥ - ١٣٢، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٤) انظر ج١٠ ص ٩٥ - ١٣٢، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

٤ - صفية بنت حيي بن أخطب: (أسلمت فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها)[١]

٥ - ريحانة من بني النضير: (قالت: أصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشّاً)[٢].

٦ - ميمونة بنت الحارث: (تزوجها رسول الله ﷺ على مهر خمسمائة درهم)[٣].

أما الرواية الأخرى التي نقلها ابن سعد على لسان عائشة والتي اضطرت فيها إلى انتزاع مهرها من جيب أبيها لكف الحرج عما لا يساويها مع باقي نساء النبي ﷺ فهي لا تستند إلى دليل منطقي يقبله العقل.

قالت: (ومكثنا أيّاماً في منزل أبي بكر، ثم قال أبو بكر: يا رسول الله ما يمنعك أن تبني بأهلك؟ قال رسول الله ﷺ : الصّداق. فأعطاه أبو بكر الصّداق اثنتي عشرة أوقية ونشّاً فبعث بها رسول الله ﷺ إلينا وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي هذا)[٤] انتهى.

وما يكذّب هذه الرواية أن عمر عائشة - حسب إدّعائها - صغير لا يغري أحد بالزواج منها وخاصة إذا كان لا يملك مهراً!

---

(١) انظر ج١٠ ص ٩٥ - ١٣٢، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) انظر ج١٠ ص ٩٥ - ١٣٢، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٣) انظر ج١٠ ص ٩٥ - ١٣٢، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٤) انظر ج١٠ ص ٦٣، طبقات لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

والسؤال: ما الذي اضطر النبي ﷺ إلى الزواج من طفلة ليس بمقدورها ترك لُعبِها من تماثيل الطين - كما تقول عائشة - ولا الصبيان والصبيّات ممن يشاركها اللعب وكلما جاء النبي ﷺ ليأخذ حاجته الزوجية منها ينقمعنّ (يهربن) من النبي ﷺ وبعد أخذ حاجته الجنسية منها يسربهنَّ إليها! أيُّ مهزلة هذه؟ وكيف ترضون ذلك لنبيّكم؟ وأي زوجة هذه التي يضطر معها النبي ﷺ إلى استدانة مهرها؟

وإذا أرادت عائشة أن تصوّر حالتها مثل حالة أم حبيبة التي خطبها النبي ﷺ وهي في أرض الحبشة تعاني الغربة والوحشة من وفاة زوجها هناك وفراق الأهل والعشير فبعث النبي ﷺ إلى النجاشي - وكان مصدّقاً ومؤمناً برسول الله ﷺ - فخطب عليه أم حبيبة وأصدقها النجاشي أربعمائة دينار تبرعاً من عنده إكراماً للنبي ﷺ، فإنّ حالة عائشة وأبيها فهي مختلفة جداً!

إذ إن حالها وعمرها لا يغري أحد بالزواج منها ولا سيما النبي ﷺ فهو غير مضطر للأخذ من أبي بكر، بقدر ما أرادت عائشة أن تصور منزلتها وكرم أبيها الذي منع عن أبي هريرة لقمة من الطعام كان بأمس الحاجة إليها مثلما أخبرنا أبو هريرة فيما مَرَّ[1].

أقول: إنَّ هذه الرواية تناقض سابقتها القائلة: إنَّ النبي ﷺ تزوج عائشة على بيت قيمته خمسون أو نحو خمسين! وهي كما ترى

(١) انظر ص ٣٢، شيخ المضيرة أبو هريرة لمحمود أبو ريّه، ط١ لسنة ١٤١٤هـ منشورات الشريف الرضي.

عبارة تجمع بين الأبهام والتشكيك بين الخمسين ونحوها، وهذا القول يؤكد صحة تحليلي في تقديمها هدية دون مقابل وقد ثُقُلَ على عائشة ألّا يكون لها مهراً كباقي أزواج النبي ﷺ فاختلقت هذه الرواية التي تنبّأ عن شعور بالحرج والنقص فاضطرت أن تضيف هذه الأكذوبة إلى باقي أكاذيبها المكشوفة!

وإلّا فلماذا ينقد النبي ﷺ مهراً لنسائه إلّا عائشة، ليقوم والدها بإعطاء النبي ﷺ خمسمائة درهم؟

ولا ندري تحت أي عنوان قدّم هذا المبلغ!

فإذا كان ترويجاً لسوق ابنته لكي يقبلها النبي ﷺ على علّاتها التي ذكرناها فهو يؤكد قولنا إن أبا بكر قدّم ابنته عائشة هدية إلى النبي ﷺ دون مقابل مع توسلاته التي وصفناها، إلّا أنَّ هذا مردود لما فيه من إغراء للنبي ﷺ ونحن نعلم أن قريشاً بجلالة قدرها لم تستطع إغراء النبي ﷺ لا بمال ولا بمنصب ولا بنساء، وإذا كان المبلغ المذكور صدقة، فالصدقة محرّمة على النبي ﷺ من أي كان!

فإن لم يصح كل ذلك، لم يبقَ إلّا أن تكون الرواية كاذبة وهو الأرجح لكفِّ الحرج عن عائشة في طريقة تقديمها كهدية دون مقابل مع توسلات أبيها التي وصفناها سابقاً.

أكدت الأرقام التي حملتها الروايات السابقة تحديد مهور نساء النبي ﷺ باستثناء عائشة وحفصة ومارية بسبب تقديمهن هدايا إلى النبي ﷺ بدون مقابل.

على أننا ينبغي أن نلاحظ الفرق بين طريقة تقديم مارية مقابل طريقة تقديم غريمتيها عائشة وحفصة.

ففي الوقت الذي تمَّ فيه تقديم مارية بطريقة تصف مكانتها الرفيعة في قومها وما صاحَبَها من مظاهر التكريم والاعتزاز، أن بعث المقوقس معها بأُختها سيرين لتأنس وحشتها في حِلِّها وترحالها مع خادم خاص من قومها يقوم على خدمتهما وراحتهما وخصّت خدماته بمارية بعدما تزوجها النبي ﷺ بالإضافة إلى ألف مثقال من الذهب وملابس فاخرة وعسل بنها المشهور وأفضل مركوبين للنبي ﷺ. وهذا يعزز من كرامة مارية ومنزلتها عند جميع المنصفين.

وبما أنها هدية فهي لم تكن من سبي لكي تكون أسيرة بحيث يتطلب تحرير رقبتها العتق من أسر العبودية كما حاول بعض الكتّاب تصوير ذلك، بل ثَقُلَ على بعضهم حتى ذكر اسمها مثلما تجاهلها السيوطي ومن أخرج عنهم في أسباب النزول في قوله:

(أسباب نزول الآية: أخرج الحاكم والنسائي بسند صحيح عن أنس: أنَّ رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراماً، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾[1] الآية.

أقول: بعد هذا الإقصاء المؤلم والتجهيل المقصود لمكانة مارية بسبب ما افترت عليها عائشة وحفصة وما تستر عليه القوم وما طمسوا من الحقائق التي تدين الأوائل فإنه ينبغي على المنصفين من المهتمّين بالتاريخ الإسلامي والحديث والتفسير وأسباب النزول، أن يرفعوا ما

(١) انظر ص ١٩٨، أسباب النزول للسيوطي ومعه أسباب النزول للواحدي، ط١ لسنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ دار ابن الهيثم - القاهرة.

فات من حيف وما لحق من ضرر بسمعة مارية وأن يعطوها مكانتها التي تستحقها إذ كانت في قومها من أفضل وأشرف النساء ويشير قول المقوقس إلى أنها كانت تنزل عندهم أفضل وأعز وأكرم المنازل وحلّت نفس المنزلة من الاعتزاز والتكريم والحب والاحترام عند النبي ﷺ وجاء زواجه منها ليجسد هذه المعاني الجميلة!

بينما كان زواج عائشة وحفصة ناتجاً عن مخطط مدروس يهدف إلى الاستيلاء على السلطة وكانت إحدى وسائل التنفيذ هي التوسل والخضوع والترجّي والاستعطاف بالصورة التي وصفت جانباً منها في طريقة عرض كل منهما على النبي ﷺ ولهذا كانت عائشة وحفصة تنظران بعين الحسد والغيرة إلى كل زوجة تتمتع بالوجاهة الاجتماعية فضلاً عن غيرتهما من الجمال الذي تفتقدانه!

بعد الاطّلاع على كيفية زواج عائشة وحفصة من النبي ﷺ سيكون واضحاً أمامنا سر ارتباطهما بتلك العلاقة الوثيقة التي ميّزتهما عن سائر أمهات المؤمنين وهو ما يوضح أسباب اشتراكهما معاً في التآمر والكذب على رسول الله ﷺ ولا سيما في موضوع الإفك الذي تضاربت فيه النقول واضطربت الروايات واختلفت الأسباب التي تقف وراء نزول الآيات الكريمة في سورة التحريم وخاصة الآية الرابعة التي تصف التبدّل والانحراف في سلوك عائشة وحفصة من خلال تظاهرهما على النبي ﷺ باعتراف عمر الذي أثبته ابن أبي الحديد على لسان ابن عباس. وأنا أرى وألمس وجود نفس الروابط والأسباب وراء نزول آيات سورة النور الخاصة بالإفك لوحدة الموضوع!

وأعتقد بأن الحديث الذي أسرّ النبي ﷺ إلى بعض أزواجه فيما أشارت إليه الآية الثالثة من سورة التحريم يتضمن تشخيصاً دقيقاً لأبعاد المؤامرة التي كانت تسعى إلى الاستيلاء على منصب السلطة واشتراك عائشة وحفصة وأبويهما في الإعداد لتلك المؤامرة وكان من فصولها طعن مارية لإسقاط الشرعية عن ابنها إبراهيم في تولي سلطة النبي ﷺ لكن المفسرين أخفوا الجانب المهم من الحقيقة وأظهروا الجانب الذي يحفظ سمعة المتآمرين.

قال الزمخشري: [(بعض أزواجه) حفصة والحديث الذي أسرَّ إليها حديث مارية وإمامة الشيخين (نبأت به) أفشته إلى عائشة وكان جزاؤه تطليقه إياها وقيل: المعرف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية)][1] انتهى.

إنَّ الأعذار التي تشبّثَ بها كتّاب مدرسة الخلفاء فيما أسرَّ النبي ﷺ إلى بعض أزواجه قاصرة عن توفير القناعة لمن يبحث عن الحقيقة لأنها واهية! والتي أوعزوها إلى أسباب تتعلق بالرغبات الجنسية، أو شربه للعسل! وهي كما أرى أسباب لا تستحق كل هذا الخلاف والهجران فيستعصي الحل حتى ينتهي بالطلاق! وأراها مخالفة للمنطق السليم لأنها تتعارض ومقام أشرف الخلق ومَن بُعِثَ رحمة للعالمين ومبشراً ونذيراً لكل الناس على امتداد الزمن! وهي تقدح بعدالته وتنال من نباهته وتطعن بشخصيته! فهل يعجز عن

(١) انظر ص ١١٢٠، تفسير الكشاف للزمخشري، ط١ لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت.

التفاهم والتعامل مع غِيرة اثنتين من زوجاته ويفشل في تنظيم علاقاته الزوجية ويخفق في تفضيل مارية عليهن دون مسوّغ يوفر لهنّ القناعة إذا كان هناك حقّاً مفاضلة بينهن؟ حاشاه من كل ذلك! وهل يقتضي العذر الأوهن المتصل بالعسل كل هذه الضجة الإعلامية حتى يتدخل الله لنصرة نبيه ﷺ على تظاهر عائشة وحفصة عليه بقولهما الكاذب في شم الرائحة الكريهة - حسب إدعائهما - من فمه الشريف؟

وهل يمكن لعاقل أن يبكي لمثل هذه الأسباب كما أخبرنا عمر عن بكاء الناس حول منبر رسول الله ﷺ؟ هل كل ذلك الصخب يتعلق بخلوته ﷺ أو شربه للعسل عند إحداهنّ؟ أم كان السرّ يتعلق بأخطر الأمور وأصعبها وهو أمر الخلافة الذي عبّر عنه الزمخشري بحديث الإمامة؟

لقد فوجئت حفصة مما سمعت من النبي ﷺ حينما كشف لها عن تفاصيل تآمرها هي وعائشة بالتوافق مع أبويهما، واستكتمها مهدداً إياها بالطلاق إن هي أفشت بما أخبرها من معلومات تتعلق بكيفية استدراجها وانتزاع الأدلّة التي تثبت إدانتها نتيجة التحقيق الذي أجراه معها!

لكنها كادت تفقد صوابها عندما تراءت أمامها أبعاد الكارثة التي ستحل بسمعة ومكانة أبيها وباقي المشاركين معها في حديث الإفك، فلم تستطع الصبر ولم تتحمل انتظار نتائج التحقيق الذي أجراه النبي ﷺ بحكمته البالغة والمسدّدة من الله جل ثناؤه ومنها تقديم الدليل المادي على براءة مارية من خلال الكشف عن عدم رجولة

مأبور الذي اتهموه زوراً وبهتاناً بفعل الزنا مع مارية لكي ينسبوا إبراهيم إليه!

لقد كانت لحظات انتظار حفصة لما استكتمها النبي ﷺ عصيبة فلم تستطع معها صبراً وضاقت عليها الأرض بما رحبت، فكان الصراع مع نفسها يتعالى ويحتدم بين أن تلتزم وصية النبي ﷺ فيما استكتمها، وبين أن تهرع إلى والدها وعائشة وأبيها وهم الخبراء بتحليل وتخريج الروايات ولديهم المهارة بالتعامل مع المواقف الحرجة والخروج منها بالطرق التي تحفظ ماء الوجوه!

وحسمت موقفها بالإسراع إلى عائشة لتفرغ ما في جعبتها وتلوذ بكيدها بعدما ضاقت بها الحيل أمام فراسة النبي ﷺ ومعرفته الدقيقة بأسباب وكيفية تدبير حديث الإفك، وفي ذلك دليل على أنّ عائشة هي التي تولت كبره ولهذا لجأت حفصة إليها في طلب الحل قبل أن يهبط جبريل حاملاً تقرير السماء الذي يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

أقول: لا يخفى على الباحث النابه وجود نفس الروابط والأسباب التي تقف وراء نزول هذه الآية والآيات التي أعقبتها في سورة النور والتي تربطها وحدة الموضوع مع الآيات النازلة في سورة التحريم ولا سيما الآية الثالثة والرابعة التي تقول: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ

(١) سورة النور، الآية: ١١.

فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾[1].

تشير الآية إلى أن حفصة لم تكن صادقة مع النبي ﷺ أولاً.

ولم يطمئن قلبها إلى تصديق النبي ﷺ فيما أسرَّ إليها ثانياً.

ولو كانت على عكس ما أعتقد لالتزمت وصيته ولم تفشِ ما استكتمها ودليل ذلك الآية الرابعة التي توعدت عائشة وحفصة ولم يأتِ هذا الوعيد إلّا في أعقاب ذنب عظيم وليس لفرحتها ببشارة تولي أبيها كما يزعم الواهمون.

وأكاد أقطع بأن حفصة وباقي أفراد العصبة لم يتوقعوا بل لم يخطر في بالهم أن الاتصالات السرية السريعة والمشاورات التي أجرتها مع عائشة وأبويهما وكل ما كانوا يخططون له، مكشوف أمام الساحة القدسية لعلم سيّد الأنبياء والمرسلين ﷺ ليس بفضل المراسلين السريين وإنما بفضل الله العليم الخبير.

ولهذا كانت مفاجأتها أكبر وصدمتها أعظم حين أنبأها النبي ﷺ بأنها أفشت السرَّ بعدما استكتمها ولم تلتزم وصيته وأنه ﷺ قد عَلِمَ بأدق التفاصيل التي تضمنتها اتصالاتها ومشاوراتها السرية السريعة مع باقي المشاركين بحديث الإفك، ولهذا قادتها الصدمة إلى التشكيك بمن تحدثت إليهم، فجاء سؤالها متحاملاً على مَن كشف للنبي ﷺ عن تلك الاتصالات والمعلومات التي كانت سرية للغاية.

(١) سورة التحريم، الآيتان: ٣، ٤.

وقد أعرض النبي ﷺ عن الخوض في تفاصيل اتهام مارية[١] لأنه متأكد من براءتها وهو ما انطوى عليه مقصد المفسرين لقوله تعالى: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ ولكنه كشف الأسباب التي أدّت إلى اصطناع حديث الإفك وأهمها السعي إلى منصب الخلافة وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾.

قال الزمخشري: (ليسَ الغرض بيان مَن المذاع إليه ومَن المعروف وإنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قبلها، وأنَّ رسول الله ﷺ بكرمه وحلمه لم يوجد منه إلّا الإعلام ببعضه وهو حديث الإمامة)[٢] انتهى.

أريد أن أسأل هنا: إذا كان المعرض عنه حديث مارية والمعرّف حديث الإمامة، وإذا كان السرّ الذي تضمنه حديث النبي ﷺ يتعلق ببشارة حفصة وعائشة بتولي أبويهما منصب الخلافة بعد النبي ﷺ كما يدّعي المدّعون وكما أخبر الزمخشري:

فما وجه السرية والكتمان الذي طلبه النبي ﷺ إذا كان ذلك من خيارات السماء؟

ولماذا لم يُعلن وتكون حجته ملزمة لجميع المسلمين؟

ولماذا اعتبر الزمخشري فرحة حفصة وإسراعها في بشارة عائشة جناية؟

---

(١) قال الزمخشري في كشّافه: (المعرّف حديث الإمامة والمعرض عنه حديث مارية) انظر ص ١١٢٠، الكشّاف، ط١ لسنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م دار المعرفة - بيروت.

(٢) المصدر السابق نفسه.

ثم ما وجه التظاهر من عائشة وحفصة على النبي ﷺ في حمل البشارة من فمه الشريف؟

وهل يحتمل المنطق السليم أن تكون هذه البشارة سبباً للوعيد من الله إن لم يتوبا؟

وأخيراً:

ألم تر أن في ذلك تناقض كبير ينطوي على أسرار دفينة أكبر منه؟

ألا يستحق ذلك النظر فيما روته الخاصة بعد الاطلاع على ما روته العامة؟

قال في كنز الدقائق: [وفي تفسير علي بن إبراهيم وأما قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾. فإن العامة روت أنها نزلت في عائشة وما رُميت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة. وأمّا الخاصة، فإنهم رووا أنّها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها به عائشة][1] انتهى.

وقال المحقق عبد الله شبّر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾[2] نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة من أنها حملت بإبراهيم من جريج القبطي][3] انتهى.

المقصود بالخاصة: هي رواية أهل البيت وما نقل عنهم خاصتهم وأتباعهم.

---

(١) انظر ج٩ ص ٢٣٩، تفسير كنز الدقائق لمحمد رضا المشهدي، ط١ لسنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الغدير - قم.

(٢) سورة النور، الآية: ١١.

(٣) انظر ص ٤٠٠، تفسير القرآن الكريم للعلامة المحقق عبد الله شبر، ط١ لسنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

والمقصود بالعامة: هي روايات كتّاب مدرسة الخلفاء وقد وجدتهما مخالفة للمنطق، السليم، إذ حمّلوا الروايات ما لا يحتمله الواقع التاريخي إلّا فيما ينال من سمعة ونباهة وشخصية النبي ﷺ ومن ذلك ما جاء في تفسيرهم لأسباب تحريمه مارية على نفسه لأنه خلا بها في يوم عائشة أو في يوم حفصة فأرضاها بذلك التحريم مع البشارة بتولي أبي بكر وعمر أمر الأمة (الخلافة) من بعد النبي ﷺ فأرضاها واستكتمها فلم تكتم عليه فطلقها واعتزل نساءه!

وجاء التناقض صارخاً في تكذيب ما عرّف النبي ﷺ من حديث الإمامة - حسب إدّعاء القوم - وإعراضه عن حديث مارية وهو أساس المشكلة التي ادّعوها سبباً لكل ذلك التحريم! فكيف يعرض عن حديث مارية وهو أساس المشكلة ويناقش حديث الإمامة، إن لم تكن هي المشكلة الأساسية التي أنتجت حديث الإفك الذي سبب طلاق عائشة وحفصة وتحريمهما عليه؟

والسؤال: هل من المنطق بل هل من الإنصاف أن يحرّم النبي ﷺ مارية على نفسه دون أن يكون لها ذنب في الاستجابة إلى رغبته الجنسية حيثما خلا بها سواء في يوم عائشة أو في يوم حفصة؟

وهل كانت حفصة وعائشة وصيّتان على إرادة النبي ﷺ وتصرفه الخاص مع أزواجه ولا سيما مارية لكي يحرّمها على نفسه بناءً على رغبتها لتكون مارية ضحية تصرف غير مسؤول وغير عادل إذ لا ذنب لها فيما حصل؟ وهل يمكن أن تُبتذل مارية كل هذا الابتذال وهي التي تمثّل شرف مصر وشرف المقوقس على حد سواء؟

وهل يمكن لمارية أن تهون على النبي ﷺ إلى هذا الحد وهو أعدل خلق الله؟

وكيف لها كل هذه المهانة والابتذال وقد جاء في علو مكانتها العظيمة في القبط ما يناسب قيمتها ومكانتها مع ملك مصر وشعبها من ناحية ومن ناحية أخرى مع مكانة ومنزلة أشرف الخلق ﷺ التي كان المقوقس يعرفها للنبي ﷺ ويقدّرها حق تقديرها؟ ولذلك اختار له أشرف فتاة من صعيد[١] مصر المعروف بشرف نسائه! أعتقد أن هذا تقوّل وافتراء والنبي ﷺ منه براء وحاشاه أن يكون عرضة للأهواء! وأُجِلُّ مقام مارية ومنزلتها من هذا الابتذال الذي يصوره الإعلام الأموي الغاشم، من أن النبي ﷺ كان يأخذ منها حاجته الزوجية بالتلصص والتختّل وكأنها لم يكن لها مقام معين ولا غرفة خاصة في البيت الذي تشعر فيه ويشعر معها زوجها النبي ﷺ بكرامة الأزواج الاعتياديين حتى يلجأ إلى مكان حفصة وغرفتها وعلى فراشها، مستغلاً فرصة ذهاب حفصة إلى بيت أبيها حسب إدّعاء المدّعين لتلك الأكذوبة المضطربة والمفضوحة والتي تعبّر عن ضحالة فكر وإيمان وأخلاقية واضعيها والمروجين لها والقابلين بها والموافقين على صحتها!

إن هذا هو منطق البُلهاء حقاً إن لم يبصروا الضرر اللاحق بسمعة النبي ﷺ قبل مارية! بل حتى العميان الذين حُرموا معاينة الواقع فإن

(١) ذكر ابن سعد في طبقاته ج١٠ ص ٢٠٣، ط١، مكتبة الخانجي بالقاهرة: (وكانت مارية من حَفْن من كورة أنصا أو أَنْصِنا من قرى الصعيد ولدى ياقوت: مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل).

بصائرهم ترفض أكاذيب الأفاكين الذين لا تهمهم سمعة النبي ﷺ!

ويكذب ذلك الإدّعاء ويفضح أكذوبته ما جاء على لسان عائشة: (قالت: ما غرتُ على امرأة إلّا دون ما غرتُ على مارية وذلك أنها كانت جميلة جعدة فأُعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان عامة الليل والنهار عندها حتى يعنى أو عناها فجزعت فحولها إلى العالية وكان يختلف إليها هناك فكان ذلك أشدُّ علينا)[1] انتهى.

أوضحت في موضع سابق أن سبب ذلك العناء والجزع يعود لغيرة وحسد عائشة وحفصة! فإذا كان النبي ﷺ في بيت مارية المستقل عامة الليل والنهار!

فما الذي اضطره لكي يأتي مارية في بيت حفصة ويقدّم كل هذه التنازلات لإرضائها واستكتامها وكأنه قد أجرم جرماً لا يغتفر؟

بعد الاطّلاع على أبعاد حديث الإفك وبعد الكشف عن الأعذار الواهية والأكاذيب الملفقة في أسباب نزول الآيات في سورة التحريم، وارتباطها الوثيق بآية الإفك والآيات التي بعدها في سورة النور، يمكنني رسم صورة واضحة عن حقيقة قضية حديث الإفك وكيفية حصوله! وفق القراءة الآتية:

إنَّ حقيقة القضية هي مشكلة أثارتها عائشة بعدما تأكد لها حمل مارية! وانعكس ذلك الحمل بشكل سلبي على مشاعر عائشة

(١) انظر ج٤ ص ٤٠٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

وصديقتها حفصة المتضامنة معها، لأن حمل مارية يخرج من خانة الحسد والغيرة النسوية بسبب ما حرمت منه عائشة وحفصة من الإنجاب ويدخل في ميدان المعترك السياسي، فقد جن جنون عائشة عندما حبلت مارية وتصاعدت وتيرة الغيرة والحسد لديها ولدى حفصة وهما يرقبان الحمل، ولعل ما يخفف من وطأة ذلك الحسد تمنياتهما لو أن مارية وضعت بنتاً لكيلا ينهار الطموح القائم على أمنية تولي أبويهما زمام السلطة بعد النبي ﷺ.

ووثق ابن سعد اشتداد غيرة عائشة وحفصة من ولادة إبراهيم إلّا أنه لم يذكر اسمهما تحديداً في الرواية الأولى بل جعله متضمناً مع نساء النبي ﷺ.

النصّ: (وولدت مارية لرسول الله ﷺ فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشّره، فوهب له عبداً، وغار نساء رسول الله ﷺ واشتدّ عليهن حين رزق منها الولد)[1] انتهى.

لكن ابن سعد يحدد في الرواية الثانية تمايز غيرة عائشة واشتداد ولادة إبراهيم عليها أكثر من أي امرأة أخرى!

وهو يفسر سبب تولي عائشة كبر حديث الإفك وجرأتها على الله ورسوله ﷺ فيما رمت به مارية.

النصّ: قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني ابن أبي سبرة عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن رسول الله ﷺ، حجب

(١) انظر ج١ ص ١١٢، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

مارية وكانت قد ثقلت على نساء النبي ﷺ، وغرف عليها ولا مثل عائشة.

قال محمد بن عمر: (وولدته في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة)[١] انتهى.

ولو قدّر لمارية أن تضع بنتاً بدل إبراهيم لهان الخطب في حياتها وربما لم تتعرض لمخطط الاغتيال الذي احتمله في موت إبراهيم! بل لم يُسمع بحديث الإفك أصلاً!

ولكن مارية وضعت إبراهيم وهو الابن الوحيد من بين تسع نسوة يعشنَ معه في وقت واحد باستثناء أم إبراهيم التي أسقطوها من العدد لمآرب خاصة! وأصبح إبراهيم حقيقة ماثلة أمام أنظار الطامعين بحطام الدنيا والطامحين إلى مناصها العالية، وأمسى شوكة تؤرّق عيون الأعداء!

وكلما مرّ يوم على نموّه وترعرعه بين أحضان النبي ﷺ ومحبيه ومريديه كلما ازداد أهمية ومكانة رفيعة تهفو إليه قلوب المؤمنين الصادقين المخلصين لله ورسوله وللإسلام.

قال ابن عبد البر عن ابن النبي ﷺ: (لو بقي لكان نبيّاً ولكن لم يبق لأن نبيّكم آخر الأنبياء ﷺ[٢] انتهى.

---

(١) انظر ج١ ص ١١٢، طبقات ابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) انظر ج١ ص ٤٧، الاستيعاب في هامش الإصابة لابن حجر، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مطبعة السعادة - مصر.

ومن يفهم طبيعة المجتمع آنذاك وتفضيل الذكر على الأنثى ولا سيما وريث النبوّة، سيدرك أهمية ولادة إبراهيم عندما تنفرد مارية بوضعه من دون تسع نساء إذا لم يُعتَرفُ لها بأنها الزوجة العاشرة مثلما ظلمها الآخرون[1] وسندرك تلك الأهمية بشكل حقيقي إذا علمنا بدرجة المحبة والاحترام والتكريم والتعظيم الذي حظيت به ذرية النبي ﷺ ولا سيما فاطمة الزهراء عليها السلام عند أبيها وعند المؤمنين والمؤمنات، فهي لم تتسيّد على نساء العالمين من خلال شرف أبيها الذي شرّفه به الله جل ثناؤه كأشرف الخلق وسيد ولد آدم، مثلما يكتسب أبناء الرؤساء وبناتهم الأهمية والمكانة والاحترام بين الناس لأسباب تعود إلى وجاهة آبائهم، وقد تكون مبنية على المصالح الدنيوية والتملق والرياء فيوصمون بما لا يستحقون من صفات قد تزول بزوال المنصب.

وإنما جاءت سيادتها وشرفها وكرامتها من نشأتها القائمة على ما تربّت عليه من القيم والمبادىء وما نهلته من علم وأدب إسلامي من أطهر وأصفى الموارد ومن أطيب وأرقى المشارب ومن أعلى القيم الروحية والأخلاقية الرفيعة التي يعجز عن فهمها وإدراكها طلاب الدنيا والساعين وراء مناصبها ومغرياتها الفانية، ولهذا جاءت مكانتها وقدسيتها - التي ربما يجهلها الجاهلون - كاستحقاق لما كانت عليه

(١) جاء في ج١٠ ص ٢١٠، طبقات ابن سعد: (وقبض رسول الله ﷺ عن تسع زوجات لا اختلاف فيهن وهنّ عائشة وحفصة وأم سلمة وأم حبيبة وسودة وزينب وميمونة وجويرية وصفية بنت حيي) انتهى. ولم يذكروا اسم مارية وهي الوحيدة التي أنجبت الولد للنبي ﷺ.

من قيم ومبادىء مشتقة ومستقاة من خلق أبيها الذي وصفه الخلاّق العظيم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[١].

ومن نفس تلك المدرسة العظيمة تخرّج سيّد شباب أهل الجنة وهما الحسن والحسين عليهما السلام ريحانتا المصطفى صلى الله عليه وآله واكتسبا مقعديهما في الجنة وفق نفس الاستحقاقات التي منحت أُمهما - الزهراء عليها السلام - مركزها ومقامها الرفيع عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وعباده المخلصين.

ومن نفس ذلك المعين القدسي نهل علي بن أبي طالب عليه السلام قبل أن يحتلم، ولمّا ارتوى كان في سلوكه وشجاعته وورعه وتقواه، تجسيداً لتلك المبادىء والمفاهيم العظيمة التي غرسها سيّد الأكوان في النفوس والقلوب القابلة والمستعدة للأخذ منه وقد بلغوا ما بلغوا من المقامات العلية التي يفهمها الناس على مستوى الشرف الدنيوي ولا يعلم مقاماتهم في شرف الآخرة إلّا الله جل ثناؤه، وحُرِمَ من ذلك النعيم من لم يتوكل على الله واتكل على نفسه وطموحاته الدنيوية فحصد بلوائها!

ورب سائل يسأل: لماذا لا نفترض لعائشة وحفصة نصيباً من أثر وتأثر بتلك الأخلاقيات العظيمة والتي لم يبخل بها رسول الله صلى الله عليه وآله على أعدائه! فكيف بزوجاته؟

وجوابي: قد أخذ من النبي صلى الله عليه وآله كل من عاشره نصيبه الذي يستحقه ويتناغم مع لطف الخالق فيما تسرُّ النفوس!

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

فكان لأم سلمة مواقفها المشرّفة والمخالفة لمواقف عائشة وحفصة، ولنا في معارضتها لخروج عائشة وتذكيرها بأقوال النبي ﷺ فيمن ستنبحها كلاب الحوأب مثلما فصّلت كتب التاريخ، دليل على استحقاقات نساء النبي ﷺ كل حسب نواياها وحسن تبعّلها.

وما ورد في آية التظاهر التي خصت عائشة وحفصة من بين نسائه ﷺ لدليل بيّن على عدم تأثرهما بأخلاقياته العظيمة وعدم ارتقائهما إلى المستوى الذي يستحقان فيه لطف الخالق جل ثناؤه بدل التهديد والوعيد الذي تضمنته الآية إن لم يتوبا، وهذا الجواب يعتمد على مضمون آية التظاهر.

وإذا استقام لنا هذا المعنى فعلينا أن نعلم بأن هذه الحسابات قد تجسدت وتبلورت في عقل وقلب عائشة وحفصة أكثر من غيرهما عندما أصبح إبراهيم حقيقة واقعة وبدأ ينمو وتنمو معه مكانته في قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين والمؤمنات وهم يتوقعون له مستقبلاً حافلاً بالخير والعطاء من خلال القيم الروحية والربانية التي سيغرسها في نفسه وعقله وقلبه، معلم الإنسانية الأول والقائد التربوي الأول وسيّد الأنبياء والمرسلين، ومثلما أصبحت ابنة النبي ﷺ سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة ومثلما أصبح ابناها الحسنان عليهما السلام سيّدي شباب أهل الجنة، فلا بدَّ أن يكون ابن أشرف الخلق السيّد وابن السيد الذي لا يعلو على مقامه وفضله وشرفه أبوا عائشة وحفصة الساعيان إلى المنصب الذي بات وجود إبراهيم يهدد بالاستيلاء عليه إذا ما كبر وكبرت مكانته واستحوذ على حب واحترام وإعجاب وتقديس الناس له وتقديمهم إياه على من سواه!

وإذا علمنا بأن عائشة وحفصة قد انفردتا من بين نساء النبي ﷺ بالتآمر والكذب على النبي ﷺ كما جاء في مضمون الآية الكريمة: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1] وقد عجز القوم في تفسيرها عن إيجاد المخارج التي تسعف موقف عائشة وحفصة فلم ولن يجدوا ما يبعد عنهما الممالأة والكذبَ على الله ورسوله ﷺ والغافلين من العباد.

ناهيك عن كذبهما فيما عوّذتا فاطمة وأسماء ومُليكة وتسببتا في طلاقهن كما مرَّ وإذا نظرنا في تاريخ عائشة السياسي، نجده مليئاً بحب الرئاسة والتسلط وما نتج عنه من قسوة أدّت إلى انتهاك الحرمات وسفك الدماء واتبعت أساليب أهل الدنيا من مناورات ودعايات كاذبة لكسب الناس إلى صالح حربها ضد إمام زمانها علي بن أبي طالب عليه السلام كما أوضحت لك جانباً من ذلك في قيادتها لحرب الجمل فيما مرّ! وقد نجح علي عليه السلام في حرب الجمل أن يعطي أجمل صورة في طاعة الله والتزام سنة رسوله ﷺ بينما أخفقت عائشة في سماع نداء كلاب الحوأب بعدما تجاهلت تحذيرات أم سلمة من نباح تلك الكلاب لها!

وهنا يبرز بوضوح الفرق الشاسع بين الأشخاص الذين تعاملوا مع النبي ﷺ بشكل مباشر ومدى تأثرهم بأخلاقيات رسول الله ﷺ والتزامهم وصاياه كل حسب درجة استحقاقه للطفِ الإلهي.

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

وأعتقد أن هذه المعلومات مؤثرة في رسم أبعاد المخطط الذي أريد إثباته وكان لعامل الغيرة والحسد النسوي دوره الفعّال في سلوك عائشة، ولهذا قلت:

لقد جن جنونها حينما علمت بحمل مارية وتفاقمت عندها مشاعر الإحباط حين أصبح إبراهيم حقيقة ماثلة أمام عينها ليؤكد لها عجزها عن الإتيان بالوليد الذي يحتل مقام النبوة ويشرّف أمه ويسرّ خاطرها على مستوى نساء النبي ﷺ وباقي نساء العالمين، ويمهّد لطموحها في نوال السلطة التي كانت تعشقها وقد ورثت عشقها عن أبيها الذي كان من أكبر طموحاته الاستيلاء على عرش السلطة بعد النبي ﷺ وقد حصل على مرامه بأسلوب الانقلاب الذي صوّره الإعلام الأموي بصورة الشورى والانتخاب!

فماذا تعمل عائشة لِهَدِّ كيان إبراهيم الذي بدأ بنيانه يترسخ في كل يوم يمر عليه بسلام؟

وهي صاحبة أكبر رصيد أفرده لها التاريخ من بين نساء النبي ﷺ في الكذب على الله ورسوله ﷺ والافتراء على الأبرياء ومخالفة وصايا رسول الله ﷺ بتحدٍّ سافر ولم يردعها رادع ولم يكفّها وعظ أم سلمة وتنبيه كلاب الحوأب على إرتكابها أعظم جرم بحق النبي ﷺ وانتهاك حرمات الله فيما صرخت بوجهها دلائل النبوة، إلّا أنها لم تلتفت إلى شيء من ذلك ومضت قُدماً في تنفيذ مآربها سعياً وراء سلطة الدنيا الفانية.

ومن يسمع ويقنع بأعذار المعتذرين عنها بأنها اجتهدت من أجل

الدين فأخطأت فهو واهم كل الوهم إذ لا اجتهاد في الكذب على الله ورسوله ﷺ فيما عوّذت النساء من النبي ﷺ لتحقيق هدف دنيوي أدّى إلى طلاقهنّ كما أطلعنا، وكذلك خروجها على إمام المتقين علي عليه السلام الذي أوضحنا أسبابه وتداعياته فيما مرّ[١] بما يزيل اللبس والغبش عن عيون الغافلين والمغفلين.

ونحن الآن أمام أخطر اتهام يطعن مارية وينسب ابنها إلى غير النبي ﷺ ولكن الطاعنين هنا مجهولون، واكتفى أنس بالقول: (فقال الناس في ذلك: علج يدخل على علجة)[٢].

والناس جمع دخله الألف واللام فيفيد الاستغراق!

فكيف إذن لا يُسمّى أحد منهم ولا يُعرف القائل من بينهم في مثل هذه القضية الخطيرة والحساسة؟

ونظرت في مجهولية الطاعنين فوجدت أن ذلك التجهيل لم يكن عفوياً ولم يكن من باب الصدفة أن يثبت كتّاب مدرسة الخلفاء أسماء الخائضين في حديث الإفك ضد عائشة بينما لم أجد عندهم اسماً ولا رسماً ولا أثراً للخائضين في حديث الإفك ضد مارية وهو أبلغ أثراً وأكبر خطراً لمكان ابن النبي ﷺ فيه!.

وأشرت إلى عائدية سبب هذا التجهيل إلى تولي المشاركين بحديث الإفك ضد مارية مقاليد السلطة بعد النبي ﷺ، فكان لدور إعلام السلطان أثره البالغ في طمس الحقائق التي تدين الخلفاء.

---

(١) راجع الملاحظة السادسة في أعقاب حديث الإفك (ص ٤٦ من هذا البحث).

(٢) انظر ج١٠ ص ٢٠٣، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

وذكرت رواية أهل البيت عليهم السلام أنَّ عائشة هي التي رمت مارية وأيدتها حفصة وعمر وأبو بكر.

وقدمت دليلاً من رواية ابن حجر في إصابته على قيام عمر اقتحام بيت مارية لقتل مأبور كجزء من الخطة التي تمَّ تدارسها بينهم بدون علم النبي صلى الله عليه وآله، وكان فعل عمر يحمل دليلاً على كونه أحد القائلين بحديث الإفك بل من الموقنين بصحته! وإلّا لما اقتحم بيت مارية وهو أحد بيوت النبي صلى الله عليه وآله دون إذنه ليشهر سيفه على رجل ضعيف أعزل وفيه مارية أم إبراهيم المسالمة والبريئة مما رمتها به عائشة.

فكان عمر يمثل الواجهة التنفيذية لذلك الاتهام الباطل. ولم يظهر أبو بكر على واجهة مسرح هذا الحدث، شأنه شأن المخرجين الذين يحركون الأشخاص ويحددون لهم الأدوار، لكنهم لا يظهرون على المسرح! وذكرتُ شواهد تاريخية على كيفية تسخير عمر وغيره من قبل أبي بكر في تنفيذ خططه التي تخدم طموحاته ومآربه دون أن يكون له ظهوراً مباشراً. وهكذا تمَّ التعتيم على حادثة الإفك ضد مارية وساعدت وسائل اعلام السلطان على إخفاء أسماء المذنبين وتسجيل الحادث ضد مجهولين!

ولكن مهما حرص الإعلام على إخفاء الحقائق والتعتيم عليها، تبقى هناك نقاط مضيئة تنير الطريق أمام الباحثين للتوصل إلى معرفة الحقيقة!

ومنها ما يتصل بحديث الإفك.

(وإلى ابن سعد يرجع الفضل الذي لا يُنسى في جمع أخبار

وروايات تحوي من التفاصيل المسهبة ما بدا له ولرفقاء عصره على غاية من الأهمية، باذلاً في جمعها جهداً مضنياً)[١].

ومن تلك الروايات المهمة جداً ما جمع في ذكر إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حتى بلغت (٤٥) رواية امتدت على مساحة عشر صفحات من الجزء الأول من كتابهِ القيّم الطبقات الكبير.

وقد أثبت كل ما يتعلق بولادة إبراهيم وتسميته ومدة حياته وموته وبكاء النبي ﷺ وأمه مارية وخالته سيرين وصلاة النبي ﷺ عليه ومكان دفنه وانكساف الشمس الذي صادف يوم وفاته وقول النبي ﷺ فيها وفي مستقبله لو عاش.

وجلب انتباهي الروايتان التاسعة والعاشرة في تسلسل ما جمع ابن سعد وهما بتقديري أول تأسيسٍ لحديث الإفك.

انظر النصّ: (عن عائشة قالت: لما وُلِد إبراهيم جاء رسول الله ﷺ إليَّ فقال: انظري إلى شَبَهِهِ بي، فقلت: ما أرى شبهاً! فقال رسول الله ﷺ: ألا تَرَينَ إلى بياضه ولحمه؟ فقلت: إنه مَن قُصِرَ عليه اللقاح أبيضّ وسمن)[٢] انتهى.

والرواية الأخرى مثلها إلّا أنها قالت: من سُقِيَ ألبان الضأن سمن وابيضّ.

---

(١) انظر ج١ ص ١٤، مقدمة الدكتور علي عمر لكتاب الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) انظر ج١ ص ١١٤، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

أقول: علينا أن نلاحظ درجة الجرأة والاحتقان لدى عائشة فيما يعارض الحقيقة أولاً، وما يعارض رأي النبي ﷺ وتقريره ثانياً!

فليسَ من شك إنه يشبهه بدرجة من الدرجات ولا سيما بعد الإشارة إلى لحمه وبياضه، إذ إنَّ إنكار شبهه يكذّب رأي النبي ﷺ ولا يقيم له وزناً، ولهذا أعتقد أن المنطق السليم يشير إلى أن حديث الإفك قد وُلِدَ بعد ولادة إبراهيم وقبل وفاته، خلافاً لما يقال بعد وفاته. حيث تمَّ التأكد من كونه ولداً وليس بنتاً وهو ما يجعل مبررات الاحتمالين صحيحة.

الأول: اتهام مارية بالزنا لإسقاط شرعيته.

الثاني: تدبير اغتياله بالسم بعد فشل الاتهام بانكشاف حالة مأبور.

وليس هناك أسهل من وضع السم مع ألبان الضأن خلال مدة إرضاعه لدى أم سيف وهي امرأة قين بالمدينة أو أُم بُرْدة بنت المنذر من نساء الأنصار[١].

أقول: من هنا بدأت أول فكرة في رأس عائشة بعدما هان عليها تكذيب النبي ﷺ وإنكار شبه ابنه به، فكان تأسيساً لإنكار نسبه إلى النبي ﷺ وربطه بمأبور وهو الرجل الوحيد الذي كان يدخل على مارية لخدمتها.

والروايات الثمان السابقة لرواية عائشة لم تذكر أي تشكيك ومن

(١) انظر ج١ ص ١١٣، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

أي كان بنسب إبراهيم، لا من الناس الذين ذكرهم أنس بن مالك ولا من النبي ﷺ ولا من جبريل!

بمعنى لا يوجد مشكك أو طاعن أو منكر لشبه إبراهيم بالنبي ﷺ سوى عائشة!

وعندما فحصت باقي الروايات التي أوردها ابن سعد لم أجد فيها أي إشارة تخص حادث وحديث الإفك سوى الخبر المبهم الذي أورده أنس، وعند ربطه بتشكيك وطعن عائشة في إعلان رأيها بعدم الشبه دون تردد أو مراعاة لمقام النبي ﷺ أجد أن بطلة رواية أنس القائلة: (فقال الناس في ذلك علج يدخل على علجة)[1] هي عائشة صاحبة الخبرة والتجربة السابقة في الجرأة على الله ورسوله ﷺ وصاحبة الإمكانيات المشهودة في توفير القناعات لدى المستمعين لأقوالها كما أقنعت فاطمة وأسماء ومُليكة من قبل بالتعوذ من النبي ﷺ لضمان حَظوتهنّ عنده، وكما أقنعت طلحة والزبير والآلاف من اتباع البهيمة التي ركبتها في محاربة إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما عرف بحرب الجمل!

فكان ما كان مما لستُ أذكره

فطب نفساً ولا تسأل عن الخبر

فقد لعبت عائشة دوراً مهماً ومؤثراً في استمالة أبيها وعمر وصديقتها حفصة بعد توفير القناعة لهم بأن النبي ﷺ لم يعد لديه

(١) انظر ج١٠ ص ٢٠٣، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

القدرة على الإنجاب بعد وفاة خديجة، واستدلت على تعزيز رأيها بعدم إنجاب تسع نساء عنده من غير مارية، ومنهن أم سلمة المجرّبة بالإنجاب!

وأكدت سلامتها البدنية وسلامة حفصة التي أومأت برأسها لتأييد عائشة كما أكدت سلامة باقي النساء الحرائر.

وسألتهما: لماذا لم تنجب إحداهنّ من النبي ﷺ ولداً أو بنتاً؟

وهمست بأُذنِ عمر وأبيها بجواب سؤالها: إن النساء التسع محصنات ولم يدخل عليهن أحد بعد الحجاب. إلّا مارية (العلجة) يدخل عليها (العلج) مأبور.

وقد أثبت ابن سعد تمايز غيرة عائشة من مارية واشتدت غيرتها حين أنجبت إبراهيم.

النصّ الأول: (فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشّره، فوهب له عبداً، وغارَ نساء رسول الله ﷺ واشتدّ عليهن حين رزق منها الولد)[1] انتهى.

أقول: ليس من الإنصاف أن تُشرَك جميع نساء النبي ﷺ بهذا الوصف وإنما أُريدَ التغطية على عائشة وحفصة وهما الثنائي المتآلف على الغيرة والبغض والحسد أكثر من غيرهما وسنجد مصداق ذلك في الرواية الآتية:

النصّ الثاني: (عن ابن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر أن

(١) انظر ج١ ص ١١٢، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

رسول الله ﷺ حجب مارية وكانت قد ثقلت على نساء النبي ﷺ وغِرنَ عليها ولا مثل عائشة)[١] انتهى.

وقد أكد النصّ القرآني تظاهر عائشة وحفصة على النبي ﷺ دون نسائه ولذلك تمكنت عائشة من توفير القناعة لمستمعيها بأن الخادم مأبور مسموح له الدخول على مارية نهاراً جهاراً ويختلي بها أنى شاء وكيفما يحلو له، وأخبرتهم أنها واجهت النبي ﷺ بعدم شبه ابنه به خلافاً لما يرى النبي ﷺ.

وأعتقد أنها هي التي روّجت ما قالته عن أهل الإفك فيما نقل مرتضى العسكري قالت: (فقال أهل الإفك والزور من حاجته إلى الولد أدعى ولد غيره)[٢] انتهى.

بدليل أن هذا الاتهام ورد على لسانها ولم تذكر هي ولا غيرها اسماً ولا رسماً لأهل الإفك.

وأشارت عائشة إلى خطورة دور إبراهيم فيما لو أتيحت له فرصة الحياة فإنه سيصبح الآمر الناهي بعد أبيه ﷺ والمتحكّم برقابنا ورقابكم وأنتم أحق منه بالحكم والخلافة فانظروا ماذا تأمرون!

ولهذا جاء اختراط عمر لسيفه وهرولته إلى بيت مارية في العالية ليضرب عنق مأبور ليمثل واحداً من الخيارات التي تمَّ بحثها في ذلك المؤتمر الذي غادره عمر وهو واثق من صحة تحليل عائشة وإدّعائها

---

(١) انظر ج١ ص ١١٢، الطبقات الكبير لابن سعد، ط١ لسنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م مكتبة الخانجي - القاهرة.

(٢) انظر ج٢ ص ١٨٢، أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري، ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.

ولذلك كانت صدمته عنيفة عندما وجد مأبوراً مجبوباً لا يساوي الرجال!

وهو ما يفسّر تهرّبه من مواجهة النبي ﷺ بعد هذه الصدمة، حتى قام علي عليه السلام بتقديم الدليل المادي على افترائهم. ويُفنّد ما اعتذر به ابن حجر في تفسيره لسبب تأخر عمر عن إبلاغ النبي ﷺ عن حالة مأبور والتي من المفترض أن يطير عمر فَرِحاً ومسرعاً لأخبار النبي ﷺ لا أن يتلكّأ.

أما اعتذار ابن حجر الآخر في مناقشة أسباب حالة مأبور وأنه رضي لمكانه من مارية أن يجب نفسه فقطع ما بين رجليه[1] فهو مردود ولا موجب له لتعارضه مع المنطق السليم لأنه لم يقطع إظفراً ولا خصلة شعر بل آلة حساسة يؤدي قطعها إلى فقدان رجولته إن لم يفقد حياته بسبب نزيف الدم فلا يمكن لرجل سوى أن يقوم بمثل هذا العمل الطوعي للسبب البسيط الذي ذكره، ولو شاع ذلك عنه لكفَّ عمر عن السعي في قتله، ولما تسرّع حتى يكتشف بنفسه أنه مجبوب!

لقد أحكمت عائشة طوق التأثير وبرعت في إقناع حفصة وتوحدت كلمتهما في إقناع أبويهما والتأثير فيهما باقتراح التدابير التي ينبغي اتخاذها في طريق الوصول إلى السلطة وأهمها إسقاط الشرعية عن إبراهيم.

ولم يأتِ إجراء عمر دون تخطيط مسبق باقتحام بيت النبي ﷺ

(١) انظر ج٣ ص ٣٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨، مطبعة السعادة، مصر.

خلافاً لرغبة النبي ﷺ ودون علمه وخلافاً لقول الخالق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾[1] وإنما جاء وفق تخطيط مسبق يقتضي أن يذهب عمر من جهته إلى بيت مارية بعد التأكد من وجود مأبور فيه - أي ليس خارجاً عنه لجلب الماء أو الحطب - فيضرب عنقه ويحسم الأمر.

ويذهب أبو بكر من جهته إلى النبي ﷺ لإطلاعه على تفاصيل الاتهام وإن حرصهم على سمعته دفعهم إلى هذا الإجراء.

وهو ما حاول تصويره ابن حجر في محاورة عمر مع النبي ﷺ قبل التنفيذ بهدف التخفيف من خطورة الإجراء الذي قام به عمر دون علم النبي ﷺ ولكي يعطي تصوّر بأن النبي ﷺ هو الآخر مشكك في نسب ابنه إليه، وجاءت هذه الرواية على لسان عبد الله بن عمر الذي أدرك هو الآخر خطورة ما أقدم عليه أبوه من فعل شنيع يضرّ بسمعته لو اطلع عليه المسلمون.

انظر النصّ: (عن عبد الله بن عمر قال: دخل رسول الله ﷺ على القبطية أم ولده إبراهيم فوجد عندها نسيباً لها قدم معها من مصر وكان كثيراً ما يدخل عليها فوقع في نفسه شيء فرجع فلقيه عمر فعرف ذلك في وجهه فسأله فأخبره فأخذ عمر السيف ثم دخل على مارية وقريبها عندها فأهوى بالسيف فلما رأى ذلك كشف عن نفسه وكان مجبوباً ليس بين رجليه شيء فلما رآه عمر رجع)[2] انتهى.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.

(٢) انظر ج٣ ص ٣٣٥، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط١ لسنة ١٣٢٨، مطبعة السعادة، مصر.

أقول: لم يفلح ابن حجر ومن قبله ابن عمر في إسعاف موقف عمر في هذه الرواية لتبرير هجومه المباغت لبيت النبي ﷺ دون علمه ودون إذنه! وذلك لأن النبي ﷺ لم يأمر عمر باقتحام بيته ولم يكلفه بقتل مأبور أولاً، ولم يفصح عمر عن نيته باقتحام البيت ولم يستأذن النبي ﷺ في دخول بيته ثانياً.

والحقيقة أن النبي ﷺ لم يكلف عمر بقتل مأبور لأنه كان متأكداً من براءة مارية ومأبور وهو أعلم بحالتهما مما يأفكون، فقد أرسل عليّاً عليه السلام لقتل مأبور وهو إجراء محسوب بدقة لا مجال فيه لقصد القتل بأي حال من الأحوال وإنما لإثبات وإشهار براءته وبراءة مارية والأهم منهما براءة إبراهيم من ذلك الاتهام الظالم وتقديم الدليل على سوء ظنهم بالنبي ﷺ وابنه وزوجته وخادمها!

وبعدما انكشف أمر الأفاكين إثرَ ظهور الدليل المادي الذي كان خارجاً عن توقعاتهم، جاء توسلهم وتخضعهم في طلب العفو والمغفرة من النبي ﷺ، ولكن هذا الإفك البيّن بالدليل المادي المحسوس لم يكن خاصاً بالنبي ﷺ لوحده فيما حمل من ظلم وجور وزور وبهتان وإهانة ليس لشخصه الكريم فحسب وإنما شمل معه مارية ومأبور وابن النبي ﷺ ناهيك عن حق الله فيما يغضبه من الكذب والافتراء على الله ورسوله ﷺ والأبرياء من عباده الغافلين!!

ولهذا فإن مسألة العفو والمغفرة كانت خارجة عن حدود مسؤولية النبي ﷺ وكان البَتُّ فيها لله جلّ ثناؤه فأنزل الآيات البيّنات في سورة النور وفي سورة التحريم لتواسي النبي ﷺ وتخفف عنه وعن

مارية ومأبور الحرج الكبير الذي أصابهم وما نتج عنه من ألم وأذى يهزّ النفوس ويجرح المشاعر وقد وصف الله ذلك بالخير لهم فيما تحملوا وصبّروا وما نالوا من أجر وثواب يتناسب مع حجم ذلك الحرج والألم والعذاب الذي لا يقدره إلّا الله جل ثناؤه!

وفي ذات الوقت حمّلت الآيات الأفاكين لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم وتوعدت عائشة التي تولت كبره بالعذاب العظيم.





النتائج والملاحظات التي أسفر عنها البحث



أوصلني البحث في حديث الإفك إلى نتيجة مؤكدة وهي أن عائشة هي التي رمت مارية بالزنا، ووجدت الدوافع المهمة التي حرّكتها هي الغيرة والحسد من جهة، وخوفها على ضياع الخلافة من أبيها من جهة أخرى.

ووجدت أنها كذبت في تغيير وجه الحقيقة وادعت لنفسها الآيات التي برّأت مارية مما رمتها هي به، بعدما قيل ما قيل بشأنها وعلاقتها بابن عمها طلحة بعد فشلها في حرب الجمل مثلما أوضحت سابقاً.

ووجدت أنها كذبت على النساء البريئات من خلال تعويذهن من النبي ﷺ!

وهو بنفس الوقت كذب وافتراء على الله ورسوله ﷺ.

ولاحظت كما لاحظ الباحثون قبلي كثرة أحاديثها التي فاقت مجموع أحاديث نساء النبي ﷺ والخلفاء الأوائل!

ولاحظت إقبال المؤرخين وأصحاب السير والحديث على تدوين أحاديثها وتناقلها دون النظر إلى مضامينها ولم يضيرهم فحواها حتى لو تضمنت المساس بالمقدسات وخالفت البديهيات وعارضت المنطق وجانبت الصواب!

وقادني ذلك إلى التشكيك بنوايا بعض الكتّاب وإلتواء مقاصدهم في إثبات وتخريج الروايات التي تسيء إلى الإسلام وشخص الرسول الكريم ﷺ وأهل بيته وأصحابه المنتجبين، حيث وجدت ولمست الأسباب المقنعة بأن هذا التوجّه لم تتحكم به العفوية وحسن المقاصد ولا الغفلة والغباء بقدر ما لعبت به أحكام الهوى والتخندق الطائفي انتصاراً لأشخاصٍ وعذلاً وخذلاناً لآخرين!

وكانت لي أكثر من ملاحظة وأكثر من وقفة على المرويات التي لا يحتملها المنطق ولا يقبلها العقل ولا يوافقها الواقع التاريخي ولا الشاهد الموضوعي. وساعدت أكاذيب عائشة أعداء الدين وأعداء الإسلام حيث وجدوا فيها ضالتهم المنشودة في مرتع خصب يوفر لهم المنافذ المناسبة لتوجيه أكبر وأقسى الطعون لشخص الرسول الكريم ﷺ والتشكيك بآخر رسالات السماء وتسفيه أحكام القرآن بهدف القضاء على الثقافة الإسلامية والترويج لثقافات أخرى. ومن ذلك ما لاحظته في زماننا من توجه صليبي غربي غاشم تحت مسميات الحرية والديمقراطية يهدف إلى إلغاء الإسلام ويروج للمسيحية محتجاً بأحاديث عائشة وغيرها.

وهذا مثال على بعض ما تخفي الصدور!

في مساء يوم ٢٧/٦/٢٠٠٨ قدمت محطة تلفاز الحياة الفضائية برنامجاً بعنوان (حوار الحق) وتمّت إعادته أكثر من مرة.

قدّمته امرأة تلبس الصليب على صدرها، وأمامها رجل مسيحي موتور يضع على رأسه قبعة سوداء ونظم لحيته على وجهه الشيطاني

بما يشير إلى كونه داعية مسيحي يروج للمسيحية على حساب الإسلام وكان يتحدّث باللهجة المصرية الدارجة. وقد تطاول على شخص الرسول الكريم ﷺ تطاولاً وقحاً سافراً.

وتضامنت معه مقدمة البرنامج فحمدت الله لأنها ليست مسلمة!

وقد احتجّ بروايات عائشة وغيرها مما أثبته كتّاب مدرسة الخلفاء، واعتمد في حججه على الروايات الواردة في صحيح البخاري وفتح الباري لابن حجر ومسند أحمد بن حنبل ومنهاج السنة لابن تيمية والسيرة الحلبية وتاريخ ابن كثير وغيرها من كتب القوم فيما يعزز دليله من المرويات الخرافية والأساطير التي أثبتها كتّاب مدرسة الخلفاء ومنها أسطورة الآيات الشيطانية التي اتخذ منها المتحدث دليلاً على أن القرآن إملاءات شيطانية بعد أن صوّر تلك المرويات الخرافية على أنها حقائق مفروغ منها لأنها وردت على لسان عائشة وأثبتها البخاري في صحيحه الذي يُعَدّ من أصح الكتب بعد القرآن بنظر الكثير من الناس!

وهي بالحقيقة ليست أكثر من أكاذيب وأساطير خرافية لا علاقة لها بالواقع ومنها ما جاء في صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي - الحديث الثالث:

[عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءَه الملك، فقال: اقْرَأ، قال: ما أنا بقارىء، قال: فأخذني فغطَّني[1] حتى بلغَ مني

(١) غطّهُ غطّاً وغطيطاً: نخر وتردّد نَفَسه صاعداً إلى حلقه يسمعه من حوله - انظر ج٤ ص ٥٠ أقرب الموارد.

الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقْرأ، قلتُ: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطَّني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني، فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾[1] انتهى.

أقول: يحق للمتفيقه النصراني وغيره من أعداء الإسلام أن يتساءل: ما بال جبريل وهذا الإصرار على انتزاع القراءة من النبي ﷺ في الوقت الذي يفترض فيه أن يكون هو القارىء للآيات التي جاء بها من رب العالمين ليبلغ بها النبي ﷺ ؟ أليس هذا هو التناقض بعينه؟

ونحن نتساءل أيضاً: ما الذي أوجب على جبريل أن يرعب النبي ﷺ في أول لقاء معه إذا كان حقاً مبعوثاً من الله في الوقت الذي تتطلب فيه الطمأنينة والهدوء؟ وما الداعي لاستخدام القوة مع نبي مسالم حتى يأخذ بخناقه إلى أن يقترب من الإغماء ثم يتركه ليلتقط أنفاسه فيعاود الإمساك بخناقه مرة ثانية وثالثة مستفرداً به في ذلك الغار الموحش دون أن يحصل على ما يريد الملك من القراءة، حتى يبدأ هو بالقراءة فيقول: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾؟

أقول: إنني أعتقد أن هذه الرواية تمَّ وضعها بشكل دقيق لتصف سلوك الشياطين وليس سلوك جبريل عليه السلام الذي أرسله الله جل ثناؤه

---

(١) انظر ج١ ص ١٠، كتاب بدء الوحي في صحيح البخاري، ط١ لسنة ٢٠٠٤م دار الآفاق العربية - القاهرة، سورة العلق، الآيات: ١ - ٣.

ليبلّغ النبي ﷺ آخر رسالات السماء وهو يعلم أنه أحب الخلق إلى الله وأنه أشرف الأنبياء والمرسلين وأن تبليغ رسالات السماء لا يمكن لها أن تتم بالخناق والرعب الذي تصفه الأكذوبة التي تمَّ إثباتها في صحيح البخاري الذي نشك في صحته استناداً إلى ما حوى من خرافات وأساطير وأكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان، ومنها هذه الرواية التي وجدتُ فيها نفساً نصرانياً قديماً ساهم في وضعها لكي يعطي الفضيلة لورقة بن نوفل الذي وصفته الرواية: (كان امرءاً تنصَّرَ في الجاهلية وكان يكتب الكتاب بالعبرانية فيكتب الإنجيل بالعبرانية)[١] انتهى.

وتربط الرواية فتور الوحي بموت ورقة ولهذا أعتقد أنها وضعت يوم وضعت لتكون محل شاهد في المستقبل حين تحين الظروف التي تساعد على مهاجمة الإسلام وتكذيب النبي ﷺ، فتتخذ من هذه الرواية دليلاً على أن الشياطين هم الذين ألقوا بإملاءاتهم على النبي ﷺ وليس جبريل عليه السلام فتدبّر!؟

قال المتحدّث: وهو الذي ظهر لمحمد في الغار وأكل الطعم وظهر بدين القتل والجنس والطعام.

وجوابي على هذا: كان من سلسلة الرواة الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة، وقد مرّ وصف الزهري وعروة بن الزبير بالنفاق، فراجع الأسباب الموجبة لذلك الوصف[٢].

---

(١) انظر ج١ ص ١٠، كتاب بدء الوحي في صحيح البخاري، ط١ لسنة ٢٠٠٤م دار الآفاق العربية - القاهرة.

(٢) راجع الملاحظة الثانية في صفحة (٢١) من هذا البحث.

فإن تعداهما الكذب قبل أن يصيب غيرهما من سلسلة الرواة فقد ثبت لي كذب عائشة على الله ورسوله ﷺ في أكثر من مناسبة!

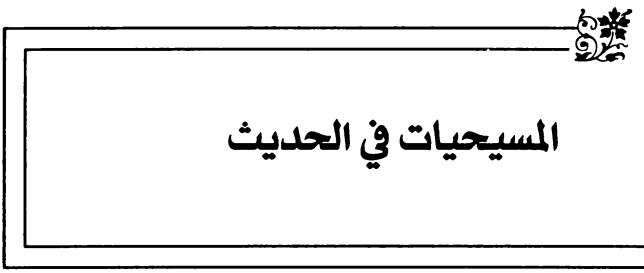
أما الجواب الثاني:

فقد أثبته السيد مرتضى العسكري في بحوثه القيمة التي تكشف عن زيف هذه الأسطورة بتحقيق علمي رصين[١] كما كشف عن زيف أساطير أخرى مثل أسطورة عبد الله بن سبأ، وكشف عن مائة وخمسين اسم مزيف من أسماء لصحابة لا وجود لهم على أرض الواقع وأولهم القعقاع بن عمرو التميمي.

ونتمنى على الباحثين عن الحقيقة ولا سيما المشككين أن ينظروا في مثل هذه البحوث القيمة وما يماثلها من البحوث التي تمحّص سنة رسول الله ﷺ وسيرته وأن يتحققوا مما لحق بها من إفك الأفاكين، قبل أن يقطعوا بصحة المرويات الكاذبة والأساطير الخرافية التي سطرتها مخيلات الكذابين، والتي جاءت متوافقة ومتطابقة مع غايات أعداء الديانات السماوية ولا سيما الإسلامية، ولا يستخفنّك الجهل كما استخف هذا النصراني النكرة!؟



(١) انظر ج٢ ص ٢٤٧، روايات بدء نزول الوحي - أحاديث أم المؤمنين عائشة - ط١ لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م المجمع العلمي الإسلامي.



المسيحيات في الحديث

قال محمود أبو ريّة في أضوائه: (إذا كانت الإسرائيليات قد شوهت بهاء الدين الإسلامي بمفترياتها، فإن المسيحيات كان لها كذلك نصيب مما أصاب هذا الدين، وأول من تولى كبر هذه المسيحيات هو تميم بن أوس الداري وهو من نصارى اليمن، وكان مقامه مع قبيلته في الشام في ناحية فلسطين، وفد على النبي ﷺ بعد غزوة تبوك سنة ٩هـ وأسلم قال أبو نعيم: كان راهب أهل عصره، وعابد أهل فلسطين وهو أول من أسرج السراج وأول من قصّ ولم يزل بالمدينة حتى تحوّل إلى الشام بعد قتل عثمان وكان يحدّث بروايات وقصص عن الجساسة والدجال، وإبليس، وملك الموت والجنة والنار، فملأ الأرض بهذه الروايات كما فعل زميلاه من قبل كعب الأحبار ووهب بن منبه، ولا يعجب القارىء من أن يدخل في الإسلام المسيحيات بعد أن دخل فيه إسرائيليات، فإنه قد شيب بأشياء من كل دين ومن كل نحلة ولكن المجال لا يتسع لبيان كل ما دخل عليه من المِلَل والنحل الأخرى لأن ذلك يحتاج إلى مؤلف برأسه)[1] انتهى.

---

(١) انظر ص ١٨١ - ١٨٢، أضواء على السُّنة المحمدية لمحمود أبو ريّة، ط١ لسنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧/ دار الكتاب الإسلامي.

الخاتمة

أنا أُقدّر ثقل وأهمية وخطورة المعلومات التي سقتها، وأثرها في نفس وعقل من يطالعها أول مرة ولا سيما المسلمين الطيبين الذين يحسنون الظن بأمُ المؤمنين عائشة!

وأُقدّر مبلغ الإحباط وخيبة الأمل لدى مَن ألِفَ وتعوّد تعظيم وتقديس بل وتأليه الخلفاء، وأتحمّل لوحدي مسؤولية تحليلاتي أمام الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، في ضوء ما فهمت من مصادر التراث الإسلامي، وفي حدود ما اطّلعت عليه من كتب التاريخ والسير والرجال والتفسير، ومَن يساوره الشك في صحة ودقة الأخبار والروايات التي نقلتها فليراجع المصادر التي اعتمدتها وحرصت على إثبات رقم الصفحة والمجلد والمؤلف ودار النشر مع عدد الطبعة وتاريخها في عُقب كل خبر أو رواية ذكرتها باستثناء المصادر التي خلت من اسم دار النشر وسنة الطبع مع الإشارة إلى ذلك في الهوامش، وإذا بلغ بك الارتياب درجة الطعن في صحة المصادر وهي السبيل الذي لا غنى عنه فإن القرآن أبلغ حجة من جميع مصادر التاريخ، وقد ذكر القرآن تظاهر عائشة وحفصة على النبي ﷺ، أي تآمرتا عليه بالتفاصيل التي اطلعتك على بعضِ جوانبها!

فارجعْ إلى تفاسير القرآن وافحصْ مختلف الأقوال بتجرد عن

الميول الطائفية، وتحررْ عن القيود المذهبية التي ورثناها عن الآباء!

ستجد أنها تخفي خطوطاً لمؤامرة انقلابية كبرى، استطاع إعلام السلطان أن يمرّرها على البسطاء كل هذه المدة من الزمن!

وقد آن الأوان لمعرفة حقائق التاريخ مهما كان طعمها مرّاً...

وبعدها عليك أن تعرف التكليف الشرعي فيمن أمر الله ورسوله ﷺ أن تأخذ عنهم أمر دينك قبل فوات الأوان.

أقول في الختام:

لقد حاولتُ جهد الإمكان التمسّك بعصا التريّث حذر العثار الذي لا ينبغي لعاقل أن يأمن منه، وحاولت التشبّث بحبل المودّة، وعرى المحبة الإيمانية التي ينبغي أن نرتبط بها مع القارىء الكريم، ولا أدّعي أنني بلغتُ الغاية المرجوة في كل ذلك، ولكنني بذلت أقصى ما أستطيع في حدود فهمي وإطلاعي!

وعذري أن ليسَ بمقدور أحد تجاوز حدود فهمه واطلاعه.

والله يعلم أنني نشدتُ الحقيقة وتوخيتُ الدقة وتوسلتُ الصدقَ، وأسأله مخلصاً:

أن يقيل العثرات التي قَصُرَ عن إدراكها بَصَري، وعجزتْ عن درئِها بصيرتي، وأعتذر لِمَن آلَمَتْهُ شدّتي في بعض المواطن التي كان فيها أَلَمي أشدّ وآخرُ دعوانا أن الحمدُ لله رب العالمين.

حسين جواد

السبت ١٨ صفر ١٤٣٠

الموافق ١٤ شباط ٢٠٠٩

الفهرس

الموضوع	الصفحة
حديث الإفك	٧
محاكمة حادثة وحديث الإفك	١٠
تمهيد عن حادثة وحديث الإفك!	١٢
حديث الإفك برواية عائشة	١٤
أما في خلافة علي عليه السلام	١٩
مناقشة الهنات الواردة في رواية عائشة لحديث الإفك!	٣٤
ملاحظات عن حديث الإفك برواية عائشة	٣٦
الملاحظة الأولى	٣٦
الملاحظة الثانية	٣٨
الملاحظة الثالثة	٤١
الملاحظة الرابعة	٤٢
الملاحظة الخامسة	٤٨
إيضاح	٥٥
تحليل النصّ	٥٨
أعتقد	٦٣
مكانة مارية	٦٤

الملاحظة السادسة ٧١
الملاحظة السابعة ٧٣
الملاحظة الثامنة ٧٧
الملاحظة التاسعة: دور الاعلام في التدليس على الحقائق ٨٧
تحليل النصّ ٩٥
دور مسلم في التدليس على حقيقة حديث الإفك ٩٩
تحليل النصّ في رواية مسلم ١٠١
حديث الإفك في صحيح مسلم ١٠٤
الملاحظة العاشرة ١١٠
زبدة المخيض في حديث الإفك! ١٢٥
كيف حصل زواج النبي ﷺ من عائشة وحفصة؟ ١٣٨
كيفية زواج حفصة من النبي ﷺ! ١٤٥
حذر عمر لا يقاوم دهاء المغيرة! ١٤٨
التاريخ يمنح ثقته للقاضي شريك ويمنعها عمن يكذّبه! ١٦١
النتائج والملاحظات التي أسفر عنها البحث ٢٠٦
المسيحيات في الحديث ٢١٢
الخاتمة ٢١٣